مفترق طرق

رواية

حازم حامد الشاذلي

ليليت للنشر
والتوزيع

مفترق طرق
حازم حامد الشاذلي
غلاف/ سارة سليمان
مدقق لغوي أ. أحمد عبد العظيم
رقم إيداع ٢١٩٩ / ٢٠١٥ط١
الترقيم الدولى / ٩- ٠٠١ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

ليليت للنشر والتوزيع
الإشراف العام / إيمان سعيد

01022661632 - 01224272327

lilettepublishing@gmail.com

www.lilithbook.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إليكترونية أو في وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية .

عينى رات مولود على كتف امه

يصرخ تهنن فيه.. يصرخ تضمه

يصرخ تقول له يابنى انطق كلام

داللى ما يتكلمش يا كتر همه..

عجبى

صلاح جاهين

يوم من أيام شتاءعام2008

استيقظ الدكتور مصطفى منصور رضوان في تمام الساعة الثامنة صباحًا قبل أن ترن أجراس المنبهات الثلاثة التي يضعها بجواره على الكومودينو؛ إمعانًا في الاحتياط وخوفًا من أن يستيقظ متأخرًا، مع أن هذا لم يحدث له مطلقًا طوال حياته سواء في مصر أو هنا في لندن داس على الأزرار الثلاثة حتى لاتنطلق الأجراس وظل في سريره الحديدي الواسع الفاخر حتى صارت الساعةالثامنة وخمس دقائق. قام بعد أن أزاح الغطاء عن جسده ودق جرسًا بجانبه منبهًا خادمه الهندي كومار أن موعد قهوته قد حان.دخل كومار الغرفة بعد طرق البابو حيّا سيده بأدب وابتسامة نمطية لا تتغير، ووضع على المنضدة في وسط الغرفة «ماج»كبير ملئ بالنسكافيه باللبن وانصرف.

جلس دكتور مصطفى على مقعده الوثير «الفوتيه» من طراز أحد ملوك فرنسا، وامسك بالريموت كونترول وراح يقلب المحطات الفضائية. إنه لايشاهد قنوات التليفزيون الإنجليزي؛ ويرى أنها مملة لذا برمج تليفزيونه على الـ «سى إن إن»و «الجزيرة» والـ «بى بى سى» بالنسبة للأخبار، وعلى «الفضائية المصرية» وقنوات الأفلام المشفرة بالنسبة للترفيه. أما أهم قناة بالنسبة له فهي القناة التي تقدم مصارعة المحترفين؛ فهو يعشق مشاهدتها ولا يمكن أن ينام قبل أن يتابعها ما يقرب من الساعة مهما كانت مشغولياته!

انتهى من احتساء قهوته. أصبحت الساعة الثامنة والثلث موعد حلاقة ذقنه. إنه يحلقها كل يوم، هكذا تعود طوال حياته، ويستغرق في الحلاقة عشر دقائق يضع بعدها ماء كولونيا فرنسي لا يغيره أبدًا. أخذ حمامًا دافئًا. أشارت الساعة للثامنة والنصف وخمس دقائق. دق الجرس مرة أخرى فحضركومار. قال له مصطفى: كُحلى.في ثوانٍ فتح كومار الدولاب الضخم الذي يملأ نصف الغرفة والذي يحتوي على حوالي ثلاثين بدلة مختلفة الألوان، وإن كان معظمها متشابه في الموديل. فتح كومار الدولاب وأخرج في ثوانٍ بدلة كحلى وما يلزمها من قميص وكرافت وحذاء وجورب. تعلم كومار الدقة والذوق من دكتور مصطفى؛ فهو يعمل عنده منذ ما يقرب من عشرة أعوام، ارتدى مصطفى ملابسه وصفف شعره بعد تجفيفه بالسيشوار. أصبحت الساعة التاسعة إلا الربع.خرج من غرفته ليجد مسز طومسون مديرة المنزل واقفة أمامه باسمة.حياها وأخبرها أنه سيتناول الغذاء في الخامسة.

مسز طومسون في حوالي الستين، أرملة، وجَدة لثلاثة ذكور وأنثى، اختارها مصطفى من وسط عشرة تقدمن للوظيفة، اختارها لصفة واحدة تتميز بها عن الأخريات: أنها لا تتكلم كثيرًا فهو يكره الثرثرة، أوصاها بعد اختيارها للعمل معه ألا تجعله يفكر أبدًا في أي شيء يتعلق بالمنزل، عليها أن تتصرف ولديها كل الصلاحيات وسيساعدها كومار في ذلك، ركب مصطفى سيارته المرسيدس سبور السوداء ذات المقعدين والتي يفضلها عن أي سيار.

يقول لنفسه: ما فائدة المقعدين الخلفيين وأنا غير متزوج وليس لدى أطفال؟!

في تمام التاسعة كان الدكتور مصطفى يركن سيارته أمام باب الكلية، الدكتور مصطفى منصور رضوان عالم جيولوجيا معروف وأستاذ في الجامعة ويمتلك مكتب

استشارات جيولوجية يدرعليه أرباحًا طائلة، كما أنه يقوم بإلقاء محاضراته في معظم جامعات بريطانيا وأحيانًا في جامعات أوروبا والولايات المتحدة، كما تستضيفه دول الخليج لفترات على مدار العام نظرًا لتخصصه الدقيق في ثروات الأرض، في تمام التاسعة وثلاث دقائق كان مصطفى يجلس إلى مكتبه في كلية العلوم، وهكذا كانت حياة الدكتور مصطفى: دقيقة، منتظمة، ومحددة ومن النادر أن يختل نظامها إلا في الظروف الاستثنائية مثل السفر وخلافه.

دخلت عليه كارلا سكرتيرته الإنجليزية الجميلة، ذات الطول الفارع والقوام الممشوق، والعيون ذات اللون الذي يتغير حسب الإضاءة؛ من الأزرق الفاتح الى الأخضر! اختارها أيضًا مصطفى من ضمن الكثيرات لهذه المواصفات لا لغرض في نفسه، فمبدأه ألا يقيم أي علاقات شخصية في مكان عمله مهما كانت المغريات–ولكن حبًا وتقديسًا للجمال في ذاته، دخلت كارلا وحيته ووضعت أمامه مجموعة من الأوراق ولم تسأله عما يشرب لأنها تعلم أنه لا يفعل ذلك قبل موعد الراحة في الواحدة ظهرًا رن جرس موبايله، رقم لا يعرفه.

- آلو
- رد المتكلم بالعربية:حضرتك دكتور مصطفى؟
- رد مصطفى بالإنجليزية: نعم من معي؟
- رد المتكلم بالعربية: حضرتك أنا عصام شعبان. حفيد خالة سعادتك الحاجة عواطف.
- قال بالعربية: أهلًا وسهلًا، مرني.
- أبدًا سعادتك، هي أرسلت معي لحضرتك السلام وكان نفسي أقابل

حضرتك.

- أنت بتتكلم منين؟

- من لندن. أنا ساكن فى ايرلز كورت

- تقدر تيجي دلوقت؟ أنا في الجامعة.

- أقدر.

- تعالي الساعة حداشر.حداشر ودقيقة ما تجيش! حاتقابلك كارلا السكرتيرة قل لها أنا عصام من مصر، مش برضه بتعرف تتكلم إنجليزي؟

- طبعًا يا فندم. أنا جاي على طول.

استدعى مصطفى كارلا وطلب منها مواعيد محاضراته ولقاءاته اليوم.

دكتور مصطفى يقترب من الخمسين؛كثيف شعر الراس والحاجبين، أشيب الفودين والسوالف، قمحي البشرة، متوسط القامة، ولكن أكثر ميلًا للطول.قوامه معتدل وقوى البنية، لا بروزات ولا كرش.عامة ليس شديد الوسامة، ولكن له جاذبيته، تقول كارلا فيه:إنه رجل لطيف وجذاب، ولكن ليته يبتسم أو يفهم الدعابة في الحادية عشرة تمامًا أدخلت كارلا عصام شعبان إلى مكتب مصطفى.

- السلام عليكم.

- إزيك يا عصام.

- الله يخليك يافندم أرجو ألا أعطل سيادتك.

- إزي الست عواطف وإزي مصر كلها؟

- بخير يا فندم.

لم يبتسم مصطفى على الإطلاق وبدا اللقاء رسميًا بحتًا مما أحبط عصام.

- خير كنت بتقول عايزني؟

- الحقيقة يا فندم أنا معيد في كلية الهندسة -قسم عمارة- وجاي أعمل الماجستير في جامعة كارديف وطبعًا جدتي قالت لي ماينفعش تروح بريطانيا من غير ماتعدي على مصطفى باشا.

- أيوة يعني أيه المطلوب بالضبط؟

- ابتلع عصام خجله وإحباطه وإن كان بدا عليه ذلك وقال: «الدفعة « الأولى يا سعادة الباشا يعني نصائح وتوجيهات سعادتك.

- يابني أنت مبعوث من الدولة عشان الماجستير، ما حدش حا يذاكر بالنيابة عنك، أنت اللي حاتعمل مستقبلك ماتعتمدش على حد.خليك واضح ومحدد عشان أنا ما عنديش وقت. ما المطلوب مني بالضبط؟

- ابتلع عصام إحباطه بصعوبة هذه المرة وقال: بصراحة أنا مرتب البعثة لن يكفيني لأني حابعت أجيب مراتي وابني ومحتاج لشغل إضافي.

- مراتك وابنك؟ ليه أنت عندك كام سنة؟

- ستة وعشرون.

- ولحقت تتجوز وتخلف! ليه؟ إنسان طموح زيك وناوي تكمل تعليمك العالي،ليه تربط نفسك بدري كده؟ بلاش تجيبهم يابني حايعطلوك.

- إزاي يا فندم ما ينفعش!

- أنت حر. مراتك بتشتغل أيه؟

- طبيبة. طبيبة عامة.

- كويس أهي تيجي تتفرج هنا على المستشفيات حاتستفيد، لكن صعب تشتغل دلوقت.يعني إنت سيادتك عايزتشتغل؟ حاتقدر توفق بين الدراسة والشغل؟

- حابذل كل جهدي يا فندم .

- أخرج مصطفى محفظته من جيبه والتقط كارتًا وكتب بالإنجليزية على ظهره وأمسك بورقة بيضاء من على المكتب وكتب عليها عنوانًا.

- خد روح العنوان ده في كارديف وأعط الكارت لمستر والاس وهو حايعمل اللازم. ولو ماشغلكش خلال يومين اتصل بي تاني. حاول ترفع رأسي.
- يا فندم أنا مش عارف أقول أيه؟
- ماتقولش حاجة. الحق أوتوبيس كارديف.
- متشكر متشكر. همّ عصام بالخروج. تذكر مصطفى شيئًا فناداه:
- عصام.
- أيوة.
- محتاج فلوس؟
- لا يا فندم متشكر معي ما يكفي.
- باتكلم جد. ماهو مش معقول تيجي بريطانيا عشان تجوع.
- لا يا فندم متشكر جدًا معايا.

- عصام شعبان شاب أسمر نحيل، أجعد الشعر. من الطبقة المتوسطة، طموح ومتدين.انصرف من المكتب سعيدًا، ولكنه مندهش لقد استقبله

- الرجل استقبالًا غير مشجع ومع ذلك عمل معه الواجب وزيادة! أليس شخصية عجيبة؟

- تلقى مصطفى بعد انصراف عصام مكالمة من شيللا. شيللا مضيفة جوية من دولة التشيك التقى بها في رحلة جوية كان مدعوًا لندوة في براغ، وكانت هي مضيفة الرحلة، دار بينهما حديث قصير وتبادل لأرقام التليفونات ومنذ هذا اليوم –منذ حوالى العام– وهي تواظب على زيارته والإقامة في منزله الآخر في كرويدون –من ضواحي لندن– والذي يخصصه لعطلات نهاية الأسبوع أوعندما يستضيف أحدًا، اتصلت شيللا لتخبره أنها في المطار، وأنها على وشك الصعود للطائرة، وتشكره على اليومين اللذين قضتهما في ضيافته. –شيللا. متى ستأتين مرة أخرى؟

- الحقيقة لا أعرف، ولكنك تعرف أنه ما من مرة اضطررت للمبيت في لندن إلا و مررت عليك، دعها للظروف.

- أوكي.

شيللا فتاة في السابعة والعشرين.رائعة الجمال، ذكية وطموحة. تعرف فارق السن بينها وبين مصطفى ومع ذلك لا تكل ولا تمل من محاولة إيقاعه في مصيدة الزواج.

انتهى دكتور مصطفى من اجتماعاته ومحاضراته وأوشكت الساعة على الخامسة موعد انصرافه المفترض طبقًا لجدوله المعتاد و موعد ركوب سيارته والعودة لمنزله، وتناول الطعام الذي أعدته مسز طومسون. فكر في أنه يريد التجديداليوم،خاصة وأنه لم يوصِ مسز طومسون بشيء محدد يفضله. فكر أنيتناول الطعام في المطعم الذي تعود عليه منذ فترة طويلة والقريب من منزله، ولكنه كان بحاجة للراحة بعد هذا اليوم الطويل؛ لذا قرر أن يؤجل زيارة المطعم للمساء. اعتذر لمسز طومسون عن تناول الطعام وسمح لها بالانصراف إذا أرادت. دخل غرفته وبدل ملابسه وجلس أمام التليفزيون يشاهد مصارعة المحترفين إلى أن أحس بالنعاس فنام وهو يعلم تمامًا أنه سيستيقظ تلقائيًا بعد نصف ساعة أو ساعة وكان يسمى هذه الغفوة اللذيذة: «غفوة نابوليون» فقد سمع أن نابوليون كان يغفو قليلًا على حصانه في المعارك فيستعيد نشاطه ويواصل الحرب!

لم يكن مصطفى عمدة المصريين الرسمي فيلندن فهو يكره المناصب، و لكن لا أحد يستطيع أن ينكر أنه الشخصية الأكثر شعبية وسط الجالية المصرية في لندن؛ فهو جاد ونشط وفعال ويشارك في جميع الأنشطة والمجالات ويساعد بقوة وإيجابية. إنه لا يجيد الكلام وقد يبدو أحيانًا عنيفا أو قاسيًا، ولكنه عنف وقسوة من فرض على نفسه بالقوة نظامًا صارمًا لا يسمح بضياع الوقت في المجاملات وما لا طائل من ورائه.

كان أيضًا من أسباب شعبيته «غموضه» فهو لا يفتح قلبه لإنسان ولا يصرح لأحد بنياته أو مشاعره ولا أحد يعلم شيئًا عن تاريخه أو حياته قبل الوصول للندن. وطبعًا لا أحد يعلم لماذا لم يتزوج حتى الآن؟ فقط الناس تتكلم عن أن له علاقات نسائية كثيرة مع سيدات وفتيات من الطبقة الراقية الإنجليزية والعربية وأيضًا مع سيدات شهيرات، ومن حين لآخر

كانت بعض الصحف الصفراء تنشر بالتورية أخبارًا تتناول هذه العلاقات.

إلا أنه لا أحد استطاع أن يثبت أى شيء من هذا وهو لم يتكلم أبدًا! و بصرف النظرعن نوعية هذه العلاقات فإنه لم يحدث أن تسببت في أي مشاكل بالنسبة له أو للآخرين. نستطيع أن نقول أنّ الدكتور مصطفى رضوان شخصية مثيرة للجدل فى لندن إلا أنه بلا شك شخصية جديرة بالاهتمام والاحترام.

أفاق مصطفى من غفوة نابوليون ودق الجرس منبهًا كومار إلى موعد القهوة ثم الجرس الثاني منبهًا إياه إلى موعد إعداد ملابس الخروج، قال لكومار بهدوء:بني. انطلق كومار يجهز بدلة بنى ومستلزماتها واستأذن سيده أن يخرج له المعطف لأن الطقس ممطر اليوم، لم يجبه مصطفى وهذا في حد ذاته معناه أنه موافق!

انطلق مصطفى بالسيارة السوداء إلى مطعم «ذى لاجون»أو البحيرة وهو ليس أفخم مطعم في لندن، ولكنه يفضله لأنه أفضل من يقدم حساء الطماطم الذى يعشقه، ولأنه قريب، كما أن زبائنه هادئون وجلسته مريحة.

دخل مصطفى المطعم، رحب به العاملون لأنه زبون قديم كما أنه يترك بقشيشًا ممتازًا! جلس إلى مائدته المفضلة التي لا يغيرها لأنها تتيح له رؤية كل الحاضرين بينما من الصعب عليهم أن يروه. حضر إليه «مايك» الجرسون المخضرم في المكان. سأله إن كان يريد المعتاد أم أن هناك تغييرًاليوم؟ قال مصطفى: حساء الطماطم طبعًا كما هو، ولكن اليوم أريد لحم الغزال. أرجو أن يكون متوفرًا.

- بكل تأكيد سيدي، سيأتي الطعام بعد عشرين دقيقةن ماذا تحب أن تشرب مع الطعام؟

- نبيذ أحمر.

دكتور مصطفى ليس متدينًا هو يشرب الخمر في المناسبات، ومع بعض الأكلات ويقول لنفسه ولبعض المقربين «إن قليلًا من الخمر يصلح المعدة ويوسع الشرايين»! لم يصل أبدًا لحد السكر ولم يشم أحدًا رائحة الخمر من فمه، يشاهد أحيانًا في صلاة الجمعة وبكل تأكيد في صلاة العيدين في المركز الإسلامي حيث يحتفل بانتظام مع الجالية المسلمة، ويقول بعض الشهود أنهم رأوه بعينى رأسهم يتناول الطعام فى نهار رمضان!، أما هويته الدينية الداخلية وعقيدته فغير معروفة على الإطلاق، فقط يقول في بعض المناسبات إن الدين علاقة الإنسان مع ربه وهو موضوع شخصي بحت. أثناء انتظاره للطعام، وبينما كان يتسلى بمراقبة الحاضرين لمح على مائدة بجواره سيدة جميلة تجلس وحيدة تتناول طعامها بهدوء ورقة بالغة، هي في أوائل الثلاثينات. بيضاء البشرة، شعرها لا يستطيع تحديد لونه بالتحديد قد يكون أسود أو خروبى، طويل، منسدل حتى كتفيها، عيناها واسعتان، ولا يظهر لونهما على البعد، صغيرة الفم، مكتنزة الشفتين، تبدو وهي جالسة طويلة القامة بالنسبة لامرأة، ليست نحيفة إنما قوامها هو المثالي من حيث امتلائه في مواضع وغياب هذا الامتلاء في مواضع أخرى! لفتت نظره، لم يكن جمالها هو ما لفت نظره، ولكن أولًا: لأنها تبدو شرقية إن لم تكن مصرية، وثانيًا: لإحساسه أنه رآها قبل ذلك، أصرأن يتذكر ولم يفلح وفجأة وبدون أى مقدمات، وكأنه داس على زر استدعاء المعلومات في الكمبيوتر فاستجاب، قال لنفسه: نعم إنها هى: نهى خطاب! لم يكن دكتور مصطفى متابعًا بقوة للحركة الفنية في مصر، ولكنه بحكم العادة القديمة كان يشاهد في رمضان بعض المسلسلات والبرامج وقد يلفت نظره من حين لآخر نجم أو نجمة مسلسل أو فيلم أو برنامج، نعم إنها هي نهى خطاب ممثلة ومطربة أو بالأصح ممثلة ممكن أن تغنى، ظهرت بوضوح منذ حوالي خمس أو ست

سنوات ولفتت الأنظار بجمالها وحضورها القوي ثم اختفت فجأة وقيل أنها تزوجت واعتزلت، هي. برافو عليك يا مصطفى –قال مصطفى لنفسه– ما زالت الذاكرة بخير! ولكن مالذى جاء بها إلى هنا ولماذا تجلس وحيدة؟

انشغل مصطفى بالطعام الشهي والنبيذ الأحمر، إلا أنه من حين لآخر كان يختلس النظر لنهى، ولاحظ أنها تقريبًا انتهت من تناول الطعام وتطلب فاتورة الحساب.

راح مصطفى يراقب الموقف الطريف الذي أمامه؛ أحضر مايك فاتورة الحساب لنهى –أو التي من المفترض أنها نهى– نظرت فيها وأخرجت من حقيبتها كارتًا يبدو أنه كارت فيزا، أخذه منها مايك وذهب للكاشير، بعد دقائق عاد إليها وقال شيئًا، انفعلت وهبت واقفة تتكلم بعصبية، ظل مايك يروح ويجيء بين المائدة والكاشير ثم بدأ الصوت يعلو–صوت نهى طبعا!– ظل مصطفى يراقب الموقف، وجد مايك يبتعد ويترك الساحة للكاشير ونهى. ناداه مصطفى واستفسر منه عما يحدث فأخبره مايك بالسيناريو كما توقعه مصطفى بالضبط؛ لقد تم الكشف على بطاقة نهى ووجد أنها متوقفة أو خالية من الرصيد فاعترضت نهى وقالت أن هذا مستحيل وأن الخطأ لابدأن يكون من ماكينتهم.هنا لاحظ مصطفى وقوف نهي فى حيرة أمام الكاشير، من المؤكد أنه ليس معها نقود سائلة، وجد أن هذا هو الوقت المناسب للتدخل، قام من مكانه وتوجه للكاشير، حياه ثم وقف أمام نهى ومد يده، كان مصطفى لا يحب أن يتكلم بالعربية على الإطلاق إلا إذا عرف أن محدثه لا يتقن الإنجليزية وبهذه الطريقة استطاع أن يتقن اللغة واللهجة اللندنية بالذات. الآن هو لا يعرف نهى فلابد أن يتكلم بالعربية.

- مدام نهى، مساء الخير.

- نظرت نهى إلى محدثها باستغراب وفرح في نفس الوقت لأن هناك رجل في لندن تعرف عليها!

- مساء النور.

- أنا دكتور مصطفى رضوان وآسف للتدخل، ولكني أرى أنه لابد أن نحل المشكلة مع هؤلاء الناس حتى لا نعطلهم وبعد ذلك نتفاهم أرجوكِ

- سأدفع الحساب، لم ينتظر منها رد وطلب من الكاشير إضافة حساب نهى إلى حسابه.

- قالت نهى: ولكن يا دكتور، أرجوك.

- بعدين يا مدام نهى بعدين.

- انتهى الكاشير من تسديد فاتورة نهى، قال مصطفى: تفضلى يا مدام نهى أكملى طعامك..

- إن معي نقود في المنزل، لو تكرمت أنا لن أستطيع أن أنام الليلة إذا لم أدفع النقود، حضرتك كمل أكلك وأنا مش ساكنة بعيد حاجيب الفلوس و...

- أنا خلصت أكل وأعتقد أن الجو ممطر بالخارج، إذا سمحتِ لي سأوصلك للمنزل وهاتِ الفلوس زي مانتي عايزة.

- ده كرم من حضرتك ولكن...

- لم يرد عليها ولم يبتسم مرة واحدة خلال الحديث، وتوجه للكاشير لدفع حسابه.

- اخرجى أنت أولا، ستجدين سيارة مرسيدس سبور سوداء، انتظرينى أمامها دقيقتين فقط، سأذهب لدورة المياه..

- الحقيقة أنه لم يكن يريد الذهاب لدورة المياه، ولكنه قال ذلك حتى لا يظن أحد ظن السوء في نهى وحتى يعطي لها الفرصة للهروب إذا أرادت!

- وقفت نهى دقيقتين أمام السيارة حائرة؛ هل سيأتي؟ هل سيتأخر ويكون موقفها سخيفًا خاصة وأن الأمطار بدأت تهطل؟ لم تستغرق حيرتها طويلًا فقد وجدت مصطفى أمامها يفتح لها باب السيارة في لطف وأدب.

- الحقيقة أنا مستغربة؛ حضرتك عرفتني إزاي؟ الكثيرون هنا لا يعرفوني.

- شكلك لم يتغير إطلاقًا.ربما ازددت جمالًا، ولكن الشكل واحد.حضرتك ساكنة فين؟

- «ويست كينزنجتون».

- لم ينبس ببنت شفة وراح يراقب الطريق من خلال المساحات التى تتحرك يمينًا ويسارًاتزيح المطر الغزير من على زجاج السيارة.

- ماكنتش حاقدر أروح في المطر ده، متشكرة جدًا.

- العفو.

وصل مصطفى منطقة «ويست كينزنجتون» فراحت نهى تصف له الطريق حتى توقفا أمام فندق صغير بسيط من تلك التي يطلق عليها في بريطانيا «بيات وإفطار» قالت: أيوة هنا، أبدى مصطفى دهشته قائلًا: ساكنة هنا؟!

- نعم.

- ليه؟

- ليه أيه؟

- ليه حضرتك تسكنين في مكان متواضع زي ده؟ فيه أي مشكلة؟

- حضرتك دي قصة طويلة ممكن أطلع ثواني أجيب لحضرتك المبلغ؟

- مدام نهى. تفتكري أني كرجل شرقي وبدون تواضع، كرجل لي مكانتي ممكن أستنى حضرتك عشان أخذ سبعين ولا تمانين استرليني، متهيألي شكلها بايخ، مش كده؟

- ولكن إذا كان هذا هيريحني ويرضيني فممكن عشان خاطري تقبلها؟

- أنا عندي حل وسط، بكرة سعادتك تعزميني على العشاء وبكدة نبقى خالصين، أطرقت قليلًا، فاستطرد: والله أنا مش قصدي أعاكسك – وإن كنت جديرة بذلك – لكن أنا كل قصدي أريحك لأني شايفك حساسة جدًا،وبالمرة تحكيلي الحكاية الطويلة، إن ماكانش ده يضايقك؟

- فكرت قليلًا ثم قالت: موافقة.

- خلاص، يبقى بكرة حأعدي عليكِ الساعة تسعة. أنا مواعيدي مقدسة. تسعة بالضبط سأكون تحت هذا المكان ونظر إلى الفندق ممتعضًا!

- حاضر.

- لو ماجيتيش، يبقى أنت مش عايزة تدفعي الحساب! قال ذلك بدون أي ابتسامة!

- ضحكت وقالت: حاضر.

دخل مصطفى منزله وهو مرتبك قليلًا؛ كان يشعر بذلك كلما حدث خلل في برنامجه اليومي، ولكن اليوم الارتباك من نوع جديد، لقد فعل اليوم مع نهما كان يجب عليه أن يفعل، ولكنه كإنسان عملي جدًا وواقعي جدًاجدًا ..راح يسائل نفسه: هل فعل هذا بشكل طبيعي أم أنه كان يحركه حب الاستطلاع؟ شاهد مصارعة المحترفين ونام!!

دخلت نهى غرفتها في فندق «ذا مون لايت» أو ضوء القمر–غرفة صغيرة– ربما أصغر غرفة في الفندق؛ تتكون من سرير ودولاب وكومودينو ومدفأة كهربائية ودورة مياه صغيرة بدون بانيو، فكانت إذا أرادت أن تأخذ حمامًا تضطر للخروج من الغرفة لاستعمال الحمام الكبير المشترك، وبما أنها لا تعمل فقد كانت تنتهز فرصة الصباح حين يذهب الجميع إلى أعمالهم لتأخذ حمامها.

دخلت الغرفة وخلعت معطفها الأنيق ووضعته خارج الدولاب المكتظ بالملابس، وكذلك فعلت مع التايير الأسود. أخذت بيجامتها من على السرير وارتدتها وراحت تفكر فيما حدث..إذن لقد فعلها «جاسم» لقد ألغى كارت الفيزا الخاص بها أو بالأصح سحب منه كل الرصيد..أصبحت الآن عارية تمامًا ليس معها مليم واحد. فقط بعض الأموال القليلة السائلة تضعها في أحد البنطلونات داخل الدولاب، وما تبقى من مجوهراتها التي تضعها داخل معطف في الدولاب أيضًا.

إنها في وضع حرج ولولا تدخل مصطفى لكانت تواجه الآن موقفًا في منتهى السخف. راحت تفكر في مصطفى: إنهمهذب وواضح وقوي الشخصية. ربما كان جادًا أكثر من اللازم، ولكن...لقد تذكرت الآن أنها سمعت عنه قبل ذلك. أليس هو عالم الجيولوجيا الشهير أم أنه تشابه أسماء؟ هل تذهب معه للعشاء باكر أم يكفيها حالتها النفسية السيئة، فلا داعي أن

تتحمل غريب باستفساراته وتوقعاته؟ ولكنها لابد أن تذهب..على الأقل لتعطيه نقوده ولتبرىء ذمتها فقد يكون قد عرف بقصتها ويتصور أنها فعلت ذلك لتهرب من دفع الحساب!! لا... لا يمكن أن تشوه صورتها لا يمكن...ستذهب معه وليحدث ما يحدث!! أخذت قرارها ونامت.

استيقظ مصطفى في الثامنة ومارس طقوسه المعتادة وأمر مسز «طومسون» ألا تعد أي طعام اليوم؛ لأنه سيتناول العشاء في الخارج.

دخلت «كارلا» وقرأت له جدول الأعمال ثم أضافت: في العاشرة مساءً أنت مدعو إلى حفل عشاء في سفارة الأرجنتين، هل أؤكد حضورك؟

- سفارة الأرجنتين؟ما المناسبة؟

- لا أعرف.

- راح يفكر: لقد زرت الأرجنتين وألقيت بها محاضرة هامة وكان هذا منذ حوالي ثلاثة أعوام، فلماذا يدعونني الآن؟ أرجوكِ يا «كارلا» الغِ هذا الموعد وأرسلي بطاقة اعتذار لطيفة فأنا مرتبط بموعد آخر، قال لنفسه: ولماذا لا أتصل بنهى في الفندق وأؤجل موعدها بدلًا من إلغاء موعد السفارة؟

- كارلا.. كما قلت لك الغِ موعد السفارة!

استيقظت نهى متوترة وخائفة وقلقة...ماذا ستفعل في هذا البلد الغريب الكئيب..بدون مال وبدون صديق أو سند..حتى المصريون هنا لم يتعرف عليها معظمهم رغم أنها منذ ثلاث سنوات كانت ملء البصر والسمع!!ولكن تذكرها مصطفى وربما كان هذا بمحض الصدفة، مازال هناك وقت طويل حتى التاسعة

.. إنها جائعة وإفطار الفندق النمطي لن يشبعها في هذا الطقس البارد.أخذت حمامها وهي عازمةعلىأن تخرج من حالة التوتر والكآبة. لم تنسَ أن تأخذ مظلتها معها، وخرجت متجهة إلى محطة مترو الأنفاق. نزلت في محطة «البيكاديللي سركس» فعندما يستبد بها القلق والمخاوف تنزل في هذه المحطة وتظل تتمشي حتى تصل إلى شارع «أوكسفورد» الشهير ومجرد مشيها في هذا الشارع يلهيها عن التفكير في المخاوف ويجدد نشاطها، استبد بها الجوع فاختارت محلًا صغيرًا يقدم بيتزا رخيصة، تناولت البيتزا مع زجاجة المياه الغازية بدون سكر ثم قفلت راجعة إلى الفندق،، طوال هذا الوقت لم تكف عن التفكير في لقاء مصطفى، كيف سيكون؟ ماذا ستقول له؟ هل ستصارحه بكل شيء إذا سألها؟ ماذا سيكون رد فعله، يا رب أنهِ هذا اللقاء على خير-قالت لنفسها- أنا محتاجة لصفاء نفسي حتى أتمكن من الخروج من الورطة، لن يتركني جاسم في حالي سيظل يلاحقني ويتوعدني، لن ينسى أبدًا أن المصرية رفضت الاستمرار معه وفضلت الفقر مع الحرية على الغنى والسجن في قفص من ذهب.

في تمام التاسعة كان مصطفى أمام باب الفندق يرتدي بدلة رمادية من بيت أزياء فرنسي مشهور وكرافت حريرية حمراء وقميصًا لبنيًا، ومنديل البدلة بلون الكرافت، بدا في غاية الأناقة، راح يراقب باب الفندق. في التاسعة ودقيقتين خرجت نهى ترتدي معطفًا رماديًا فاخرًا غير واضح ما ترتديه تحته، لم يعد لديها إلا ملابسها الغالية تذكرها بما كانت عليه من عز وغنى، فتح مصطفى لها باب السيارة..حيته ودخلت.

- هل تفضلين مكانًا معينًا أو تتركين لي الخيار؟

- أترك لك الخيار، ولكنك قد تختار مكانًا فخمًا زيادة عن اللزوم وهنا سنتجاوز الميزانية!

- لا لا تخافي. وابتسم نصف ابتسامة.

- قال بعد فترة صمت لإذابة الجليد: أولًا: أحب أن أطمئن ماذا فعلت في موضوع الفيزا كارد؟ هل كان الخطأ من المطعم؟

- لا لم يكن الخطأ منهم. لقد تم إلغاء البطاقة بعد سحب ما بها من رصيد!

- وكيف حدث هذا؟

- هذا جزء من الحكاية الطويلة. أريد أن اسأل حضرتك سؤال.هل أنت مصطفى رضوان عالم الجيولوجيا أم أنه تشابه أسماء؟

- أخيرًا ضحك وقال: لا. أنا هو، الحقيقة لم أكن أظن أن فنانة لطيفة مثلك تتذكر اسم عالم جيولوجيا!

- وأنا أيضًا لم أكن أتصور أن عالم جيولوجيا شهير يتعرف على فنانة محلية.

- ولم لا؟ أليس عالم الجيولوجيا إنسانًا عاديًا يمكن أن يتذوق الفنون بأنواعها؟

- وكذلك الفنانة. من الممكن أن يكون لهاخلفية ثقافية ولو بسيطة تعرف منخلالها ما يدور حولها.

- صح. أنت صح.

- على العموم أنا سعيدة أنّحضرتك مصطفى رضوان الذى أسمع عنه.

- وماذا سمعت عني؟

- بالنسبة لقيمتك العلمية. أسمع أنك مثل فاروق الباز.

- وبالنسبة لأشياء أخرى؟

- أقول وماتزعلش؟
- إطلاًقا قولي.

- أسمع أنك ملقب بالرجل الغامض!

لم يعقب مصطفى ولم يبتسم. أوقف السيارة أمام مطعم من أفخم مطاعم لندن. قالت نهى وهي تنزل من السيارة: لست أدري ..لا أتخيل أن أقود سيارة «دريكسيونها يمين» لماذا يحدث هذا في بريطانيا فقط؟ لم يرد مصطفى، الحقيقة أن نهى فقط سمعت عن وجود عالم مصري بهذا الاسم يعيش في لندن، أما مسالة فاروق الباز والرجل الغامض فقد عرفتها صباح اليوم فقط من صديقة عراقية تقيم في نفس الفندق.

دخلا المطعم، بهرتها الفخامة والاتساع ونوعية الزبائن فهم صفوة المجتمع البريطاني في لندن، قالت لنفسها أنا في ورطةكيف سأدفع الحساب في مطعم كهذا؟ هل فعل ذلك ليورطني؟ وقد يستغل هذه الورطة، طردت هذه الفكرة الساذجة الشريرة من دماغها.

تصرف مصطفى معها كأي جنتلمان:أخذ عنها معطفها وأزاح المقعد للخلف لتجلس، بهرته أناقة الفستان السواريه الغامق الذي ترتديه والذي صنع مع بياض بشرتها ولون عينيها العسلي الفاتح مزيجًا رائعًا، لم يكن مصطفى بطبعه يحب أن يتصرف كجنتلمان مع النساء من الناحية المظهرية؛ فهو كرجل عملي لا يرى أي أهمية لأن يأخذ معطف من سيدة أو يُقبل يدها في احتفال عام، ولكنه كان من الذكاء الاجتماعي ما يحتم عليه أن يتصرف هكذا في مجتمع تعود على ذلك، جلسا على المائدة متقابلين مما جعل مصطفى يتأكد من لون عيني نهى، فعلًا عسلي فاتح، قال فجأة بطريقة أذهلتها:

- سؤال معلهش هل هذا لون عينيك الحقيقي أم عدسات لاصقة؟ أنا آسف، السؤال سخيف ومرة أخرى أنا لا أقصد المعاكسة، ولكن فقط معرفة الحقيقة.

- ضحكت. وقالت: حضرتك صريح جدًا. لأ هذا لون عيني الطبيعي ولو تابعتني منذ أول ظهوري في فيلم رجال ونساء ستجد عيني بهذا اللون.

لم يرد.

- ماذا ستأكلين؟ لو حبيتي أختار لك؟

- يا ريت.

- أنا متعود هنا أن أطلب لحم الغزال، ولكن حساء الطماطم عندهم ليس الأفضل لذا ممكن أن نأخذ مع اللحم، البطاطس المحمرة أو الخضارالسوتيه. أيه رأيك؟

- لقد ذقت لحم الغزال مرة في السعودية وكان معقولًا، لم أكن أدري أنه يقدم هنا. ماشي لحم غزال وسوتيه.

طلب من الجرسون ما اختاراه من طعام وسألها إن كانت تحب أن تشرب شيء مع الأكل، فأجابت بالنفي ولم يطلب هو خمر، اكتفى بطلب عصير برتقال لهما بالرغم من أنها لم تطلبه!

- مدام نهى أنت في حل من أن تروي لي حكايتك فأنا لست متطفلًا، ولكن إذا كان هذا عن طيب خاطر منك، ولأن الفضفضة للناس تعتبر وقاية من الأزمات النفسية وقد تساعد على إيجاد الحلول، فأرجوكِ احكِ وتأكدي أنّ الكلام لن يخرج مني أبدًا، ولن يتم استغلاله بأي

حال من الأحوال. أعتقد أن كلامي واضح –قالها بالإنجليزية –

- أنا واثقة من ذلك وسأحكي لسيادتك كل شيء وستكون هذه هي أول مرة أتكلم فيها لغير نفسي وأمي، ولكن قبل أن أحكي قل لي أنت ماذا تعرف عني بالضبط؟

فكر قليلًا هو ينظر لعينيها ثم قال:

- فيما مضى كنت متابع بقوة للحركة الفنية في مصر والآن بعد أن ازدادت أعبائي وقَل وقت فراغي اكتفيت بقدر قليل من المشاهدة، ولكني خلال السنوات الماضية شاهدت لك الفيلم الذي ذكرتيه ثم مسلسلين ناجحين عرضا في رمضان وأيضًا سمعت لك عملًا غنائيًا جيدًا. والحقيقة أنك كنت لافتة للنظر في كل هذه الأعمال لأنك وجه مختلف ولأن تمثيلك طبيعي وصوتك معقول معقول جدًا.ثم فجأة اختفيت، وقيل أنك تزوجتِ من رجل أعمال عربي واعتزلت. هذا كل ما أعرفه.

تنهدت نهى وأطرقت تنظر لصحنها الفارغ ثم رفعت رأسها وقالت:

- نعم هذا ما يعرفه معظم الناس وأنا لن أوجع رأسك بتفاصيل قد لا تهم أحدًا، ولكن سأقص عليك الأحداث الأساسية، تزوجت من جاسم بعد إلحاح غير طبيعي منه.كان يلاحقني في كل مكان، ويغدق الهدايا والمجاملات، ووسط أكثر من واحد أو واحدة ليقنعوني بالموافقة، وأنا كنت قد عاهدت نفسي ألا أفكر في الزواج إلا إذا خفق قلبي بشدة وبعد أن أرسخ قدمي في الفن، وتحت الإلحاح الشديد وبعد أن استمعت إلى نصيحة فنانة معروفة قالت لي أن الفن ليس له أمان وهذا الرجل قد يتيح لك فرصة للعيش الرغد وفي نفس الوقت قد لا يمنعك من الفن، قررت أن أقابله وكان هذا في دبي.كنت أصور هناك مسلسلًا مشتركًا وكانت معي والدتي والتي لا تفارقني أبدًا في أسفاري، تم اللقاء في مكان

عام. وجدته لطيفًا وحنونًا ومتفهمًا وأخبرني أنه وقع في غرامي منذ أول مرة شاهدني فيها في التليفزيون وقرر يومها أن أكون له، وأكد أنه لم يفكر أبدًا في طريق إلا طريق الحلال، وعدته بالتفكير واستخرت الله وشاورت كل من يمكن أن يكون له رأي في هذا الموضوع. المخرج كمال بدر الدين رفض بشدة وقال: ستندمين. الفنان المعروف منير رمزى قال:إن جاسم معروف لدى الوسط الفني وهو رجل لطيف وطيب وقد لا يحرمك من الفن، الفنانة سميرة أبو زيد قالت: وماله حتخسري أيه؟ أهي تجربة والقوانين دلوقت معانا مش ضدنا وهكذا... وكان لابد لكفة الموافقة أن ترجح بعد أن قالت أمي: الأمان والضمان أحسن يا بنتي من المرمطة، الفن غدار!،، وافقت إذن بعد أن أكد لي أن له زوجة واحدة وهي ابنة عمه، وأنه لا يمكن أن يفرط فيها أبدًا؛ لأنها أم الأولاد ولكنها لا تستحوذ على اهتمامه مطلقًا، وأنني سأكون الكل في الكل وأميرة قلبه! صدقته. وقبل عقد القران قلت له: كلمة أخيرة يا جاسم إذا عرض عليّ عمل فني نظيف وهادف هل ستوافق؟ رد بسرعة وبدون تفكير: لو فعلًا نظيف وهادف ومع ناس محترمين فلماذا أرفض؟ وتزوجنا. كان حفل زفاف أسطوري، ولكن على طريقتهم! وكان هذا في دبي. قضينا شهر العسل في ماليزيا وتايلاند ثم عدنا، أقمنا في جدة يومين ثم في مكة حيث أديت العمرة ثم في المدينة في رحاب الرسول عليه الصلاة والسلام وعند مغادرة المدينة سلمني العهدة! وسكتت نهى.

حضر الجرسون ووضع طعام نهى ثم طعام مصطفى وانصرف.

- مدام نهى، ممكن تأكلي ثم تستأنفي كلامك.
- متشكرة. أناسأتكلم أثناء الأكل إذا كان هذا لا يضايقك؟
- إطلاقًا. تفضلي، وصلنا لحد لما سلمك العهدة. عهدة أيه؟

- سلمني حقيبة فيها حوالي ثلاث عباءات سوداء وأحجبة ونقابين وقال لي يا نهى هذه ملابسك هنا. البسي ما شئت داخل غرفة نومنا، ولكن هذه ملابسك خارج الغرفة ثم أخذ جواز سفري لإتمام إجراءات الإقامة ولم أرى هذا الجواز إلى أن جئت إلى هنا.في الرياض بدأت حياتنا الزوجية. خصص لي مجموعة من الخدم: هنود و فلبينيون؛ سائقون ووصيفات وكوافيرات وكل شيء، عرفت أين تقيم زوجته الأولى وأولادها وتعلمت ألا أقترب من هذا المكان أبدًا وألا أستخدم أحدًا من خدمها أو أي شيء من مخصصاتها.

- أوحت إليّ خادمة فلبينية بأن جاسم متزوج من ثالثة! وعندما أردت التأكد منها تراجعت وقالت يهيأ لى، ولكني لست متأكدة!

- كانت حياة غريبة؛ يحضر إلى غرفتي الأحد والثلاثاء والخميس ويختفي تمامًا في الأيام الأخرى، يسافر أحيانًا ويغيب أسبوعين أو ثلاثة بدون حتى أن يخبرني فقط يتصل بالتليفون من البلد الذي سافر إليه! حدثت مرة بعض الاحتكاكات البسيطة بيني وبين زوجته بدون أي داعٍ، لأنى كنت حريصة ألا يحدث أي شيء يزيد من كآبة الجو الذي أعيش فيه، ولكني فوجئت بها تقول لي بصوت عالٍ:يا مصرية يا وسخة يا رقاصة! أبلغت جاسم بالأمر فتعاطف معي وقال: غيرة يا حبيبتي ألا ترين الفارق بينك وبينها؟ أنت جميلة الجميلات وهى امرأة عادية جدًا! قلت له:

- ياجاسم أنا لم آتِ هنا ليقال لي يا رقاصة وليتك تعرف السبب فى ثورتها. مجرد أني استعنت بسائقها لأن سائقي مريض وفي أجازة!، كنت حاتخنق يا جاسم وكان لازم أخرج. المهم طيب خاطري ووعدني ألا يتكرر هذا. وحتى يخرجني من هذا الجو قرر أن يصحبني في رحلة إلى باريس ولندن وبرلين.استطعت أخيرًا أن أتنفس ورأيت كيف يعيش

الناس العاديون؟ رأيت الناس يعيشون بحرية وانطلاق ويتخذون قراراتهم بأنفسهم، رأيت زوجات مثلي يتأبطن أذرع أزواجهن وحولهن أطفالهن يمرحون و يلعبون. باختصار رأيت الحياة الطبيعية وعرفت كم أجرمت في حق نفسي!

- نهى هانم. حضرتك لا تأكلين وهذا ضد اتفاقنا إما أن تأكلى وتحكى أو تنتظرى حتى تنتهى من طعامك.
- ولكنك أنت أيضًا لا تأكل يا دكتور مصطفى؟
- بجد؟ آه صحيح. معلهش. قصتك شدتني. سآكل تفضلي.

- عدت من أوروبا إلى السجن مرة أخرى، ولكني كنت قد قررت أن أغير الواقع. لا يمكن أن أظل على هذه الحال أبدًا! انتهزت أول فرصة أتى فيها جاسم إلى غرفتي وفاتحته في أن تكون إقامتي في القاهرة وأن يأتي هو إلى مصر متى أراد. رفض بشدة واعتبر أن هذا خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه. تنازلت وطلبت أن تكون إقامتي في منزل مستقل حتى ولو شقة صغيرة قال: سنرى، سنبحث هذا الموضوع، كان شاغلي الأكبر بعد حريتي هو مسألة الإنجاب، فكرت كثيرًاهل أنجب منه؟ هل هو الشخص المناسب ليكون أب لابني أو ابنتي؟ هل هذه الظروف وطبيعة هذه الحياة تناسبني وتناسب مولودي؟ كان إحساس الأمومة أقوى مني فتركت نفسي أحمل إلا أن الله سبحانه وتعالى أرحم بنا من أنفسنا فكان أن أجهضت بعد شهرين والغريبة أنى رأيت إحساس الارتياح على وجه جاسم وعندما واجهته بذلك قال: من الأفضل تأجيل موضوع الإنجاب على الأقل حتى ينساك الناس فيكبر ابنك دون أن يناديه زملائه في المدرسة: يا ابن الممثلة!عندما سمعت منه هذا أدركت أن هذه هي النهاية ونقطة الفراق وقررت أن أطلب منه الطلاق. طبعًا كنت ساذجة وشديدة التفاؤل فعندما طلبت

منه الطلاق. أجاب بمنتهى الهدوء: لماذا؟ يمكننا أن نحل كل شيء بهدوء. أنت تعلمين أنني لا أستطيع الاستغناء عنك قولي لي طلباتك إيش وأنا أنفذها. لم أكن أريد شيئًا، كنت فقط أريد حريتي. خاصمته وامتنعت عنه شهر فلم يبالِ وبعد ذلك قال لي: يابنت الناس أستطيع أن أحصل عليك بالقوة وبالشرع، ولكني سأتركك لتفكري بالعقل. سافر وتركني شهرًا آخر ثم جاء إلى غرفتي وحاول التقرب مني بكل كلمات الحب التي يعرفها ولم أستجب. كان رد فعله عنيفًا، لم أتخيله. فوجئت به يستعمل القوة القوة بمعناها الحرفي! ولا أريد أن أخوض في تفاصيل ستؤلمك قبل أن تؤلمني.

توقفت نهى عن الكلام ورشفت قليلًا من عصير البرتقال وقالت: فعلًا لحم الغزال هنا لذيذ جدًا!

- بالهنا والشفا.

- المهم بعد هذه الواقعة قررت أن أواجه الموقف بما يقتضيه. وكأي إنسانة حتى ولوعلى قدر بسيط من الذكاء أدركت أن موازين القوى ليست في صالحي: هو في بلده ويحميه القانون ومعه جواز سفري ولن أستطيع أن أفعل شيًا لابد أن ألجأ إلى -كيد النساء- كما يقولون! زارني في غرفتي بعد ذلك وقال لي: أنا آسف لما بدر مني، ولكنك أنت التي أجبرتيني على هذا.

- أنا أحبك ولا أستطيع أن أبعد عنك.

- استسلمت له وعاتبته برقة وأقنعته بأني تراجعت عما قلته، ولكن عليه أن يرضيني بالاستجابة لبعض طلباتي، وضع لي مبلغًا محترمًا في الفيزا كارد ووعدني بإعداد مكان جديد لإقامتي وبالتفكير في مسألة الإنجاب. طاوعته مدة شهرين وأبديت له السعادة والرضا ثم طلبت منه

أن نذهب في رحلة إلى لندن؛ متعللة بأني أستريح للإقامة هناك، كما أنني أريد أن أستشير طبيبًا هناك في مسألة نسائية، وافق، رحت أرتب حقيبتي وأضع فيها ما يمكن أن يكفيني لفترة طويلة. في مطار هيثرو وكالمعتاد سلمني جواز سفري لأقف أمام موظف الجوازات، خرجنا ونسي أن يأخذ مني الجواز، وما إن وصلنا للفندق حتى أخفيته في مكان لا يمكن الوصول إليه، بعد يومين تذكره وطلبه مني وهنا حانت لحظة المواجهة، قلت له لن أعطيه لك هذا جوازي ومن حقي أن يكون معي، ثار وبدت عليه علامات الجنون وأصبح على وشك أن يضربني بعنف، قلت له بثبات: أنت هنا لست في بلدك لو لمستني سأصيح بأعلى صوتي وسأستدعي الشرطة فليس من حق الزوج هنا أن يضرب زوجته. طلقني يا جاسم. أنا لن أعود معك طلقني. هدأ قليلا ثم راح يفكر:

- يا بنت الناس ألم أخبرك أنه لا طلاق؟ يمكن أن نحل مشاكلنا بهدوء.

- لاتوجد مشاكل أنا لا أريد هذه الحياة أريد حريتي.

- يمكنني أن أتركك هنا وستكوني معلقة لا أنت متزوجة ولا حرة. اعقلي.

- لو فعلت هذا سأخونك كل يوم مع رجل مختلف حتى ولو مع الحارس الذي يقف على باب الفندق! والناس هنا وهناك يعرفونك جيدًا وستكون فضيحتك على كل لسان. كما أنني سأعتصم بسفارتنا هنا وأنا وجه معروف لذا ستأتي كل الفضائيات إلى لندن.

- أنت تهوشين ولا تستطيعن أن تفعلي هذا. أنت أجبن من ذلك.

- ماشي وإذا استمريت في عنادك سأطلب الخلع وسأقول الحقيقة التي نعرفها أنا وأنت جيدًا.

- هنا أطرق صامتًا ففهمت أنه سيبدأ في الاستسلام.
- قال مصطفى: وما هي هذه الحقيقة؟ هل كان عاجزًا؟
- لا لا شيء آخر مخزي لا أستطيع أن أذكره.
- مفهوم مفهوم وبعدين؟
- بات خارج الفندق هذه الليلة وفي الصباح حضر إليّ وسألني: لأخر مرة هل تصرين على الطلاق؟
- نعم.
- ستندمين صدقيني.
- أنا ندمت بالفعل.
- أنت شحاتة لا تملكين شيئًا؛مهرك الكبير بددته أمك في مشاريع وهمية ومجوهراتك الثمينة في خزنتي.
- آكل عيش حاف، لكن في بلدي.
- المشكلة أنك لن تستطيعين العودة لبلادك؛ هل نسيتِ الشروط الجزائية على العقود التي لم تنفذيها؟
- ألم تقل لي أنك سددتها كلها؟
- لا والله عملت حساب يوم زي ده. وضحك.
- طز مرحبًا بالسجن في بلدي.
- ذهبنا للمركز الإسلامي وتم الطلاق.كان هذا منذ ثلاثة شهور تقريبًا. خلال هذه الفترة تأكدت من كل ما قاله جاسم: عليَ شرط جزائي

في مصر وأمي لم تجنِ أى ثمار من المشاريع التي دخلتها بإيعاز من جاسم. وطبعًا وجدت أن الناس لا تعرفني هنا. فقط مجموعة من الصديقات من الوسط الفني، ومن خارجه ألتقيبهم من حين لآخر وكلهم يعدونني بأعمال فنية أقوم بها من هنا إلى أن أحل مشاكلي في القاهرة. وللأسف كانت كلها وعود زائفةإلا مرة واحدة فقط قمت بعمل إعلان عن عطر جديد وقبضت عربون ولم أحصل على باقي مستحقاتي حتى الآن، وطبعًا كانت المفاجأة الكبرى أمس عندما علمت أن جاسم حرمني من المبلغ الذي كنت أحتفظ به في الفيزا كارد. وهأنذا الآن معي ما يكفيني بالكاد للعيش هنا شهرين أو ثلاثة على الأكثر وليس هذا ما يقلقنيما يهمني هو الحيرة، ما الخطوة القادمة؟

أخذ دكتور مصطفى نفسًا عميقًا وأخرجه ببطء وقال بالإنجليزية:

- «يا إلهي» كنت أظن أن هذا يحدث في الأفلام والمسلسلات فقط، ولكن يبدو أن الواقع أكثر قسوة من الخيال.

مرت لحظات من الصمت راحت نهى تشرب فيها عصير البرتقال ببطء بينما كان مصطفى ينظر إليها بإعجاب وفجأة قال:

- مدام نهى لا أريد أن أخيفك ولكن ألم تفكري في أي رد فعل من جانب جاسم يحدث هنا في لندن؟ لندن مفتوحة وتوجد سوابق كلنا نعرفها، ألم يخطر في بالك حماية نفسك؟

- بالتأكيد فكرت في ذلك ووالدتي تتصل بي يوميًا، وتحاول إقناعي بالعودة خوفًا من انتقام جاسم في المقام الأول، ولكن كيف أتصرف؟ هل أتنكر مثلًا؟ أم أهرب إلى مدينة أخرى أو بلد آخر؟ أما مسألة العودة لمصر فصعب جدًا بصرف النظر عن الشروط الجزائية، ولكن لسبب يتعلق بي

شخصيًا، فأنا لا أتصور أن أعود لمصر هكذا بخفي حنين،مطلقة وبدون أي حقوق وشبه منسية من الوسط الفني، لن أعود لكي أكون مثار شفقة الكل، يمكنني العودة، ولكن بوضع مختلف.

- الحقيقة أنّ موضوعك قابل للحل وليس نهاية العالم. فقط يحتاج إلى وقت وتفكير وحسن تدبير، ولكن الخطوة الأولى التي يجب أن تتخذ هي حمايتك وتأمين حياة كريمة لك هنا حتى نوفر الظروف الملائمة للتفكير الجيد واتخاذ القرار السليم. مدام نهى أنا لا أجيد الكلام، لا أقصد اللغة العربية، فانا أعرفها جيدًا وإن كانت لكنتي مختلفة قليلًا، لكن أقصد أني لا أعرف استخدام ألفاظ معينة في أوقات معينة وهذا يرجع للأيام الطويلة التي قضيتها وحدي لا أتكلم إلا الإنجليزية مع أهل هذا البلد. لذا أرجو أن تفهميني من الكلمات القليلة التي سأقولها. أنا إنسان واضح وصريح ولا أعرف اللف والدوران فقد تركت هذه الصفات في مصر عندما جئت إلى هنا. وكرجل عِلم أعرف أن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم. أنت جميلة بل جميلة جدًا، ولكن هذا ليس معناه أن أي رجل يقابلك في الطريق لابد أن يكون ذئب لامن الممكن أن تقابلي رجلًا يجد أنه من الطبيعي والمنطقي بل من المحتم أن يمد يده للمساعدة. أنت تمثلين مصر بل يمكنني أن أقول أنك فخر للمرأة المصرية. امرأة اكتشفت خطأ وقعت فيه فصححته بنفسها بقوة وبشجاعة وبالحيلة بدلًا من أن تبكي على اللبن المسكوب.

- مدام نهى أنا رجل أعزب أقيم في وسط لندن بالقرب من الجامعة التي أدرس فيها، وأنت سيدة شرقية مسلمة، وبالطبع من العيب أن أقول لك تعاليوأقيمي معي في منزلي. يمكنني أن أحجز لك في أفخم فندق في لندن، ولكن هذا لن يحل المشكلة؛ فالفندق مكان مكشوف ويمكن لجاسم أن يصل إليك فيه بسهولة، كما أن إقامتك فيه ستعرضك للقيل والقال، فمن الذى يدفع فواتير الفندق؟

- ولذا فقد رأيت أنه من الممكن أن تقيمي في منزلي في»كرويدون» من ضواحي لندن، هو منزل واسع وجميل والقطار يوصلك إلى هناك فيأقل من ثلث ساعة هناك ستكونين في أمان وسيكون حولك رجال و نساء أثق فيهم تمامًاسائق ومديرة منزل وشغالة.ستكون لك الحرية في التنقل كيفما تشائين، ولكن في مسار معروف لي ولك منعًا لحدوث أى شيء مما نخاف منه. وطبعًا كما قلت لك سيكون هذا وضع مؤقت حتى نجد حلًا لكل مشاكلك.

- دكتور..

- أعرف ما ستقولينسٌمعتك، وماذا ستقولين للناس؟ أنا سأراك وأقابلك للاطمئنان عليكفقط من وقت لآخر في وجود مديرة المنزل والشغالة كما يمكنني أن أقابلك خارج المنزل. والشيء الأهم الذيأحب أن أقوله لك هو أنني سأستضيفك ليس بصفتي رجل تَعرف على سيدة في مطعم، ولكن بصفتي دكتور مصطفى رضوان عضو في الجالية المصرية بلندن يستضيف سيدة مصرية لها ظروف خاصة.أنت فنانة وأكيد تعرفين أن في الماضي كان عمدة أي قرية له «دوار» يستضيف فيه الأغراب اعتبري هذا دوار العمدة. وبالنسبة لوالدتك وأصدقائك يمكننا أن نتفق ماذا نقول.

- دكتور مصطفى عرضك هذا أكبر من أن أصفه بكلام، ولكن المسألة غير ذلك المسالة داخلي أنا، كيف أتقبل هذا وكيف أقنع نفسي به؟ كيف تستقر حالتي النفسية وأنا في وضع كهذا؟

- إنّ صدمتكِ فيما حدثلكِ جعلك حساسة أكثر من اللازم، وهذا كان واضحًا من البداية؛ من إصرارك علىرد مبلغ حساب المطعم وأنا أقدر لك هذا جدًا، ولكنك تبالغين قليلًا. المسألة بسيطة أنت في أزمة وفي

بلد غريب وهذا ممكن أن يحدث لأي شخص، وأنا بصفتي تقريبًا عمدة المصريين في لندن أصدر إليك الأمر بقبول العرض!

- دكتور..

- ولا كلمة، خلاص غدًا صباحًا ادفعي حسابك في الفندق اللعين وسأرسل إليك سائق هندي سيقلك إلى المنزل، وسأترك لك فترة كافية لاستكشافه وترتيب حاجياتك ثم سآتي للاطمئنان عليك في وجود مسز «طومسون» مديرة المنزل، وهذه فرصة عظيمة لإبعادها لبعض الوقت عن منزلي بلندن؛ فمشكلتها أنها كاملة لا تخطىء منظمة أكثر مني شخصيًا وروتينية إلى أبعد حدود وحان الوقت للاستراحة منها قليلًا! في البداية ابقِ الموضوع سرًا حتى نتفق على صيغة عقلانية نعلنها للمحيطين بك سواء هنا أو في مصر.

- دكتور مصطفى هذا كثيركثير جدًا ولا أجد ما أقوله لأشكرك، ولكن أستطيع أن أقول أن الدنيا بخير.

- اسمحي لي أن أدفع الحساب فقد تجاوزت موعد نومي، و لتضيفي حساب النهاردة على حساب امبارح وكل الحسابات القادمة، وعندما تستعيدين عافيتك الفنية وتقبضين الملايين من أول عمل فني سددي كل الحسابات وابتسم نصف ابتسامته المعهودة.

دخل مصطفى منزله وهو لا يعرف هل تصرف التصرف الصحيح؟هل تسرع؟ إنه رجل له مكانته في هذا البلد وصحيح أن هذا بلد حريفعل فيه الإنسان ما يروق له ما لم يؤثرعلى حرية الغير إلا أنه يخشى من الجالية المصرية والعربية والإسلامية وقد يتسرب هذا الخبرويصبح في موقف لا يحسد عليه. حسم مصطفى هذا النقاش مع نفسه باقتناعه أنه فعل ما يمليه عليه ضميره.

راح مصطفى يدون في عقله ما ينبغي عليه أن يفعله في الغد. لم يكن أبدًا من هواة كتابة أوراق عمل يكتب فيها ما عليه من أعمال فقد كان يمتلك عقلًا منظمًا وذاكرة حديدية. فقط كان يدون المعلومة الجديدة إلى أن تثبت في ذاكرته تمامًا. أوى إلى فراشه وشيء واحد في مخيلته عينان عسليتان.

*****

دخلت نهى غرفتها الصغيرة الباردة. قامت بتشغيل المدفأة وخلعت ملابسها وارتدت عدة قمصان نوم فوق بعضها فقد كانت لا تتحمل البرد، خاصة في هذا الفندق المتواضع؛ فقد كانت صاحبة الفندق تقوم بإطفاء المدفأة توفيرًا للكهرباء. راحت نهى تفكر فيما حدث هل كان من المناسب أن تقبل عرض مصطفى؟ إنه لم يترك لها فرصة للاعتراض، ولكنها من الممكن أن تعتذر بلطف في الصباح كأن تدعي مثلًا أن والدتها أرسلت إليها مبلغًا كبيرًا يمكنها أن تعيش به في مستوى أفضل في لندن أي حجة والسلام. إلا أنها عندما استعرضت حديث مصطفى كله وجدت أن الرجل كان يتكلم من قلبه وأنه ليس بالرجل الذي يلف و يدور ويناور. نامت وهي مستقرة على رأي واحد أن تقبل عرض مصطفى .

****

انتهى مصطفى من ارتداء ملابسه وخرج من غرفته فوجد مسز «طومسون» أمامه باسمة كالعادة.

- مسز طومسون لي قريبة وصلت من مصر حديثًا وستقيم في منزل كرويدون في تمام الحادية عشرة سيأخذك سنج بالسيارة الكبيرة إلى هذا العنوان -وأخرج من جيبه ورقة فيها عنوان نهى- وستكون معك «روز» وعليك الاتصال بها الآن لتجهز نفسها. ستقومين بإعداد المنزل للإقامة والسهر على راحة قريبتي لا أريدها أن تحتاج لشيء، ولا تقلقي، سيقوم سنج بإحضارك من وإلى منزلك يوميًا حتى تنتهي فترة إقامة قريبتي في لندن و...

- دكتور مصطفى، ولكن من سيقوم برعاية شئونك هنا في هذه الفترة؟

- لا عليك سأكتفي بكومار وعلى العموم سأقوم بزيارتكم من حين لآخر هناك هيا.

انطلق إلى عمله بعد أن أصدر أوامره إلى كومار بترتيب كل الأمور خاصة الاتصال بـ سنج، دخل مكتبه وكارلا ورائه تذكره بالمحاضرة الهامة التي سيلقيها في دبلن هذا الأسبوع، شكرها على تنبيهه وأغلق الباب ورائه، رن جرس موبايله وكان المتحدث عصام شعبان.

- ألو أنا عصام يافندم.

- عصام مين؟

- عصام المهندس من طرف الحاجة عواطف.

- أيوة أيوة إزيك خير؟

- خير يافندم أنا بتصل بحضرتك أطمنك. حضرتك أرسلتنى لمستر والاس بخصوص الشغل.

- وحصل أيه؟ ماشغلكش؟

- بالعكس يا فندم ده شغلني في مكتب هندسي محترم وبأجر معقول جدًا!

- كويس جدًا لماذا اتصلت إذن؟

- فقط عشان أشكرك ربنا يخليك.

- ماشي يا عصام يا بني ما تضيعش فلوسك على كلام فارغ خلي بالك هنا من فلوسك وصحتك؛ ده اللي حاينفعك ولو عايز تتعلم إنجليزي كويس ما تصاحبش مصريين ولا عرب عشان تتقن اللغة واللكنة كمان، لو عايز حاجة ابقى اتصل.

- متشكر يا فندم مع السلامة.

في تمام الحادية عشرة والنصف وقفت السيارة الكبيرة ذات الدفع الرباعي أمام فندق مون لايت.صعد سنج إلى الفندق لأخذ حقائب نهى. بينما كانت مسزطومسون وروز تنتظران في السيارة، دفعت نهى حساب الفندق بالكامل وتركت بقشيشًا محترمًا لعاملة الغرف الإنجليزية، ركبت السيارة في الخلف مع مسز طومسون وروز.حيتهما بابتسامتها الرقيقة. أشادت روز بجمال نهى، و حتى مسزطومسون المتحفظة قالت أنها لم تكن تعرف أن من بين المصريات جميلات إلى هذا الحد، وصلت السيارة لكرويدون أمام المنزل الكبير أوقف سنج السيارة وراح ينزل الحقائب.

تفقدت نهى المنزل المكون من طابقين وتذكرت على الفور يوم وصولها للرياض وتفقدها لقصر جاسم أكبر بكثير من هذا المنزل وأثاثه أفخم مائة مرة، ولكن الإحساس الذي أحسته في منزل مصطفى هو الراحة والطمأنينة، إن كل ركن في المنزل يعبر عن ذوق رفيع وإحساس راقى، قطع الموبيليا الحديثة البسيطة، اللوحات الرائعة المعلقة على الحائط، المدفأة في وسط الصالة، البيانو الألماني في أحد الأركان...شتان بين الطمأنينة والألفة وبين إحساس الغربة والكآبة والترقب في قصر جاسم.

ساعدت روز ومسز طومسون نهى في إخراج ملابسها من الحقائب وفرز ما يحتاج لغسيل وما يحتاج إلى كي وما يجب أن يعلق في الدواليب، خيرت مسز طومسون نهى أي الغرف تختار لإقامتها فسألتها نهى عمن سيبيت معها في هذا المنزل الكبير فقالت: أساسًا روز وأنا في يوم أجازة روز، وفي أي غرفة سيقيم من سيبيت معي؟ قالت: في الغرفة المجاورة لغرفتك مباشرة قالت: إذن ساقيم في أي غرفة في الطابق الأسفل.

تفقدت مسز طومسون المطبخ والحمام، وكتبت قائمة بما ينقص المنزل واستأذنت في الخروج مع سنج لشراء كل الطلبات. كان لمسز

«طومسون» ميزانية مفتوحة تصرف منها على المنزلين كما تشاء وبلا حساب، ومن النادر أن يقوم مصطفى بمراجعتها فقد كانت ثقته فيها عمياء وكانت هى محل لهذه الثقة، اتصل مصطفى بنهى في الثامنة والنصف مساءً ينبهها إلى أنه قادم للاطمئنان عليها، في تمام التاسعة دخل المنزل ووجدها جالسة أمام المدفأة ترتدي بنطلون جينز أزرق ضيق و بلوفر وردى..بدت رائعة.

- مساء الخير.
- مساء النور.
- أرجو أن يكون قد أعجبك المنزل؟
- روعة.هل هذا ذوقك يا دكتور مصطفى؟
- الحقيقة أنه اختياري وذوقي، ولكن من تولى التنفيذ هو مهندس الديكور وهو مصري على فكرة.
- ذوق حضرتك رفيع.
- نهى هانم طبعًا لاحظت وجود التليفزيون وطبعًا متصل بالدش وعليه كل قنوات النايل سات وكل الأقمار الأخرى ولو فيه قناة معينة ومش موجودة سهل ممكن نجيبها.
- حاضر حأقلب في المحطات وحأشوف.
- أيضًا في غرفة المكتب هذه –وأشار إليها– يوجد كمبيوتر متصل بالنت السريع، ولكنى أعرف أن السيدات تحب أن تعمل على الكمبيوتر وهي

مستلقية على السرير! لذا أحضرت لك هذا اللاب توب تفضلى.

- دكتور مصطفى.هذا كثير كثير جدًا.

- مدام نهى من غير كسوف.. أي شيء تحتاجين إليه اطلبيه من مسز طومسون فمعها ميزانية مفتوحة. وعلى فكرة أرجو منك الآتي:

- خذي ورقة وقلم من على المكتب واكتبي:

- أولًا: اسم جاسم بالكامل ومقره وأرقام تليفوناته، ثانيًا: أسماء الشركات والمنتجين اللذين تعاقدتِ معهم قبل سفرك من مصر، ثالثًا:عنوانك في مصر وأرقام تليفونات والدتك، وإذا تذكرت شيئًا آخر سأخبرك به.

- أيوة يا دكتور، ولكن لماذا كل هذا؟

- عنوان جاسم لأن لك عنده حقوق يجب أن تستردیها.

- لا أ ريد منه شيء. يكفيني أننى حصلت على حريتي.

- هذا خطأ تنازلنا عن حقوقنا يطمع الناس فينا ويجعلنا لقمة سائغة فى أفواههم، ولكن عندما يشعر جاسم أنك تطالبين بحقك سيعمل لك حساب و سيخشى حتى مجرد محاولة إيذائك.

- أما عناوين المنتجين فهذا لمعرفة موقفك القانوني ولبدء مفاوضات معهم، وبالنسبة لوالدتك فبعد إذنك سأطلب من مستشاري المالي معرفة أوضاع مشاريع والدتك وإمكانية إنقاذ ما يمكن إنقاذه.فهل تأذنين؟

- طبعًا وأكون شاكرة.

- سأنصرف الآن وأتركك لتأخذي حريتك.

- و لماذا لا تتناول معنا العشاء؟

- الحقيقة مرتبط بموعد هام، مرة أخرى تصبحين على خير.

لم تكد تمر ثلاث دقائق على انصرافه حتى اتصل بنهى على الموبايل:

- معلهش نسيت التليفون عندك، فيه دولي، بالطبع يمكنك الاتصال بوالدتك أو بأي شخص في أي وقت، باى.

قالت نهى لنفسها: ينصر دينك يا دكتور مصطفى

****

مرت ثلاثة أيام على نهى في منزل مصطفى... نامت فيها –ولأول مرة منذ شهور–بعمق وطمأنينة وبدون احتياج لتناول أي مهدئات، فراش نظيف ووثير، ومدفأة موقدة طوال الليل، الصباح تقضيه في لندن بصحبة سنج وأحيانًا مسز طومسون تتسوق أو تزور بعض الصديقات، وفي المساء أمام التليفزيون تتنقل عبر الفضائيات، أو تتصفح الإنترنت أو تتحادث مع بعض المقربين لها في مصر.

كانت قد اتفقت مع مصطفى على أن يقولا لوالدتها ولصديقاتها في لندن أنها سحبت مبلغًا كبيرًا من الفيزا واستأجرت هذا المنزل من مصري مقيم بلندن بأجر زهيد بحكم أنها مصرية وفنانة أيضًا.

كانت الأيام الثلاثة الأخيرة في حياة مصطفى أيام عمل وإنجاز، فقد سافر إلى دبلن وألقى بها محاضرة هامة حضرها الطلبة والمهتمين على السواء وحازت على إعجاب الجميع، ثم سافر إلى بروكسل لحضور اجتماع الجيولوجيين، كان من الطبيعي أن يفكر فى شيللا لماذا لايقوم بزيارتها في براغ؟ اتصل بها فقالت

إنها في انتظاره، قضت معه الليلة في أحد فنادق براغ وكانت مفاجأة كبيرة لمصطفى ليلتها عندما وجد نفسه غير راغب فيها على الإطلاق ولا يدرى أى سبب لهذا... فالفتاة جميلة وتحبه وهو يسعد بصحبتها، فما الذي حدث؟ فكرفي أن يكمل ليلته كصديق ويكتفى بالصحبة، ولكن ألن يكون هذا مشينًا بالنسبة له؟ أدى أداءً نمطيًا يحفظ ماء الوجه وسافر في اليوم التالى، كان من ضمن أسباب زيارة مصطفى المفاجئة لشيللا أن يؤجل زيارتها له في لندن حتى لا تكتشف وجود نهى، عندما عاد للندن استقبلته كارلا بحرارة وأخبرته أن شخصًا يدعى الشيخ مشعل أخذ موعدًا لمقابلته اليوم فهل تؤكد الموعد؟ راح يقلب في ذاكرته: مشعل..مشعل .. إنه لا يتذكره، أكدي الموعد يا كارلا.

****

الشيخ مشعل واحد من العائلة المالكة في إحدى إمارات الخليج رجل طويل القامة، في منتصف الثلاثينات، أسود شعر الرأس، وسيم وممشوق القوام، دخل مكتب مصطفى يرتدي حلة فاخرة. عرّف مصطفى بنفسه فحياه الأخير بما ينبغي له من تحية، كان مشعل لطيفًا ومجاملًا أثنى على مصطفى وعلمه وكفاءته ثم دخل في الموضوع مباشرة وعرض على مصطفى العمل في الإمارة في مشروع ضخم وفي نفس الوقت رئاسة قسم الجيولوجيا بالجامعة الجديدة بأجر خرافي وامتيازات غير مسبوقة، فوجيء مشعل برفض مصطفى للعرض.

- سمو الشيخ أنا تحت أمر كل البلاد العربية وأظنك تعلم أنني زرت وأقمت وعملت في كلدول الخليج وكان ذلك لفترات قصيرة وهذا ما يمكنني قبوله، أما العمل بصفة دائمة فصعب عليّ.أنا كالسمكة إذا خرجت من لندن ماتت!
- سيدى، يمكنك أن تجرب، أنت في بلادنا ستكون ملكًا متوجًا!

- وهل كانت زيارتي قبل ذلك إلا تجارب؟ أنا أعرف نفسي أشكرك على عرضك الكريم ومن يدري ربما تسمح الأيام بتغيير الأراء.

انصرف مشعل حزينًا لأنه لم يوفق في مهمته، وقال مصطفى لنفسه: أتظنني يا مشعل باشا لا أعرف ما الغرض من هذا العرض؟ ولكن.

- .ألودكتور مصطفى؟

- أهلًا نهى هانم.

- سعادتك بقالك أد أيه ما أكلتش أكل مصرى؟

- الحقيقة أنا كنت متعود لو اشتقت للأكل المصري بروح لمطاعم معينة بتقدمه، لكن بقالي كتير ما رحتش بيجى سنتين أو أكثر.

- طيب ممكن حضرتك ما تكسفنيش وتقبل عزومتي في بيتك على الأكل المصري اللي تحبه؟

- الحقيقة أنا مش عايز أتعبك.

- مفيش تعب ولا حاجة حضرتك بس حدد الميعاد.

- الثلاثاء تسعة ونصف مساءً ينفع؟

- ينفع جدًا، مستنية حضرتك.بس أحب أعرف أكلة معينة تكون حضرتك مشتاق لها أكثر؟

- بامية بامية ويا ريت أقدر أغمسها بعيش بلدى، متهيألى مش حا تقدري؟

- ربنا يسهل، باي.

استيقظت نهى يوم الثلاثاء مبكرًا وذهبت مع روز بصحبة سنج إلى الأسواق. لم تترك سوبر ماركت إلا ودخلته بحثًا عن بامية مجمدة، وأخيرًا وبعد طول عناء قال لها سنج ولماذا لم تخبريني منذ البداية؟ أنا أعرف مكانًا يبيع كل هذه النوعية من الخضروات وبالفعل، قادها إلى هناك، ووجدت الملوخية المجمدة والبامية وحتى القلقاس، وبعد معاناة أخرى وجدت من يبيع لها خبزًا أقرب ما يكون للخبز البلدي الشائع في مصر.

وضعت نهى «ايشارب» قوي على شعرها وارتدت المريلة ودخلت المطبخ مثل أي ست بيت مصرية عادية تتابع روز وهي تقشر البصل وتقطع الخيار وتعصر الطماطم. إلا أنها تولت بنفسها عملية الطبيخ التي تعتقد أنه لا أحد في هذا البيت يستطيع القيام بها مثلها، استغرقت المهمة وقتًا طويلًا، نظرت نهى لساعتها فوجدتها تقترب من السادسة.. تركت روز تكمل بقية المهمة ودخلت لتأخذ حمامًا ساخنًا.

****

قال مصطفى لـكومار: يمكنك الآن أن تذهب. أنا سأتناول الغذاء بالخارج. قرر مصطفى أن يتخلى اليوم عن ملابسه التقليدية لن يرتدي البدلة فتح دولابه وانتقى فانلة صوفية برقبة لونها فاتح نسبيًا وبنطلون بني وجاكت سبور وطبعًا معطفه معه، صفف شعره جيدًا ووضع عطرًا جديدًا تمامًا، انطلق بسيارته وراح يفكر هل هو مهتم بنهى أم أن واقع الأمر هو ما يحتم عليه أن تشغل حيزًا من تفكيره؟ نهى جميلة بل جميلة جدًا، ولكنه التقى وعرف وعاشر الكثير من الجميلات، نهى فيها شيء مختلف يشده.

في تمام التاسعة والنصف كان مصطفى يقف أمام منزله في كرويدون يدق جرس الباب فتحت له نهى بنفسها، كانت ترتدي جونلة سوداء قصيرة

نسبيًا وبلوفر لبني خفيف مفتوح من الصدر على هيئة رقم سبعة وحذاء بكعب عالي وشعرها الذي- تأكد مصطفى أن لونه خروبي- مصفف على هيئة كعكة بدت أكثر من رائعة، رحبت به وقادته إلى الصالة، شم مصطفى رائحة خفيفة للطعام المعد ولاحظ حركة نشطة لروز ومسز طومسون كما أن أضواء الطابق الأسفل كلها كانت مضاءة شكّل هذا كله جوًا من البهجة والحيوية في المنزل الذى كان حتى الأسبوع الماضي منزلًا كئيبًا شبه مهجور، أثار هذا الجو في نفسه ذكرى منزله في مصر، عندما كانت أمه تدعو أحدًا أو عائلة على الغذاء أو العشاء، فيصبح المنزل كله كخلية نحل.

- دكتور حضرتك تحب تشرب حاجة قبل الأكل؟ عندي عصير برتقال ممتاز.

- مفيش مانع.

- جلس على المقعد وجلست هي أمامه على الكنبة القريبة،لاحظ جمال ساقيها!

- تعبت نفسك.

- ولا تعب ولا حاجة ده أقل شيء أقدمه لحضرتك أنا عملت ملوخية بالأرانب وقلقاس ومحشي ورق عنب وكباب حلة، لاحظت انتظاره لشيء ما ..لأ.. حضرتك ماتخافش أنا لفيت الدنيا ولقيت البامية والأهم من كدة لقيت عيش بلدي!

- كدة؟ أنا جعت يللا على السفرة.

- جلس على المائدة يحدق في الأصناف غير مصدق أن التي أمامه الآن ممكن أن تصنع هذا الطعام وهي التي تبدو كمن لم تدخل مطبخ في

حياتها!

- حضرتك تحب البامية الأول ولا الملوخية؟

- حأخد شوية ملوخية صغيرة وأرز وورك أرنب وبعدين أحلى بالبامية! قال ذلك وضحك ربما لأول مرة منذ سنين!

- قبل أن يأكل فوجئت نهى به ينادي روز ومسز طومسون ويطلب منهما أن تجلسا على المائدة قائلًا: لا بد أن تتعرفا على المطبخ المصري، جلستا وراحتا تتذوقان الأصناف المختلفة.

- تناول مصطفى معلقتين من الملوخية بالأرز ثم قال لنهى: حضرتك متأكدة أنك أنت من صنع هذا الطعام؟

- طبعًا يا فندم وللأمانة اتصلت بماما مرتين لأخذ المشورة..

- بصراحة حاجة رائعة، لكن مش حأحكم حكم نهائي إلا بعد ما أتذوق البامية!

أخذ مصطفى معلقتين من البامية عصر وعليها ليمونةكبيرة، أمسك برغيف الخبز البلدي واقتطع منه جزءً وصنع منه ما يسمى عند العامة في مصر «ودن القطة» وراح يغمس البامية بشهية مفتوحة وأريحية وانسجام ابن بلد يأكل مع أمه أو أخته، ونهى تشعر بسعادة أم جاء ابنها من سفر طويل ليأكل معها!

- بصراحة يا مدام نهى أنا شاكك فيك، شكلك لا يدل أنك من الممكن حتى أن تدخلي المطبخ، ولكن هذه البامية تشهد لك؛ إنها تذكرني ببامية أمي الله يرحمها.

- ضحكت نهى حتى بدت بوضوح السنة اللؤلؤ التي تزين أسنانها، وقالت:

ماهو مش معقول تكون روز أو مسز طومسون طبخوا الأكل ده. أنا من صغري أدخل المطبخ مع ماما ولم أتوقف عن هذا إلا في فترة السعودية. فترة الكبسة والمبشور وخلافه!

- برافو عليك، أنا حقيقي استمتعت بالأكل أنا متشكر جدًا.

- لأ حضرتك لسة فيه شيء معلهش، مفاجأة حاتعرفها بعد ما تغسل إيدك و نقعد في الصالة.

قال مصطفى وهو يغسل يديه ثم يجففها بالفوطة التي أحضرتها مسز طومسون: ما رأيك يا مسز طومسون في طعام نهى؟

- رائع يا سيدي، ولكنه يحتاج لمعدة قوية! ضحكت ثم استطردت: عمومًا مسز نهى شخصية رائعة.

جلس مصطفى في الصالون ينتظر المفاجأة، حضرت نهى بعد قليل ووراءها روز تجر عربة الشاي، فوجيء مصطفى بصينية كبيرة على العربة قال لنهى: ما هذا؟

- شيء حضرتك بتحبه، ولم تأكله منذ فترة.

- إوعى تقولي قرع عسلي؟

- بالضبط. وحضرتك حاتشرب معاه شاي بالنعناع.

- نظر مصطفى لعينيها العسليتين وقال: ولكن من الذي أخبرك بهذا؟

- العصفورة!

- لأصحيح؟

- مسز طومسون حكت لي عن اليوم الذي طلبت فيه منها أن تعده لك كصينية بالبشامل كما تعودت أن تأكله في مصر ففشلت فشلًا ذريعًا!

- أيوة أيوة فاكر ومن يومها وأنا أذكرها بهذا حتى تتقن الطبخ، بس ده كتير يا مدام نهى، خليني أذوق كدة.

- راح مصطفى يأكل قطع قرع العسلي ويرشف الشاي بالنعناع بتلذذ وراحت نهى تراقبه بتلذذ أكبر!

- قال فجأة و بنبرة جادة:

- على فكرة أنت بتخدعيني أنا أكلت وحدي وأنت يا دوبك لقمة عشان تحتفظي برشاقتك!

- لا يا فندم، حضرتك بعد ما تمشي حأخلص الأكل ده لوحدي .. ضحكا سويًا.

أحست نهى أن مصطفى كان كالمقيد أو من يتحرك في إطار محدد ثم فجأة جاء منفك قيده فانطلق، أحست أن الشخصية المتحفظة التي تعرفت إليها من أسبوع أصبحت أقل تحفظًا، قررت أن تحاول أن تجعل أبو الهول ينطق، إنها تريده أن يتكلم حتى تراه وتعرفه، ساد الصمت للحظات كان خلالها مصطفى يرتشف الشاي بالنعناع ببطء وينظر لنهى نظرة هو نفسه لا يعرف معناها!

- حضرتك أخر مرة كنت في مصر امتى؟

فوجيء بالسؤال لأن طبيعته المتحفظة كانت تحول بين الآخرين وبين إلقاء أسئلة كهذه عليه.

- الحقيقة أنا زرت مصر من حوالي عشر سنين، ولكن كانت زيارة علمية

بحتة ولم أمكث إلا يومين وفي فندق وفي شرم الشيخ وليس في القاهرة!

- ياااه، ويا ترى ليه حضرتك ما بتنزلش؟ المشاغل الكتيرة طبعًا؟

- ليس لي أحد في مصر، والدي ووالدتي متوفيان، وكذلك أخي، وأختي تقيم مع زوجها الطبيب في الرياض وأحيانًا التقي بها هناك وأحيانًا تأتي هي لزيارتي هنا.

قال ذلك وهو مقطب الجبين فخشيت نهى أن تسأله سؤالًا أخر.

- أكيد سأفكر في زيارة مصر قريبًا.

- يا ريت يا فندم، مصر اتغيرت جدًا في السنين اللي حضرتك غبتها.

- إلى الأحسن إم إلى الأسوأ؟

- فوجئت بالسؤال فقالت: أكيد فيه حاجات وحاجات.

قام فجأة من مقعده ومد يده إلى نهى ليسلم عليها قائلًا:

- مدام نهى أنا متشكر جدًا على هذا اليوم اللطيف، حقيقي أنا كنت سعيد اليوم، ولكني مضطر للانصرف الآن.

لاحظت نهى تغير وجهه وعبوسه..ليس هو الرجل الذي كان يضحك الآن، إنه رجل أول لقاء، تشجعت وقالت:

- أنا آسفة جدًا يا دكتور لو كنت تعديت حدودي وسألتك بعض الأسئلة، ولكن والله ليس هذا تطفل مني، فقط كنت أريد أن أسمعك كما تكرمت وسمعتني.. نوع من المشاركة يعني.

- و لماذا تصورت أن أكون قد غضبت؟

- قيامك فجأة وعبوس وجهك و..

- لا لا أبدًا أنا هكذا وعندما تعرفينني أكثر ستتعودين على ذلك، أنا سعدت بعزومتك وأسئلتك.

- هل أطمع إذن في مرة قادمة وقد أتجرأ وأسال بعض الأسئلة بدون تجاوز طبعًا؟

- هل أنت صحفية أم فنانة؟

- أنا فقط إنسانة تريد أن تتعرف على إنسان أضاء لها شمعة في ليل حالك الظلمة.

- ده كلام كبير جدًا...أعدك بزيارة قريبًا واسألي كما تريدين.

اتصلت شيللا بمصطفى من مطار هيثرو، لم يفرح بالمكالمة وفكر في عدم الرد ثم وجد نفسه يضغط على الزر الأخضر.

- أهلا شيللا من أين تتكلمين؟
- من هيثرو، هل أنت متواجد؟ متى ستعود من العمل؟
- كالمعتاد، ولكن تعالي إلى منزل لندن.
- لماذا؟ إن منزل كرويدون أوسع.
- الحقيقة أنه توجد هناك عائلة صديقة من مصرتقيم فيه لبعض الوقت.
- أوكي.
- كومار موجود، خذي راحتك إلى أن أجيء.

شيللا حضرت في الوقت غير المناسب. قال مصطفى لنفسه: ليت إقامتها تكون قصيرة هذه المرة، تردد قبل أن يمسك بموبايله ليتصل بنهى، حسم الأمر بأن أقنع نفسه بأنه يريد فقط أن يشكرها!

- نهى هانم؟ أتمنى ألا أكون قد أيقظتك؟
- حضرتك الساعة الآن الحادية عشرة والنصف صباحًا.. أنا فنانة نعم، ولكن أستيقظ مبكرًا!
- الحقيقة أنا أردت أن أشكرك بشدة على العزومة؛ لقد ذكرتني بالأيام الجميلة.
- إن شاء الله أيامك كلها جميلة.
- ألا تريدين شيء؟

- حضرتك مش مخليني عايزة شيء، أدركت نهى أنه هو الذي يريد شيئًا فرأت أن تسهل عليه المهمة.

- ولكن حضرتك وعدتني بزيارة أخرى أرجو أن تكون قريبة.

- طبعًا طبعًا، ولكني أرى أن ترفهي عن نفسك قليلًا، معلوماتي أنك لا تخرجين كثيرًا من المنزل، لماذا لا تقبلي أنت دعوتي على العشاء خارج المنزل؟

- بكل سرور، ولكن هذا دليل على أن طعامي لم يعجبك!

- يا خبر.. معقولة، الدليل على أنه أعجبني أنني سأقبل عزومتك، ولكن بعد عزومتي.

- ماشي، امتى عزومتك؟

- فكر مصطفى في أن شيلا هنا ولا يعرف متى سترحل.قال:

- مبدئيًا بعد غد في التاسعة، ولكن سأؤكد الموعد، قبل أن أنسى لماذا لا تقومي بدعوة والدتك لزيارتك هنا؟ أعتقد أنها مشتاقة لك وأنت أكثر.

- هذا كرم كبير من حضرتك، سأدعوها وربنا يسهل.

دخل علي فريد المحامي على مصطفى في مكتبه.

- حمدًا لله على السلامة يا علي.

- متشكر يامصطفى باشا.

- سبع ولا ضبع؟ مش كنا بنقول كده في مصر؟

- سبع طبعًا، أحضرت لك كل المعلومات عن نهى خطاب وجاسم وعلية الألفى والدة نهى، بالنسبة للموقف القانوني لنهى فلا أعتقد أنه خطير؛ يمكننا تسوية الموضوع مع المنتج ينبرد العرابين مع بعض التعويض، مصطفى باشا، احنا عشرة قديمة ومصلحة واحدة من زمان، أرجو أن تصارحني ما الذى يهمك فى أمر نهى خطاب؟

إذن هذا موسم الأسئلة – قال مصطفى لنفسه – بالأمس نهى واليوم على فريد، أنا لم أتعود على هذه الاستجوابات.

- أنت تعرف علاقتي بالجالية المصرية وقد لجأت إلي نهى تطلب المشورة لذا استعنت بك هذا كل ما فى الأمر.

- فقط؟

نظر إليه مصطفى نظرة نارية وقال: فقط.

- على العموم، المعلومات عند سيادتك وعندما تأمرني أن أنفذ.سأنفذ.

- متشكر يا علي متشكر جدًا.

أمسك مصطفى بالملف وراح يقرأ، اهتم أولًا بالفقرة الخاصة بنهى: نهى كمال خطاب، واحد وثلاثون سنة، خريجة آداب قسم اللغة الفرنسية، وقبل ذلك مدرسة الراهبات الفرنسية بمصر الجديدة، بدأت رحلتها الفنية منذ كانت في الجامعة بتصوير بعض الإعلانات والكليبات، وكان هذا مثار خلاف بينها وبين والدتها من جهة وبين والدها من جهة أخرى. توفي الوالد بعد ذلك فأخذت خطوات إيجابية في الفن - ثلاثة أفلام وأربعة مسلسلات وأغنيتان - أمها كانت ترافقها في كل تنقلاتها وتلازمها أثناء التصوير، عمومًا البنت ملتزمة، ولم يكن لها علاقات تذكر، يحتمل أن تكون قد نشأت علاقة عادية بينها وبين الممثل الشاب كريم سليمان، جمالها لفت نظر رجل الأعمال المعروف جاسم بن نايف فألح عليها بالزواج ووافقت وسافرت معه لبلاده منذ ثلاث سنوات ثم انقطعت أخبارها.

انتقل مصطفى إلى الفقرة الخاصة بعلية الألفي ولفتت نظره هذه العبارة: «سيدة أعمال بالفطرة» كان لديها بوتيك تبيع فيه الملابس النسائية الجاهزة، أرادت أخيرًا أن تحوله إلى مصنع كبير، لم يكن دكتور مصطفى بأي حال من الأحوال بالرجل السهل العادي الذي من الممكن أن يزج بنفسه وباسمه في موضوع دون أن يحصل على المعلومات الكافية عنه .. وهاهي المعلومات أمامه وعليه أن يقرر.

دخل مصطفى منزله فعرف من كومار بوجود شيللاأحست بقدومه فخرجت من غرفتها بملابس النوم لتحيته غير مبالية بوجود كومار

- هلا تناولت معي الطعام ؟ لقد انتظرتك.

- لا مانع، سأغير ملابسي وأحضر حالًا.

تناول مصطفى الطعام كأداء واجب وأحست «شيللا» بتغيره..

- مصطفى..ماذا بك؟

- ماذا؟

- منذ زيارتك لي في براغ وأنت لست على ما يرام، ماذا حدث؟ هل توجد أي مشاكل؟

- على الإطلاق، ولكني أواجه فقط بعض الصعاب في العمل.أنت بمنأى عن هذه المشاكل.

- كنت ترحب بي دائمًا أكثر من هذا، وكنت أحسد نفسي على معاملتك لي.

- و سأظل أرحب بك دائمًا. انتهى الموضوع يا شيللا. قلت لا شيء حدث، أنت بعيدة عن مشاكلي. هيا الطعام سيبرد.

انتهى هذا اليوم على خير بالنسبة لمصطفى، أدى الأداء النمطي مثل يوم براغ، وآوى إلى غرفته، لأول مرة يفكر مصطفى في الحلال والحرام بعد لقائه بشيللا، لم ينتهِ اليوم على ما يرام بالنسبة لشيللا؛ فهي أنثى ذكية تعرف تمامًا إذا كان رجلها معها بكل كيانه أم أن الذي تم هو ميكانيكية العلاقة فقط، لابد أن في الأمر شيء.

في الصباح طلب مصطفى من كومار أن يعرف من شيللا موعد مغادرتها لندن وأن يخبره بذلك على الفور، دخل مكتبه في الجامعة وراح ينتظر مكالمة كومار بفارغ الصبر فلما انتصف النهار ولم يكلمه اتصل هو به وعلم منه أن شيللا لم تستيقظ بعد لذا لم يسألها، كان كل ما يهم مصطفى أن يؤكد لنهى على الموعد! أخيرًا اتصلت شيللا.

- حبيبي لقد نمت طويلًا الليلة، معذرة ما برنامجك اليوم؟
- كما تريدين.
- لابد أن يكون برنامجًا حافلًا لأني سأرحل مبكرًا غدًا.

«ياما أنت كريم يا رب سترحل غدًا» -قال مصطفى لنفسه وابتهج-

- سيكون لنا برنامج رائع اليوم، سأحضر في الخامسة والنصف ويمكن أن نذهب للسينما ونتعشى بالخارج. أوكي؟
- ممتاز أنا بانتظارك.

أسرع مصطفى بالاتصال بنهى وأكد موعده معها.

دخلت كارلا المكتب وقالت: عصام شعبان بالخارج ينتظر الإذن بالدخول.

- من عصام شعبان؟؟
- قريبك!
- ولماذا جاء، ألا يعمل في كارديف؟ ادخليه.

دخل عصام ومعه لفافة كبيرة وقال:

- السلام عليكم، أعرف أنه من الذوق أن أتصل بحضرتك قبل المجيء، ولكني حضرت إلى لندن لاستقبال زوجتي وابني، ستصل الطائرة بعد ساعتين فكان لابد أن أمر على سعادتك.

- اتفضل يا بني.

- أنا لن أعطل سيادتك، فقط أرجو أن تقبل هذه الهدية، فتح اللفافة وأخرج ما فيها، فوجد مصطفى بين يديه مصحفًا كبيرًا جدًا ومذهبًا ويبدو غاية في الجمال.

- شيء رائع، ولكن بالله عليك كيف حصلت على مصحف كهذا في بريطانيا؟

- من المركز الإسلامي.

- حبيبي أنا أعرف المركز جيدًا، ليس فيه مصحف كهذا.

- سألتهم فدلوني!

- أنا متشكر جدًا، ولكن ما المناسبة؟

- هذا شكر لسيادتك وعرفان بالجميل.

- و برضه ركبت دماغك وجبت عيالك؟ وحياتك حايعطلوك.

- معلهش يا فندم أنا أشعر بالاكتئاب هنا، وهذا سيؤثرعلى دراستي وعملي.

- على العموم لو واجهتك أي مشاكل اتصل بي دون تردد، وشوية كدة وحانشوف ممكن نعمل أيه مع مراتك، قلت لي هي مهندسة؟

- طبيبة يا فندم.

- ماشي، يللا الحق الطيارة.

انصرف عصام، أخذ مصطفى المصحف واسترجع عادة قديمة كان يزاولها في مصر: يفتح المصحف عشوائيًا ويرى ماذا يقول له فعلها الآن وقرأ: « من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور» أحس بقشعريرة تسري في بدنه.

*****

حاولت شيللا بكافة الطرق أن تعيد مصطفى إلى الحظيرة،ارتدت من الملابس ما تعرف أنه يعجبه و يثيره، انتقت من كلمات الحب ما يذيب الحجر، لم يصدها ولم يقل لها أي كلمة تعبر عن الملل أو عدم الاهتمام، ما كان ينقص لقائهما في هذا اليوم هو « الروح»، ذهب معها للسينما وبالكاد استطاع أن يتابع أحداث الفيلم، ذهبا لمطعم فاخر وتناولا طعام العشاء، عشاءً ملأ معدته، ولكن شتان بين امتلاء المعدة وبين شبع المذاق الجميل!، قد تكون شيللا قد خدعت بمظاهر هذا اليوم، ولكن وسواسها ظل يقظًا خاصة وقد أطال مصطفى من وقت العشاء حتى يعودا للمنزل متأخرين؛ فيهرب من اللقاء النمطي!

تحدث مصطفى مع نفسه: ما الذي حدث؟ هذه الفتاة الرائعة التي كانت تملأ حياتك الكئيبة بهجة وسعادة ما الذي غيرك من ناحيتها؟ هل شاخ الجسد أم أن القلب مشغول؟ اعقل يا مصطفى نهى خط أحمر، موضوع شائك، حقل ألغام، بلاش كلام فارغ نهى واجب ورد فعل طبيعي فقط لا غير.

انتهى اليوم على خير.

تمام التاسعة مساءً، نهى في أبهى صورة؛ فستان سواريه بنفسجي غامق مكشوف قليلًا، الشعر مصفف بطريقة مختلفة تمامًا عن كل مرة، قرط ماسي طويل، ماكياج خفيف، وإن كانت الألوان الطبيعية التي حباها بها الله تجعلها لا تحتاج لماكياج على الإطلاق!، أوصلها سنج إلى منزل مصطفى بلندن، لم تدخله، ولكن نزل مصطفى وفتح باب السيارة السبور..ركبت..وركن سنج السيارة الكبيرة وانصرف.

- لماذا بدلنا السيارة يا دكتور؟
- الحقيقة أنا لا أرتاح إلا في هذه السيارة.
- معك حق دمها أخف.
- أخبارك أيه؟
- ممتازة، الحمد لله.
- خير؟ فيه جديد؟
- لا .. فقط قبضت اليوم باقي مستحقاتي عن الإعلان! وش حضرتك حلو عليّ!
- ألف مبروك، عقبال الأفلام الكبيرة. أنا سعيد أنك قبلت دعوتي.
- لا أستطيع أن أرفض.
- تغير وجهه وقال:طبعًا تستطيعن أن ترفضي وأرجو أن تكوني قد حضرت لأنك راغبة في ذلك وليس لأنك محرجة أن ترفضي.

ضحكت نهى وقالت: هل هذه الغضبة مثل غضبة يوم الجمعة «عادي وسوف أتعود عليها «؟ والله أنا أقصد أنني لا أستطيع أن أرفض دعوة من دكتور مصطفى لأن هذا شيء كبير!

- متشكر جدًا. أنا فقط أردت التوضيح و التأكيد على حريتك.

- دخلا المطعم الفاخر. قادهما الجرسون إلى مائدتهما المحجوزة مسبقًا والموضوع عليها ورد أحمر جميل وشمعتين.

- ما رأيك في المكان؟

- رائع.

- منزل كرويدون والأكل المصري والحركة النشطة التيدبت فى المنزل يوم الجمعة الماضي أروع بكثير، ولكن معلهش التغيير مطلوب..

طلبا الطعام وأسلمت نهى له القياد قائلة: واضح أنك ذواقة ولذلك سأتركك تختار لي، وعمومًا أنا آكل كل شيء!

- مدام نهى.

- قبل أن تكمل، أنا ممكن أقول لك «دكتور» مصطفى احترامًا على الأقل للمكانة والدرجة العلمية، ولكن أرجوك كفاية «نهى» بدون مدام.

- حاضر، نهى بس على فكرة لن تجدي اثنين إنجليز يقول أحدهما للآخر دكتور فلان، فهذه الألقاب لها استخدام آخر، لكننا في مصر على العموم لنا طريقتنا، ناديني بما شئت مش مشكلة! نهى..أريد أن أسألك سؤالًا مهمًا وأساسيًا وأرجو أن أكون مفهومًا هل ما زلت تريدين أن تكملي حياتك كفنانة؟ سأحتاج لشيء من التفصيلأنا أعتقد أن كل إنسان لديه هاجس ما يسيطر عليه؛ فهناك مثلًا من تسيطر عليه فكرة أنه «مظلوم وضحية» ... ويظل طوال عمره يعتقد هذا وأحيانًا بدون مبررات... أنا مظلوم وضحية أنا مظلوم وضحية، ويعيش ويموت ومعه هذا الهاجس، ويسوق كل أحداث حياته لتكريس هذا المعنى: مظلوم

و ضحية. وهناك شخص يسيطرعليه هاجس أنه مهم جدًا أوغني جدًا وقد يجعله هذا الهاجس مهمًا بالفعل أو غنيًا بالفعل، وهناكأشخاص أكثر طبيعية لديهم هاجس أنهم لا بد أن يكونوا أشخاصًا ناجحين يشار إليهم بالبنان منهم من يتحقق له هذا ومنهم غير ذلك، ولكن في النهاية الهاجس موجود معه، بالنسبة للفنان الحقيقي كون هاجسه هو فنه، لديه إحساس بأن لديه طاقة ما..إبداع ما .. يريد أن يسعد به الناس فيسعد هو أيضًا، نهى ..هل لديك هذا الهاجس؟

- مصطفى باشا- أظن حلوة باشا دي- مقدمتك رائعة، وليس فيها شيء من الجيولوجيا! وإجابتي هي نعم نعم لدي هذا الهاجس،وهو الذي دفعني للتمرد على جاسم، ليس فقط العبودية أو سوء المعاملة، ولكنه أساسًا هذا الهاجس.

- إذن فنحن متفقان. لابد أن تكون أول خطوة هي العودة للفن.

- قالت فجأة وبطريقته وحضرتك ماذا كان هاجسك؟ هل كنت تتمنى بالفعل أن تكون عالم جيولوجيا؟

قال مصطفى لنفسه لا تلومها فأنت الذي قلت لها «اسألي كما تريدين» سكت قليلًا ثم قال بتردد وبين كل كلمة أو جملة وأخرى فترة صمت:

- الحقيقة أنا كنت أتمنى أن أكون جراحًا، وبالذات جراح مخ وأعصاب أو قلب وصدر.. شيء صعب والسلام، كنت أرى في نفسي كل المقومات لذلك، كنت متفوقًا في دراستي ..الأول على الفصل، وأحيانًا قليلة الثاني، ولذلك لم يكن يراودني أي شك في أنني سأحقق حلمي، ولكن في خلال عام الثانوية العامة وقعت أحداث كبيرة ومشاكل لا حصر لها أثرت على تركيزي وتشتتت أفكاري فلم أحصل على مجموع كلية الطب، حصلت على مجموع يدخلني الصيدلة أو الأسنان أو السياسة

والاقتصاد، ولكني فضلت أن التحق بالعلوم و بالذات قسم الجيولوجيا، وقررت أن أكون أستاذًا جامعيًا، كان هاجسي هو أن أنجح أو أكون إنسانًا مهمًا أيًا كان المجال، ها قد حضر الطعام، ووقت الطعام لا كلام.. صح؟

- صح.

راح الجرسون يضع أصناف الطعام على المائدة، استأذن مصطفى وأخذ صحن اللحم الخاص بنهى وراح يقطعه قطعا صغيرة بحرفية وسهولة، ثم وضعه أمامها.

- متشكرة جدًا.

أثناء الطعام كانت تعزف في الخلفية موسيقى أغنية انتبه لها مصطفى على الفور، قال لنهى: هل تعرفين هذه الأغنية؟ لا بد أنك تعرفينها فهي أغنية فرنسية وأنت ثقافتك فرنسية «مدرسة وجامعة و..

- وكيف عرفت؟ أنا لم أذكر ذلك على الإطلاق!

أدرك مصطفى خطأه؛ فهو بجملته الأخيرة كأنه يقول أنه جمع معلومات عنها!

- ربما أكون قد عرفت من مجلة أوحديث تليفزيوني..المهم هل تعرفين الأغنية؟

- أعتقد أنها أغنية لأنريكو ماسياس؟

- فعلًا هو المطرب الجزائري اليهودي هاجر من بلاده فغنى هذه الأغنية: وداعًا بلادى -قالها مصطفى بفرنسية سليمة- أنا لم أدرس الفرنسية إلا بالقدر البسيط في الثانوي، ولكني تعلمتها هنا.. سكت قليلًا وقال: أخذت دروسًا لأتقنها... - الحقيقة أنه

تعلمها من الفتاة الفرنسية التي صادقها لثلاث سنوات أيام دراسته في بريطانيا!- لم أعرف معاني الأغنية إلا بعد أن أحببت اللحن: تركت بلادي .. تركت منزلي ...تركت حياتي البائسة... تركت شمسي و بحري الأزرق... أتذكر الآن بعد أن رحلت. تركت صديقة....مازلت أرى عينيها المبللة بدموع الوداع..

قال مصطفى هذه الكلمات، فصنعت مع فرنسيته السليمة وهدوء إلقائه جوًا من الدفء وإن كان لا يخلو من الدهشة بالنسبة لنهى.

- دكتور مصطفى.. أنت اليوم مختلف.. مختلف جدًا. أعتقد أن فرنسيتك أفضل من فرنسيتي. سأتكلم معك بها حتى أتذكرها وأقويها!

- أنت تبالغين. وابتسم نصف ابتسامة!

تناولا طعامهما باستمتاع بينما كانا يتبادلان أحاديثًا دارت مابين حياة نهى السابقة للفن وحياتها في منزل جاسم وأيام لندن الأولى.استمع إليها مصطفى بشغف، وفجأة وبدون مقدمات وعلى طريقته قالت نهى:

- ممكن حضرتك تقول لي ما الظروف التي حدثت وأثرت على تركيزك في الثانوية العامة؟ قالت ذلك وأمسكت بحقيبة يدها مبدية استعدادها للرحيل ضاحكة وقائلة: أنا عارفة أن قنبلة ستنفجر والله لو السؤال ده هايضايقك بلاش منه!

ضحك مصطفى كما لم تشاهده نهى من قبل وقال:

- لا لا اقعدي هاحكيلك، ولكن ممكن ده يكون عندك وأثناء تناول طعام مصري؟! اعتبري أني بأجل الكلام عشان أحظى بعزومتك. ممكن؟

- طبعًا ممكن، حضرتك حدد الموعد، كده بقى يبقى حضرتك مثل شهرزاد عندما كانت تشوّق شهريار لسماع حكاياتها!

- حاجة زي كدة.

*****

قال مشعل لـ دينو وهما يجلسان في إحدى بارات لندن

- لقد رفض اللعين العرض.

- ومالعمل؟ ما الخطة البديلة؟

- ليس أمامنا إلا الإلحاح مرة ومرتين وثلاثة.

- أو التهديد؟

- ممكن طبعًا ولكن بم نهدده؟

- سنبحث في هذا وسنجد شيئًا.هل تظن أن الرجل يحتفظ بعلمه وبالمعلومات الجديدة ليعطيها لمصر؟

- مصر؟ لا أعتقد هذا. لقد خرج منها منذ وقت طويل بدون سبب معروف على وجه الدقة وإن كان ممكن استنتاجه. خرج ولم يعد، ومعظم علاقاته –رجالًا ونساء– من الأوروبيين، ولغته العربية لكنتها غريبة – هذا إذا تكلمها– والأهم من ذلك هويته الدينية المشكوك فيها، فالكثيرون يرون أنه يصلي الجمعة في المركز الإسلامي مجاملة للجالية فقط.

- ولكنه يساعد الجالية ويقدم لها خدمات واضحة كما سمعت.

- هو مضطر لذلك؛ سياسة يعني.

- دعنا لا نسبق الأحداث وسنأخذ رأي الجماعة هناك وسنبحث في الماضي السحيق!

قررت نهى أن تكون العزومة القادمة أجمل وأروع وأكثر حميمية، ولم لا وقد زال الحاجز النفسي بينهما واستطاعت أن تجعله أولًا يبتسم ثم يضحك وأخيرًا استطاعت أن تجعله يتكلم! أكدت عليه الموعد وسألته إن كانت له طلبات معينة، فقال لها راغبًا أن يعجزها:

- أيوة بليلة أو عاشورا، طبعًا مش حاتعرفي؟
- ياسلاام دانا بعملها وأنا في خامسة ابتدائي!

****

- ألو مدام نهى؟
- نعم.
- أنا زين الدين من طرف الأستاذ جاسم.
- أسقط في يدها. تمالكت نفسها وقالت:
- خير؟
- عندي رسالة من الأستاذ جاسم. ممكن أقابلك وأعطيها لك؟
- لأ غير ممكن، قل لي مضمون الرسالة الآن.
- أفضل أن تتسلميها بنفسك. قد يكون في الأمر خير.
- أرجوك قل لي مضمون الرسالة الآن.
- على العموم حضرتك حرة. الأستاذ جاسم يريدك أن تفكري بعمق في عودتك إليه. باقي على فترة العدة حوالي أربعة أيام. ويقول لك ممكن إصلاح كل شيء ولتكن بداية جديدة.
- أرجوك أبلغه شكري، ولكن كل شيء انتهى، وكل شيء قسمة ونصيب وربنا يوفقه ويوفقني.

في تمام التاسعة مساءً كان مصطفى رضوان يدق جرس باب منزله في كرويدون ومثل المرة السابقة كانت نهى هي التي فتحت له الباب.

- أهلا وسهلًا. تصورت أن المطر والعاصفة قد تؤخرك قليلًا،لكن الحمد لله جئت في الموعد.

كانت ترتدي تايير كحلي تحته بلوزة زرقاء. والشعر حر منسدل والكعب عالي. يبدو أن العاصفة شديدة. لم أرمثلها من مدة.

- تفضل.

- ما أخبارك؟

- توجد أخبار، اتصل بي أمس مندوب عن جاسم وأراد مقابلتي. رفضت فأبلغني رسالة منه، يرغب أن أعود إليه، أبلغته رفضي.وباكر تنتهي العدة.

- كان يريد مقابلتك ليعرف مكانك!

- فطنت لذلك.

- على العموم سنرى رد الفعل.

رحبت مسز طومسون وروز بمصطفى وقدمتا له عصير البرتقال. قالت نهى باسمة: طبعًا البامية موجودة، لكن برضه أحب أن حضرتك تجرب الأصناف الأخرى مثل الكشك، محشي الكرنب وحاجات تانية كتير. تفضل.

- من البداية عشان مانزعلش من بعض لو ضحكت عليّ زي المرة اللي فاتت وسيبتيني آكل وحدي حابطل أكل على طول. الأكل مشاركة يا هانم!!

- حاضر والله حأكل.

وبالفعل شاركته نهى الطعام ولم تكتفِ بمراقبته مثل المرة السابقة.

- والآن جاء وقت العاشوراءحضرتك اتحدتنى. تفضل إن شاء الله حاتدوق أحلى عاشورا.

- ضحك مصطفى وقال: لأ خلاص أنا سلمت وأشهد لك أنك أجمل طباخة في العالم.

لم يكن يريد أن يقول أجمل كان يقصد لفظ بمعنىأفضل، ولكن خرج اللفظ الذي يقصده عقله الباطن بدون وعي!

- نهى ممكن أدخن؟ الحقيقة أنا غير مدخن، ولكن أحيانًا-وخصوصًا بعد وجبة مثل هذه- أحب أن أدخن سيجارممكن؟

- طبعًا يا فندم البيت بيتك.

أخرج مصطفى سيجاره الكوبي الفاخر وأشعله وراح يدخن في هدوء واستمتاع.

- على العموم تدخين السيجار سيساعد حضرتك على الحكي واستدعاء الماضي. قالت ذلك وغطت وجهها بيديها مازحة؛ علامة على أنها تخاف رد فعله!

ضحك مصطفى وقال: إنت لسة فاكرة؟ هو أنا وعدتك أحكيلك؟

- أيوة وأنا سألت حضرتك عن الظروف التي حدثت وقت الثانوية العامة.

عاد مصطفى إلى تجهمه، وأخذ نفسا عميقًا من السيجار ثم أخرجه ببطء:

- الحقيقة أن الشيء اللي جايز ناس كتير ماتعرفهوش هو أن أخي –رحمة الله عليه– كان عضوًا في التنظيم الذي قتل السادات!

أبدت نهى دهشتها واقتربت على الكنبة من مقعده وكلها آذان صاغية لما يقوله.

- نعم هذه حقيقة، وبعد اغتيال السادات بفترة قصيرة جدًا تم القبض عليه مختبئًا في الجبل. بعدها تم استدعاؤنا والتحقيق معنا جميعًا حتى أختي التي كانت وقتها طالبة في كلية الحقوق. عشنا على أعصابنا طوال فترة المحاكمة، ثم حكم عليه بالسجن المؤبد. وتعرض والدي لمضايقات كثيرة في العمل وكذلك أختي في الجامعة. لم يتحمل والدي المعاناة فتوفي قبل امتحاني بشهر واحد و... وأصبحت أنا رجل البيت، كنا عائلة سعيدة نعيش في بني سويف، والدي موظف حكومي ولديه قطعة أرض وعمارة صغيرة؛ لذا كانت أحوالنا المادية معقولة جدًا. كان أخي طالبًا عاديًا في كلية الهندسة نعلم تدينه والتزامه، ولكن لم يخطر ببالنا قط أن يكون عضو في تنظيم. كان يغيب عنا أحيانًا أسبوع أو اثنين وعندما يسأله والدي عن ذلك يجيبه: «كنت في سبيل الله». حاول أبي بقدر الإمكان أن يبعده عن الشبهات فكان أخي يقول جملته المعتادة «لا تخشَ من شيء يا أبي نحن لا نفعل سوى التجمع لحفظ القرآن الكريم ودراسة أحكام تلاوته وتفسيره» وكان والدي يصدق.

- نهى ممكن طبق عاشوراكمان؟ وحطفي الهباب اللي بدخنه ده، ما لوش لزمة!

لم تعلق نهى. قامت على الفور وأحضرت طبق عاشوراء، ثم اقتربت أكثر على الكنبة من مقعده واستعدت لسماع بقية القصة.

- التحقت بكلية العلوم وعقدت العزم على التفوق فيها. كنت الأول

على الدفعة في الثلاث سنوات الأولى وكثفت جهودي في السنة الأخيرة لأحافظ على التفوق وأضمن التعيين في الجامعة. وكان الذي ينافسني على المركز الأول طوال سنين الدراسة مستواه أضعف بكثير من مستواي وكان الفرق بيننا في الدرجات هائل. إلا أنني فوجئت به الأول على الدفعة في البكالوريوس!كان هذا غير منطقي ومثار دهشة الجميع. طالبت بإعادة تصحيح أوراقي ولم ألقَ أذنًا صاغية. انتظرت إعلانًالطلب وظائف معيدين: طلبوا معيدًا واحدًا في قسم الجيولوجيا وهذا لم يحدث من قبل. كان لابد لي أن أسأل وأبحث عن سبب لما يحدث. كنت كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال حتى لا ترى الحقيقة. الحقيقة أنني أعاقب بجريمة أخي. قال لي أحد الكبار ذات يوم: يا مصطفى خليك واقعي. تفتكر شقيق واحد من اللي قتلوا السادات يعين في الجامعة؟!أدركت ساعتها أنه لا عيش لي في هذا البلد، لكن لم يكن من الممكن أن أترك أمي وحيدة هنا وفي مثل هذه الظروف. وجاء الحل من عند أختي حيث تزوجت من طبيب أطفال – شجاع بما فيه الكفاية – وسافرت معه للسعودية وقررت أن تستقدم والدتي للعيش معها إلى أن أستقر أنا في مكان. زرت أخي في السجن وبكينا سويًا على ما أصابنا جميعًا. استأذنته في السفر بعد التطورات الجديدة فقال لي: ليس هناك خيار آخر أنا جنيت عليكم كلكم. من يستطيع أن يهرب فليفعل سامحني. قلت له والله أنا مسامحك ولم أفكر أبدًا في توجيه أي لوم أو عتاب لك، ولكن أريد أن أسالك سؤالًا واحدًا: هل أنت مقتنع بما فعلت؟ –كنت أريد من هذا السؤال إنقاذ نفسي شخصيًا من الحيرة والاضطراب والتخبط الذي كنت أعيش فيه –أجاب: لا أعرف.لاحظ مصطفى شدة انتباه نهى لكل كلمة يقولها فقال: أثقلت عليك. الجرعة كانت كبيرة اليوم.

- لأ أرجوك لا تتركني قبل أن أسمع بقية الحديث.

- أرجوك أنت. هل تعلمين أننى لم أحكِ هذه القصة بنفسي لمخلوق على وجه الأرض. الوحيدون الأحياء الذين يعرفون تفاصيل هذه الحدوتة هم مرفت أختي وزوجها دكتور كمال وأنا.

قام دكتور مصطفى من مقعده وتوجه للنافذة. أزاح الستارة ونظر للخارج وقال: لقد اشتدت العاصفة وستظل كذلك ربما ليومين.

توجهت نهى ناحيته ونظرت من النافذ:

- يا إلهي. لم أرَ شيئًا كهذا: رياح وأمطار وهناك أيضًا قطعًا من الثلج!

- اسمعي. سأجلس نصف ساعة ثم سأنصرف وأعدك أن أكمل القصة فيما بعد، لم أتصور أن «البوح»متعب هكذا!

- تشرب نسكافيه معي؟

- مفيش مانع.

احتسيا القهوة، وتحدثا في أمور شتى بعيدًا عن قصته، هم بالانصراف إلا أنّ نهى قالت فجأة:

- كيف تخرج يا دكتور في جو كهذا؟ وتقود سيارة؟ ما ينفعش!

- أنا متعود على كدة!

- أرجوك، هذا منزلك لابد أن تبيت هنا الليلة واستيقظ مبكرًا كما تشاء لتذهب لعملك. الصباح رباح.

- ولكن ما يصحش، أنا...

- لأ .. يصح، أولًا: روز ومسز طومسون معنا، ثانيًا: أنت ستبيت في الطابق العلوي، لا حجة إذن.
- نهى لا يمكن أنا..
- أرجوك هذا طلب شخصي مني!
- حاضر. سأبيت.

أبلغت نهى مسز طومسون فقالت:هذا ما كنت أريد أن أقوله، ولكني أعرف طبيعة العناد لديه.وأنا أيضًا لن أستطيع أن أعود للندن اليوم. على العموم غرفته معدة وبيجامته جاهزة وكل شيء متوفر، أكمل مصطفى تدخين سيجاره في غرفة نومه وهو يفكر في هذه الفاتنة التي دخلت حياته فجأة وقال لنفسه: إنها تجمع بين صلابة و «جدعنة» والذكاء الفطري لفلاحة مصرية وأناقة فتاة باريسية وجمال سيدة من أمريكا اللاتينية والأهم من ذلك خفة دم بنت بلد من شبرا!.. أطفأ سيجاره وغط في نوم عميق.

ارتدت نهى ملابس النوم واستلقت على الفراش. راحت تفكر فيما قاله مصطفى. إذن فالمحيط الهادىء على السطح يخفي تحته بركان! ترى ماذا يخفي أيضًا من أسرار؟ علمت نهى من مسز طومسون أن مصطفى لابد أنه سيستيقظ في السابعة والنصف أوالثامنة. ضبطت المنبه على السابعة صباحًا وبعد مجهود جاء النوم. استيقظت في الموعد وارتدت ملابس منزلية عادية. وجدت مسز طومسون في المطبخ تعد القهوة لمصطفى أخذتها منها وطرقت الباب.
- ادخل، قال بالإنجليزية.
- أنا نهى حضرتك تشرب قهوتك عندك ولا معايا في الصالة؟
- حاضر. سأرتدي ملابسي وسأشربها في الصالة.

مارس طقوسه،فبردت القهوة بالطبع، فقامت نهى تصنع قهوة من جديد.
وجدته جالسا على المقعد فى الصالة.

- صباح الخيرحضرتك نمت كويس؟

- نهى لماذا استيقظت مبكرة؟ مسزطومسون كانت ستعد القهوة.

- لأأنا استيقظت لأحاول أن أقنعك بأن تؤجل ذهابك للعمل قليلًا؛ فالعاصفة مازالت على أشدها.

- لا أنت فقط غير معتادة على هذا الطقس. هذا يحدث كثيرًا هنا والحياة تستمر. قد تكون هذه المرة الأشد منذعدة سنوات، ولكنها مازالت غير خطرة.

- اتفضل القهوة.

- وأنت هل نمت جيدًا؟

- لأ.

- ليه.

- عندما أسمع شيئًا جديدًا أو يقع حدث غير عادي أجد صعوبة في النوم، ولكني نمت على أي حال!

- أريد أن أشكرك على اليوم الجميل أمس وخصوصًا العاشورا!

- وأنا أشكرك على ثقتك فيّ وأنك بحت لي بما لم تبُح به لأحد.

- أنت بدأت وحكيت لي قصة قد لا تتكرر كثيرًا.

- ولكني حكيت الحكاية كلها أما أنت فمازال هناك الكثير.

- حاضر حاضر سأكمل القصة يومًا ما! وضحك.

- غادر مصطفى المنزل والعاصفة على أشدها. رنت في أذنه كلمة نهى وهي تودعه على الباب «طمني أول ما توصل»

قالت علية هانم الألفي -والدة نهى- لشقيقتها:

- أمس دعتني نهى لزيارتها في لندن ولا أدري ماذا أفعل؟
- طبعًا لا بد أن تذهبي، ولكن أين تعيش هي الآن؟ وكيف تنفق؟
- قالت لي أنها استأجرت منزل في ضاحية من ضواحي لندن بسعر معقول جدًا؛ خدمة من أحد المصريين العاملين هناك.
- وهي تنفق من بقايا مبلغ كبير موضوع باسمها في الفيزا كارد ومن مبلغ حصلت عليه من تصوير إعلان عن عطر جديد.
- ممتاز، ولكن عندما ينفد المال فماذا ستفعل؟ أنا أرى أنها لابد أن تعود لمصر ولا بد سيكون هناك حل.
- يعني أنت شايفة أني أتوكل على الله وأسافر لندن؟ أنا قلبي واكلني عليها!
- ضروري البنت محتاجة لك.

*****

- آلو دكتور مصطفى؟ أنا مشعل.
- أهلًا وسهلًا.
- لا أريد أن أثقل عليك، ولكن يهمني أن أكرر على سيادتك دعوتي للعمل في بلدك الثاني وإذا كان لك أي طلبات خاصة فأنا أكرر:
- نحن على استعداد تام لتلبيتها.

- سمو الأمير وأنا أكرر شكري لثقتكم الغالية وعرضكم الكريم وأؤكد أن رفضي ليس راجعًا لرغبتي في إملاء شروط أو رفع سعرإطلاقًا، كل ما هناك ظروف خاصة بي. وأكرر أيضًا استعدادي التام لخدمة بلادكم لفترة قصيرة في أي وقت تشاءون. أكرر فترة قصيرة شهر على الأكثر.

- دكتور مصطفى إن فترة شهر أو حتى ستة أشهر لا تكفي للاستفادة من علمكم الغزير في بلد يرقد على ثروات طبيعية هائلة والحمد لله.

- للأسف هذا ما أقدرعليه.

- أشكرك على العموم، ولكن إذا حدث وغيرت رأيك فأرجو أن تكون الأسبقية لبلادي.

- من عيني.

راح مصطفى يضرب أخماسًا في أسداس: لماذا الإلحاح عليه؟ إنه يعلم ماذا يريدون بالضبط، وهو رفض عرضهم واليوم يكررون العرض.هل وصلتهم أي معلومة تفيد أنه من الممكن أن يغير رأيه؟ هل وصلتهم الأخبار المؤسفة عن أنّ مصر لم ترد إلى الآن على المعلومة التي سربها للحكومة في القاهرة عن طريق قناة غير رسمية؟ لو أن هذا حدث فلابد أنّ الخبر قد تسربعن طريق جهاز قوي لا تملكه الدولة التي يمثلها مشعل وتملكه دولة أو دول أخرى صديقة لها؟ طرد مصطفى هذه الأفكار من رأسه وقرر أن يتصل بنهى على تليفون المنزل.

- آلو، نهى صحيتك من النوم؟

- لا أبدًا أنا صاحية من بدري.

- كيف أحوالك؟

- الحمد لله. دعوت ماما لزيارتي ووعدتني بالتفكير في الأمر.

- تمام. وإذا وجدت أى صعاب في الحصول على التأشيرة يمكننى أن أرسل لها دعوة رسمية بصفتي مواطن إنجليزي.

- ده لطف من حضرتك.سأبلغها.

- باقول أيه أنا عندي محاضرة بكرة في جامعة سوانسي فيويلز على بعد حوالي أربع ساعات من هنا بالسيارة وحرجع في نفس اليوم. لوحبيتِ تيجي معايا كنوع من تغيير الجووخاصة أن الطقس معقول جدًا بعد العاصفة؟ وما تخافيش ممكن روز أو مسزطومسون تيجي معانا؟

- وليه حد ييجي معانا؟ هو حضرتك ناوي تاكلني مثلًا؟

- لأ. الحقيقة أنا آكل البامية والملوخية! قال ذلك ولم يضحك.

- ظلت نهى تضحك حوالي نصف دقيقة ثم قالت: خلاص يبقى حاجي لوحدي. بس ألبس أيه؟

- كاجوال. سنج سيوصلك للندن في السابعة صباحًا ثم سنذهب بسيارتي. نهى .. لو مش عايزة تيجي قولي ومش حزعل.

- لو قلت لك أني ما صدقت .. لأنى مللت من الجلوس في المنزل، تصدقني؟

- ماشي، إلى اللقاء.

انطلق مصطفى بسيارته وإلى جانبه نهى ترتدي بنطلون جينز أزرق وبلوفر فوشيا فوقه جاكت جلد وحذاء بوت يصل للركبة. أما مصطفى فكان لابد من البدلة لأنه ذاهب لإلقاء محاضرة.

- حضرتك تتنقل دائمًا بالطائرات فلماذا السيارة اليوم؟
- تغيير. أنا كنت ناوي على القطار، ولكن وجدت أن السيارة ستكون مسلية بالنسبة لك.
- ولكن هل تستطيع أن تحكي وأنت تقود السيارة؟
- أستطيع أن أنام وأنا أقود السيارة، ولكن ماذا أحكي؟
- يا إلهي؟ بقية القصة...
- أنت طماعة يا نهى أنا حكيت لك الكثير بل الكثير جدًا.
- ولكن يبقى أهم ما في القصة ماذا فعلت بعد أن قررت السفر؟
- حاضر، أمري لله أنا اللي جبته لنفسي وضحك.
- بعد زيارتي لأخي -والتي أعطت لي الضوء الأخضر للتحرك- وبع.. وسكت -

ففهمت نهى أنه يريد أن يخفي شيئًا

- وبعد أن سافرت والدتي إلى مرفت أختي بدأت في التنفيذ؛ أخرجت بعض المال الذي كنت قد ادخرته والبعض الذي أعطته ليأميوبعد بيع بعض الممتلكات الصغيرة. استخرجت جواز السفر وقدمت على أجازة بدون مرتب من المدرسة التي عينت فيها كمدرس علوم فوافقوا عليها على الفور. خضت معركة عنيفة لأحصل على تأشيرة بريطانيا. استخدمت فيها الحيلة والواسطة والكذب وكل شيء. وأخيرًا ركبت

الطائرة وحقيبتي فيها بنطلون جينز غير الذي كنت أرتديه وأربعة قمصان وبلوفرين وبدلة وربطتي عنق وغيارات داخلية والباقيكله كتب. وفي محفظتي بالطبع نقود قليلة وعدد كبير من العناوين. و بدأت الرحلة. كنت قد وضعت الخطة الدقيقة: أن أعمل في أي شيء وفي كل شيء وفي كل الوقت لمدة عام كامل. أدخر فيه أقصى ما يمكن ادخاره حتى أستطيع أن أدفع مصاريف الالتحاق بالجامعة لدراسة الماجستير. ولكِ أن تتخيلي ما فعلته؛ لقد عملت بكل الوظائف المتاحة:جرسون في مقهى، عامل تليفون في فندق، عامل تعبئة في مصنع «ماذرز برايد» للخبز في «فورست جيت»، قلي الدجاج في كنتاكي وغسيل الصحون في المطاعم. درست اللغة العربية للإنجليز اللذين اعتنقوا الأسلام.ترجمت من العربية للإنجليزية وبالعكس للمرضى العرب اللذين يأتون للندن للعلاج. كل شيء يمكن أن تتخيليه. لم أكن أنام أكثر من أربع ساعات يوميًا، وكنت أعمل أكثر من عمل في وقت واحد؛ مثلًا عامل تليفون من الثانية عشرة صباحًا وحتى الثامنة ومن التاسعة حتى الخامسة في كنتاكي وهكذا.. كانت فترة قاسية جدًا، ولكنها الفترة التي صنعتني، والتي حولتني من طالب أتلقى الطعنات وهاجسي أنني مظلوم وضحية إلى رجل أغير من الواقع على قدر استطاعتي.

- قابلت الكثير من المصريين منهم من خذلني وجعلني أفكر في أن أكفر بالوطن – خاصة وأن الطريق في وجداني ممهد لذلك – ومنهم من أضاء لي الطريق وأعطاني الأمل. انتهى العام الصعب والتحقت بالجامعة، جامعة كاريفالقريبة جدًا من سوانسي التي سنذهب إليها الآن. اجتزت كل الاختبارات بنجاح وتم قبولي. وكان لابد من خطة جديدة حتى أستطيع أن أجد عملًا، وأدرس في نفس الوقت. ساعدني واحد من المصريين ووجدت عملًا في منتهى الظرف هو أن أذاكر للطلبة العرب هنا! لا تضحكي، فهذه هي الحقيقة، بعض العرب هنا غاية في الذكاء

والتفوق، والبعض الآخر جاء إلى هنا بحثًا عن الحرية والبعد عن التقاليد والكبت في بلادهم رجالًا كانوا أم نساء. كنت أقوم بجمع المادة العلمية لهم من المكتبات حتى ولو في غير تخصصي، وأقوم بعمل الملخصات والصياغة والترجمة، هل تصدقين أنني قمت يومًا بإعداد بحث عن «لورد بايرون» لإحدى طالبات الآداب!

- معقولة؟ لا لا لا.

- صدقيني ويومها أخذت مبلغًا كبيرًا والغريب أنه تم قبول البحث! المهم حصلت على الماجستير وكان موضوعه عن المعادن النادرة. استقرت أحوالي قليلًا وأصبح لي منزل. صحيح متواضع، ولكن على الأقل لا يشاركني فيه أحد. قررت أن أدعو والدتي للإقامة معي ولو لفترة بسيطة. وبالفعل حضرت وكانت سعيدة جدًا لأنها أحست أنني قد تجاوزت مرحلة الإحساس بالظلم إلى مرحلة إصلاح الواقع. لم تستطع أن تقيم معي أكثر من شهر وقالت لي أنها تود أن تظل معي العمر كله، ولكنها لا تتحمل البرد والأمطار كما أنها لا تستطيع أن تقيم في بلد لا يسمع فيه الآذان. عاشت بعد ذلك حوالي خمس سنوات ثم توفيت في مكة ودفنت هناك. وطبعًا لا أعرف لها قبر لأزوره؛ فكما تعرفين هناك لا يضعون شواهد على القبور.

- دكتور مصطفى. بدون قطع حديثك معي سندوتشات وترموس قهوة، هلا شاركتني؟
- أكيد. متشكر جدًا.
- بيض ولّا جبنة ولّا كيرى ولّا تونة؟
- تونة.

- تفضل وها هي القهوة. أرجو ألا تسقط على ملابسك!

دخل مصطفى حارة جانبية على الطريق وأوقف السيارة واحتسى قهوته وهو يقضم من الساندوتش.

- هنا ليس مثل مصر؛ ليس من المفروض أن آكل أو أشرب أثناء القيادة؛ هذا يعرضنا للحوادث.

قاد السيارة مرة أخرى بينما كانت نهى تحتسى قهوتها على مهل.

- وبعدين؟

- حصلت على الماجستير ولفتت نظر المشرف على الرسالة، فوجد لي عملًا بسيطًا كمساعد باحث. وبدأت ظروفي المالية في التحسن. ثم بدأت في إعداد رسالة الدكتوراة، والتي كانت استكمالًا لنفس موضوع الماجستير. استغرقت حوالي أربع سنوات في إعدادها، وفوجئت يوم مناقشتها بالاهتمام الشديد من المناقشين والحضور، والثناء عليها وعلى دقتها وأهمية موضوعها. بعدها عرضوا عليّ التدريس في الجامعة. وافقت على الفور. يومها فقط أحسست بالراحة. ورحت ألتقط أنفاسي وقلت لنفسي: الآن فقط رفع الظلم عني. تذكرت أخي فأرسلت له رسالة أبلغه فيها بنجاحي وبأني لا أحمل له ذرة واحدة من كراهية أو إحساس بأنه أذانى كما يردد دائمًا. توفي أخي بعدهابخمس سنوات في السجن من مضاعفات مرض القلب وتسلم عمي جثمانه ودفنه في مقابر الأسرة بجوار والدي.

- ربنا يرحمهم جميعًا.

- تدرجت في الكادر الجامعي وحصلت على الأستاذية وانتقلت للجامعة في لندن و...بس.

- بس؟ بس إزاي؟

- خلاص هو فيه حاجة تانية؟

- طبعًا، توجد بعض التفاصيل: كيف كانت أيامك؟ ماذا كنت تفعل في وقت الفراغ.. كده يعني!

- نهى.. دي تفاصيل؛ بمعنى أنه من الممكن أن أذكرها بظروفها، يعني مثلًا أسمع حاجة فتذكرني بموقف ما فأحكيه لك، زي موضوع «لورد بايرون» مثلًا.

- آه فهمت، ولكني أريد أن أسألك سؤالًا مهنيًا بحتًا. ألم تحلم بالعمل في» ناسا» خاصة وأن لك اهتمام بالاستشعار عن بعد؟

- ناسا أو وكالة الفضاء الأمريكية حلم لكثير من العلماء ولا أنكر أنني قد فكرت فيه، ولكن أولًا: ليس هذا تخصصي. صحيح أني مهتم بالاستشعار عن بعد كضرورة في الوقت الحالي، ولكنه ليس تخصصي، ثانيًا: ناسا مهتمة بالفضاء والبحث عن الاستفادة من خارج الأرض، بينما لا تزال تحت الأرض في كوكبنا هذا ثروات ضخمة لم تستغل بعد. هل تعلمين مثلًا أن هناك دولًا تحت خط الفقر على الرغم من أن تحتها ثروات هائلة لا تستطيع الانتفاع بها.

- و لماذا لا تستطيع؟

- هذا هو مربط الفرس! لأسباب كثيرة أولًا: لأنها لا تعلم ما تخبئه أرضها. ثانيًا: لأن تكاليف استخراجها باهظة. ثالثًا: وهو الأهم لأن هناك قوى عظمى تحول بينها وبين ذلك، تردد قليلًا ثم قال: هل سمعت عن اليورانيوم؟

- طبعًا. إنه يستخدم في صنع القنبلة الذرية.

- بالضبط. قد لا تتصورين أن هناك دولًا بائسة تعوم فوق بحر من هذا المعدن الخطير، ولكنها لعبة سياسية ومسألة توازن.

- و مصر؟ ألا تعوم فوق شيء؟ أي شيء يخرجها من المعاناة وينقلها إلى مرتبة أعلى تستحقها؟

- سكت طويلًا حتى ظنت نهى أنه نام .

- عارفة يا نهى أثناء دراستي في كلية العلوم في مصر، وطوال أربع سنوات جبت مصر من أقصاها إلى أقصاها: من القاهرة إلى حدود ليبيا، من القاهرة إلى وادي حلفا، الواحات، حلايب وشلاتين، سيناء، لا يوجد شبر لم أزره، جمعت الرمال والصخور من كافة الأنحاء، تسلقت جبال الصعيد وسيناء، رسمت لنفسي وبنفسي خريطة لمصر، أراجعها كل شهر وأضيف إليها ما أحصل عليه من معلومات جديدة، هذه الخريطة الضخمة موجودة في منزلي بلندن، ولكنها أساسًا موجودة في عقلي.. إنني حين أغمض عيني أرى هذه الخريطة أمامي بألوانها ومرتفعاتها ومنخفضاتها، لا أعتقد أن أحدًا يعرف خريطة مصر كما أعرفها.

- ولكنك لم تجيبني. ألا نرقد على شيء؟

- بدون الدخول في تفاصيل قد لا تهمك، توجد عندنا الكثير من الثروات كما توجد مثلها في دول مجاورة لنا وهذا ما يقلق. ممكن المزيد من القهوة لو سمحت؟

فهمت أنه يريد أن يغير الموضوع. أوقف السيارة مثل المرة السابقة وراح يحتسي القهوة.

- نهى، وقبل جاسم هل كان لك أي علاقات أو مشاريع مع أي شخص؟

- قالت نهى ضاحكة: تقصد مشاريع تجارية مثلًا؟!

- لأ صحيح،ليس من المنطقي أن يكون جاسم أول من قابلته في حياتك!

- كان يوجد مشروع زواج بيني وبين ممثل شاب ربما تعرفه اسمه كريم سليمان.

- أحببته؟

- ممكن أن أقول ذلك.

- وماذا حدث؟

- خفت؛ «الأنا» عنده كانت متضخمة!

- كيف؟

- كان لطيفًا و ودودًا، ولكنه لم يكن يتكلم إلا عن نفسه بالرغم من أن خطواته الفنية كانت ولا زالت متواضعة جدًا. نصحني البعض بقولهم أن زواج الفنانين لا يدوم، خاصة إذا كان أحدالطرفين أكثر نجاحًا من الآخر.

- و كيف استطعت أن تتخلصي من الحب؟ إنهمثل المرض يحتاج إلى مناعة وقوة وصلابة؟

- لا أنكر أنني تعبت من أجل التخلص من الحب، ولكن كريم ساعدني؛ فقد كان متعجلًا للنجاح والشهرة بطريقة مقززة أو مرضية.

- ولكنك تركت هذا الحب لاحتمال بسيط أن يفشل الزواج. من أجل زواج ليس فيه من مقومات النجاح سوى ... سوى المال.

- ودفعت ثمن هذا الغباء. لا أحد يتعلم مجانًا.

سادت فترة صمت قطعها مصطفى بأن أدار محرك السيارة وانطلق على الطريق.

- دكتور مصطفى...عندما قررت السفر وودعت أخاك ووالدتك والأصدقاء، ألم يكن من ضمن من ودعتهم «فتاة» مثلًا؟

- ماذا تقصدين؟

- أعطيني الأمان لأقول.

- أعطيتك الأمان..

- ألم تكن مرتبطًا بشكل أو بآخر بأي فتاة في مصر قبل السفر؟ تذكر أنك أعطيتني الأمان!

- باقٍ على وصولنا لسوانسي حوالي نصف ساعة ممكن أن أؤجل الحديث لحين الوصول، أو في أثناء رحلة العودة؟

- ممكن.

*****

مدينة سوانسي إحدى مدن ويلز مدينة صغيرة وجميلة وتطل على المحيط وبها الكثير من المرتفعات الجبلية وفيها جامعة يلتحق بهاالكثير من الطلبة العرب. وصل مصطفى ونهى المدينة في الواحدة ظهرًا. راح مصطفى يطوف المدينة بسيارته، شارحًا لنهى معالم المدينة مثل: الجامعة والمستشفى ووسط المدينة. أخذها مصطفى إلى حديقة ضخمة،من الممكن أن تسمى غابة. جلسا على أحد المقاعد وراحا يتأملان الخضرة ويستمتعان بالهدوء من حولهما.

- يبدو أنك معتاد على هذه المدينة وبالذات على هذا المكان؟

- نعم، فكما قلت لك كنت أدرس في جامعة كارديف عاصمة ويلز وهي قريبة من هنا لذا كنت أقضي عطلات نهاية الأسبوع -إن وجدت-

- هنا في سوانسي.

- وحدك؟

- أنت خبيثة.

- ضحكت وقالت: مجرد سؤال!

- أحيانًا وحدي وأحيانًا لأ.

- لن ندخل المواضيع في بعضها. على العموم، أستجيبني على سؤالي بخصوص فتاة مصر الآن أم بعد المحاضرة؟

- لابعد الغذاء. سنتمشى قليلًا في هذه الغابة الجميلة ثم سنذهب إلى مطعم أعرفه وهناك نتكلم.

راحا يتجولان في الغابة الجميلة، ولفت نظر نهى وجود سناجب بكثرة في المكان. لم تكن قد رأت سنجابًا من قبل في حياتها.

- نهى. هل تغنين بينك وبين نفسك أحيانًا؟

- طبعًا. معظم الوقت.

- وماذا تغنين؟

- حسب الأحوال، عندما أكون سعيدة أغني لحليم وعمرو دياب وعندما أكون حزينة أغني لأم كلثوم وعبد الوهاب ونجاة.

- يا سلام يعني حليم رمز السعادة وثومة رمز الحزن؟

- لأ طبعًا..فقد غنّى حليم «في يوم .. في شهر» وهي قمة الحزن وغنت ثومة «افرح يا قلبي» ولكن أنا قلت ما أفعله أنا.

- وهذه الأيام ماذا تغنين؟

- أغاني وطنية.

ضحك مصطفى حتى بدا كإنسان عادي وقال: لماذا؟ هل تنوين إعلان الحرب؟ ضحكت نهى ولسان حالها يقول: إن كنت خبيثًا فأنا أخبث منك.

*****

جلسا في المطعم الصغير الذي يقدم وجبات «ويلش» بحتة قال مصطفى: توجد مطاعم أكبر من هذا، ولكني أردت أن أجعلك تعيشين في جو هذه المدينة... فهذا هو التغيير.

- حضرتك اطلب لي.. لأني لا أعرف أيًا من هذه الأصناف.

أخذ منها قائمة الطعام فلامست كفه يدها البيضاء الناعمة فأحس بالكهرباء تسري في يده.

في انتظار وصول الطعام، أخذت نهى زمام المبادرة وقالت:

- تفضل

- أتفضل أيه؟

- تفضل احلِ.

- آه الفتاة.. الفتاة، ولكن لماذا يجب أن تكون هناك فتاة؟لماذا لا أكون

قد تركت البلد وركبت الطائرة بدون أن يكون هناك أي فتاة؟

- ولكن الحقيقة أنه كانت هناك فتاة.

- وكيف عرفت؟

- الحاسة السادسة.

- نعم كانت هناك فتاة. كانت تسكن في نفس الشارع في بني سويف. كنت أراها كل يوم، وكنت أتتبع خطاها. وقتها كنت طالب ثانوي مراهق، أذاكر على أغاني أم كلثوم وأحس باللحن والكلام واستعيدهما عندما أراها. كانت جميلة ورقيقة وكانت عيناها عسليتين أغمق قليلًا من لون عينيك. كان شعرها أسود طويل ودائما على هيئة ضفيرتين. في الثانوية العامة تحجبت فلم أعد أرى شيئًا منها غير الوجه وخاصة العينين. خلال فترة الجامعة كنت أعود لبنى سويف كل خميس وجمعة.. وهي أيضًا فقد كنا في نفس السن، التحقت هى بالجامعة -بكلية التربية- وأقامت في المدينة الجامعية في القاهرة، كان القطار هو المكان الذى بدأ فيه تعارفنا.

- عام كامل اكتفينا فيه فقط بالكلام. في العام الثاني أصبحنا شبه متلازمين بدون أن نتصارح. في العام الثالث صارحتها أنا ولم تبدِ اعتراضًا.

- في البكالوريوس كان كل شيء واضحًا وأخبرتها أنني سأتقدم لها بمجرد نجاحي. كانت علاقة جميلة ونقية وبريئة. كانت كنسمة الصيف اللطيفة التي تهب فتزيل عن القلب بعض همومه، كانت شعاع الأمل وسط الظلام والضباب. سكت مصطفى.

- وماذا حدث؟

- أبدًامثل كل الأحلام الأخرى تحطمت على صخرة أخي.

- تقدمت لوالدها والذى كان يعرفني طبعًا ويعرف والدي و أخي بحكم أننا نسكن في نفس الشارع. لم يجرحني ولم يهينني، فقط وعد بالتفكير في الأمر. بعدها بأسبوع جاءت باكية لتقول لي أن والدها رفض رفضًا قاطعًا، وقال لها بالحرف الواحد: مصطفى لا غبار عليه، ولكن سيظل طوال عمره ضحية لذنب أخيه. لن يكون له مستقبل، وحرام أن أربط مستقبلك بمستقبله .. انسه يا سناء.

- ظللنا نتقابل ونحاول أن نفكر فيما سنفعل إلى أن حدث مثل ما يحدث في الأفلام العربية؛ جاءني والدها و قال لي: إن كنت تحبها فعلًا ابتعد عنها وليوفقك الله.. أنت تعرف أكثر مني أن طريقك صعب.

- ودعتها قبل أن أسافر.

- حاولت أن تقنعني أنها يمكن أن تنتظرني إلى أن أحقق شيئًا فيتغير موقف والدها، فأفهمتها أنه ليس هذا ما يهم والدها، ما يهمه هو أن الوصمة ستظل عالقة بنا وبأولادنا أي أحفاده.

- تراسلنا لفترة بسيطة بعد سفري، ثم انقطعت الرسائل ولم أعد أعرف أي شيء عنها بعد ذلك.

- هل يمكن أن تتفضلي وتأكلي بقى لأن الأكل حايبرد؟

- حاضر. أرجو أني ماكنش أثقلت عليك أو زي مابيقولواقلبت عليك المواجع.

- بالعكس، أنا حاسس أن حجرًا ثقيلًا انزاح من على صدرى، حتى وإن كنت قد تذكرت أشياء لابد أن أنساها. بأقول أيه.. أمامك حل من اثنين بالنسبة للساعات القادمة.. إما أن تحضري المحاضرة، و جايز ده يكون وقت ثقيل بالنسبة لك، أو أوصلك للسينما وتقضي فيها ساعتين

ثم أحضر لأخذك بعد المحاضرة؟

- هل السينما وحدي هنا «أمان»
- نعم جدًا. هذا بلد هادىء وأهل ويلز مسالمين.
- خلاص يبقى السينما.

*****

ألقى مصطفى محاضرته وسط حضور غير متوقع من الطلبة العاديين وطلبة الدراسات العليا من العرب وغير العرب وطلبة من تخصصات أخرى غير الجيولوجيا. فقد كانت محاضرات مصطفى تتميز بالسهولة والعمق في أن واحد. كما أن المواضيع التي يتحدث عنها تهم كل الناس: ثروات الشعوب المختبئة تحت الأرض، حزام الزلازل، البراكين، كوارث المحيطات الجديدة.. إلخ.

في هذه المحاضرة بالذات كان الحضور أكبر؛ لأنها كانت تركز على موضوع خطير وهو أنه خلال الخمسين عامًا القادمة لن يكون البترول بنفس الأهمية التي هو عليها الآن، ألقى مصطفى محاضرته في ساعة ونصف وخصص نصف ساعة للأسئلة، والتي كانت من الكثرة بحيث اكتفى منظم المحاضرة ببعضها فقط.

التقى مصطفى بزملائه القدامى في الجامعة ودعاه بعضهم لقضاء الليلة معهم، فاعتذر بأنه لابد أن يكون على مكتبه في لندن باكر، فوجىء مصطفى عندما هم بركوب سيارته بمن يربت على كتفه ويقول له:

- دكتور مصطفى دكتور مصطفى.
- التفت مصطفى فوجد أمامه عصام شعبان.
- عصام! إيه اللي جابك هنا يا ولد؟

- أنا قرأت الإعلان عن محاضرتك فكان لابد أن أحضرها. جئت من كارديف بالقطار وسأعود الآن.

- أعجبتك المحاضرة؟

- طبعًا.

- بالرغم أنها مش تخصصك!

- هذه المحاضرة بالذات تهم كل الناس.

- اسمع أنا ذاهب لوسط البلد تعالى معي، ولكنبعد ذلك ستكمل المشوار للمحطة وحدك؛ لأن سيارتي مقعدين فقط و أنا سآخذ معي شخص منوسط البلد.

- ماشي ماشي هذا سيوفر عليّ جزء من المشوار.

أدار مصطفى محرك السيارة.

- وأنت عامل أيه؟

- أنا بخير والحمد لله. زوجتي وابني هنا كما تعلم.

- ومعطلينك طبعًا؟

- كلام حضرتك كان صحيح. خوفي عليهما ورغبتي في توفير سبل الراحة لهما، يأخذ من وقتي الكثير، ولكن ما باليد حيلة.

- اتصل بي بعد كام يوم وفكرني نبحث لزوجتك عن عمل مناسب. هل لديها الاستعداد للعمل في غير الطب مؤقتًا؟

- بكل تأكيد. وأكون شاكر لو حضرتك فعلًا وفرت لها عمل.

- اتصل مصطفى بنهى وعلم منها أن الفيلم قد انتهى وأنها ستنتظره خارج السينما.
- عصام ممكن تعطيني رقم تليفون جدتك عواطف في القاهرة؟
- طبعًا. حالًا.
- هو أنت ابن وفاء ولا كوثر؟
- انا ابن وفاء. كوثر في أبوظبي مع زوجها وأولادها.
- وفاء هي الأكبر؟ صح . كانت في عمر عبد الرحمن الله يرحمه.
- الله يرحم الجميع.
- وقفت السيارة أمام السينما، وكانت نهى على مسافة قريبة.
- قال مصطفى: يللا يا عصام انزل أنت هنا.
- حدق عصام في نهى، ثم مال على مصطفى وقال: دكتور إن لم يكن قد خانني بصري أليست هذه المرأة نهى خطاب الفنانة المعتزلة؟
- يبدو أنه كان لديك وقت كاف لمتابعة الحركة الفنية في مصر. أيوة يا سيدي هي وستركب معي الآن لأوصلها للندن، واكتم هذا السر
- لأنها في مشكلة ستحلها لها الجالية المصرية. يللا.
- انصرف عصام مسرعًا وركبت نهى السيارة.
- تقولين أن الناس قد نسيتك؟ هاهو شاب في العشرينات، ومعيد بالجامعة، وتعرف عليك في الظلام من أول نظرة!
- بجد؟
- آه والله، إنه قريبي و يدرس هنا فيكارديف.

- وهل أكدت له المعلومة؟

- نعم.

- لم تستطع نهى أن تخفي شعورًا بالسعادة انتابها لمجرد أنّ شابًا صغيرًا تذكر وجهها!

- استغرقت رحلة العودة للندن وقتًا كافيًا لأن يتحدثا في أمور شتى.

- وكانت هي من الذكاء بحيث لم تشعره لحظة أن قصته ستكون على لسانها بعد ذلك. و قررت ألا تفتح سيرة الماضى إلا لو فتحها هو.

- دكتورولو أنه من الأولى أن أسال نفسي هذا السؤال، ولكن اسمح لي أن أسألك–وأنت الآن على القمة كما يبدو لي–وكما قلت لي من

- قبل كل إنسان له هاجس– وقد تكون قد حققت هاجسك– ولكن ماالذي تريد أن تفعله الآن؟ مالذي تحلم به وتريد أن تحققه؟

- الحقيقة يا نهو قبل أن أجيبك وأتفلسف وأعمل نفسي حاجة، لا بد أن نحل مشكلتك أولًا. هذا شغلي الشاغل الآن.

- إذن فلابد أنني أصبحت عبئًا ولذا تتعجل الخلاص؟ وضحكت.

- آه لو كنت واخد عليك شوية، كنت قلت لك كلام مش كويس. متأسف يعني. ما الذي تفولينه؟ أي عبء؟ أنت الشيء ال ... وسكت.

- الشيء الأيه؟ ..كمل حضرتك.

- الشيء الجميل في حياتي الآن. خلاص استرحتِ؟

- لم ينبسا ببنت شفة طوال الطريق بعد ذلك.

- هو خجل من هذا الاعتراف الذي جاء مبكرًا وهيخافت من ردود أفعاله فآثرت الصمت، وإن كانت في قمة بهجتها.

*****

- صباح الخير يا مصطفى باشا، علي فريد معاك.

- أهلًا يا علي بتتكلم منين؟

- من مصر يافندم أنا انتهيت من صيغة الدعوى التي سنرفعها على جاسم وطالبته بنفقة. باقي أن توكلني هي فأرفع الدعوى. أنا سأكون في لندن الأسبوع القادم، أرجو ترتيب مقابلة معها.

- وموضوع المنتجين؟

- قابلت واحدًا منهما وكان متساهلًا أخبرني أن موضوع الشرط الجزائي ممكن التنازل عنه لو أن أول عمل لنهى بعد العودة يكون معه.أما المنتج الثاني فخارج البلاد ولم أقابله بعد.

- ماشي دي أخبار كويسة، أنا منتظرك الأسبوع القادم.

*****

شعر مصطفى أنه بحاجة لممارسة الرياضة، فمنذ دخول نهى حياته لم يذهب لنادي البولنج. كان في شبابه يلعب كرة القدم وبرع فيها وكان عاشقًا للنادى الأهلى. وفي الجامعة لعب الكرة الطائرة وتفوق فيها وعندما سافر لبريطانيا لم يكن لديه الوقت الكافي لممارسة أي لعبة وكان مقتنعًا أن عمله اليومي لمدة ستة عشرة ساعة أو أكثر يعتبر رياضة على أى حال! إلا أنه كان يلعب كرة القدم مع المصريين كلما حانت الفرصة في أحد الحدائق الكبيرة، تقلصت نشاطاته الرياضية بعد ذلك لضيق الوقت وتوديع مرحلة الشباب

فلعب تنس الطاولة إلى أن وصل لكرسي الأستاذية فلم يعد يلعب إلا البولنج. ومن حين لآخر يذهب لصالة الألعاب «الجيم» للمحافظة على رشاقته وتناسق بدنه الذي يشهد الجميع أنه ليس بدن رجل يقترب من الخمسين.

توجه مصطفى لنادى البولنج بعد زيارة مطولة لمكتبه الاستشارى الخاص. التقى في النادي ببعض الأصدقاء منهم الجيولوجيون ومنهم غير ذلك. أثناء اللعب اقترب منه رجل يميل للقصر، خفيف شعر الرأس وله لحية صغيرة «سكسوكة» وعينان زرقاوان.

- دكتور مصطفى، أليس كذلك ؟
- نعم.
- أنا دينوصاحب شركة كاروكس.
- أهلًا وسهلًا.
- هل يمكننا أن نجلس قليلًا؟ لدي شيء هام أقوله.
- ولماذا لا نتقابل في مكتبيفهناك مكان العمل؟
- أرجوك أنا لن أخذ من وقتك الكثير. عشر دقائق فقط.
- تفضل.
- انتحيا جانبًا وذهبا لكافيتريا صغيرة تقدم المشروبات للاعبين.
- دكتور مصطفى العلم إذا لم ينفع أحدًا فلا قيمة له، أتوافقني على ذلك؟
- بكل تأكيد.
- وأنا أعلم غزارة علمك في موضوع محدد وأريد أن تنتفع به البشرية. وأنا

أمثل جهة تمتلك الإمكانيات اللازمة للانتفاع به. فلم لا نتعاون؟

- أفصح.
- باختصار أنا أعرض عليك العمل معنا بالشروط التي تمليها.
- أفصح أكثر. من أنتم؟
- سكت دينو قليلًا ثم قال:
- شركة متعددة الجنسياتيهمها مثل الجميع البحث عن الطاقة البديلة.
- وأين سيكون مكان العمل؟
- في البلد الذي تقرر أنت البدء فيه وسيكون لنا جلسات طويلة معك بهذا الشأن.
- لم يرتح مصطفى للرجل فأراد أن يكسب وقت فقال:
- لن أعطيك ردًا الآن، ولكني أعدك بالتفكير. أكيد أنت تعرف كيف تتصل بي. أعطني مهلة معقولة.
- أكيد أكيد.سنكون على اتصال.

من دينو؟ ولماذا قابله في نادي البولنج؟ ومن الذي قال له أنه سيكون هناك في هذا التوقيت؟ إنه لم يذهب إلى هناك منذ أكثر من شهر.

تعب مصطفى من التفكير فأراد أن يستريح بمكالمة نهى، ولكنه تردد وقال لنفسه بعد اعترافي لها بأنها مصدر بهجتي، لا بد أن تبادر هي بأي رد فعل.

*****

قضت نهى ليلة سعيدة بعد وصولها من سوانسي راحت تفكر فيما قاله مصطفى بكل عفوية لم يفكر ولم يختر كلماته، خرجت من فمه هكذا: «أنت الشيء الجميل في حياتي» يا سلام أن أجمل الكلام هو مايخرج من القلب -قالت نهى لنفسها- ولكنه لم يتصل بها منذ هذا اليوم. هل هذا خجل أم»تقل»؟ أيًا كان السبب فلابد أن تبادر هي بالاتصال. اتصلت به مساءً في منزله وكان يشاهد مصارعة المحترفين.

- ازي حضرتك؟
- أهلاان أنت فين؟
- في منزلك في كرويدون ها ها أنت مشغول؟ أتصل في وقت آخر؟
- إطلاقًا فقط أفعل لا شيء أمام التليفزيون. أخبارك أيه؟
- لا جديد.
- أنا عندي جديد على فريد المحامي اتصل بي سيصل الأسبوع القادم ويجب أن تعطيه توكيل لرفع القضية على جاسم. وبالنسبة للشرط الجزائي، فإن أحد المنتجين اقترح التعاون معه مقابل التخلي عن الشرط أيه رأيك؟
- هل من الضروري موضوع القضية؟أرى أنه الحمد لله أني تخلصت منه وهذا يكفي.
- مع احترامي لقناعتك ورغبتك في السلام، ولكن الأمور لا تؤخذ هكذا. إننا فقط سنرفع القضية للحصول على النفقة وهذا لا يشكل أي قيمة بالنسبة لشخص مثل جاسم. وكان لابد أن يبادر هو بذلك بدلًا من حركة سحب الأموال من الفيزا: حركة خسيسة لا يقوم بها رجل له وزنه مثله.

- المسألة لم تعد قضية من نهى ضد جاسم، ولكن قضية مبدأ ضد مبدأ، الخير ضد الشر. يحمد ربنا لأن علي فريد كان يريد أيضًا رفع قضية تطالبه برد المجوهرات التي لم يشتريها هو، ولكننا وجدنا أنه من الصعب إثبات ذلك.

- خلاص اللي حضرتك تشوفه. وبالنسبة لموضوع المنتج، هوطبعًا خبر كويس،لكن كيف يمكن التعاون معه من هنا؟

- سنتناقش في ذلك عندما أراك وبالمناسبة متى يمكنني ذلك؟

- حضرتك اللي تحددأنا فاضية على طول.

- خلاص أنا سأتصل بك غدًا صباحًا من المكتب بعد أن تخبرني كارلا بالجدول.

- يا ابن الأيه يا دكتور مصطفى، نهى خطاب مرة واحدة! قال عصام شعبان لنفسه –ياما تحت الساهي دواهي– يا ترى ما نوع العلاقة

- بينهما؟ وما هي المشكلةالواقعة فيها نهى؟ هذا إذا كانت هناك مشكلة من الأصل! همّ عصام بأن يخبر زوجته، الدكتورة شيماءبالأمر إلا أنه تذكر قول مصطفى «اكتم السر» فسكت.

*****

قررت شيللا أن تقوم بزيارة مفاجئة للدكتور مصطفى، وبذلك تضرب عصفورين بحجر واحد: أن تعرف الحقيقة وما إذا كانت هناك امرأة أخرى في الموضوع.

وثانيًا: أن تكون مفاجأة لمصطفى؛ فترى أثر ذلك عليه، أفرح وسرور أم ارتباك؟ وصلت شيللا إلى هيثرو وركبت تاكسي إلى منزل مصطفى بلندن. دقت الجرس ففتح كومار ورحب بها. راحت تجوب المنزل فلم تجد أحدًا.

- كومار أين مسز طومسون؟
- إنها في منزل كرويدن.
- وماذا تفعل هناك؟
- إنها وروز تقيمان هناك الآن لخدمة مسز نهى، قريبة دكتور مصطفى.
- من؟
- مسز نهى.. قريبة دكتور مصطفى.
- لم تفكرشيللا لحظة واحدة، تركت حقيبتها واستقلت تاكسي إلى كرويدون.

صباح هذا اليوم، استيقظت نهى على تليفون مصطفى يخبرها بالموعد. دعاها للعشاء في كرويدون. تركت السرير ودخلت الحمام وبدأت طقوسها اليومية من إفطار وبعض التمارين الرياضية وبعض الاتصالات التليفونية ثم تصفح الانترنت. سمعت صوت جرس الباب بعد قليل جاءتها روز تخبرها بوجود شيللا.

- ومن شيللا؟
- صديقة دكتور مصطفى، مضيفة جوية من التشيك. تريد مقابلتك.
- أوكي

وضعت نهى ماكياج خفيف لا تحتاج إليه. بدلت بلوزتها بأخرى أكثر أناقة، صففت شعرها، ثم خرجت للصالة، فوجئت كل من السيدتين بجمال الأخرى. كانت شيللا تمني نفسها بأن تكون نهى سيدة مصرية تقليدية، تميل للسمنة، وترتدي الحجاب والملابس الواسعة، وقد يكون على وجهها مسحة من جمال أو سماحة وجه، وجدت أمامها نهى ببشرتها البيضاء وجسدها الممشوق وعينيها العسليتين وأناقتها الواضحة. وكان في مخيلة نهى أن تكون الفتاة التشيكية، فتاة نحيفة مسترجلة تضع نظارة طبية، وشعرها قصير «ألا جرسون» فوجدت أمامها شيللا بجسدها المثير وجاذبيتها الخارقة.

- صباح الخير أنا شيللاصديقة مصطفى. آسفة على المجيء فجأة فقد كنت أريدها مفاجأة سارة له ولم أكن أدري أن أحدًا يقيم هنا مع أنني اعتدت الإقامة هنا.
- تفضلي أنا نهى قريبة «دكتور» مصطفى. في البيت متسع للجميع. أين حقيبتك؟
- لا لا.. أشكرك سأقيم في منزل لندن، ولكن هل أنت ابنة خالته مثلًا؟

- ابنة ابنة خالتهكذا قالت نهى بدون تفكير.

- سعيدة بمقابلتك أستأذن الآن.

- ألا تشربين شيئًا معي؟ ليس من المعقول أن تأتي هذه المسافة وتنصرفي بهذه السرعة.

- لا عليك. مرة أخرى باي

أوشكت دماغ شيللا على الانفجار من الغيظ. إذن لقد صدق حدسي هناك امراة أخرى. قريبته؟ قريبته ويسخر مسز طومسون وروز وسنج لخدمتها -والمنزل تفوح منه رائحة الدفء والحيوية -هكذا حدثت نهى نفسها وهي تركب التاكسي متجهة إلى منزل لندن.

أما نهى فكانت مشاعرها غريبة لقد كانت شيللا تنتقي الكلام الذي من شأنه إثارة غيرتها «أعتدت أن أقيم هنا «سأقيم في منزل لندن» مالي أنا وماله، فليصادق من يشاءإنه أعزب وغني ووسيم فما الغرابة في ذلك؟ ألأنه قال لي «أنت الشيء الجميل في حياتي» فيكون لي الحق في الغيرة؟ كلمة مجاملة تقال لأي امراة! ولكن المشكلة في لقاء اليوم عشاء اليوم؟ سيكون لقاءً سخيفًا ومملًا. هل أعتذر؟ هل أتمارض؟ هكذا حدثت نهى نفسها.

دخل مصطفى منزله فوجد شيللا أمامه! تمالك أعصابه وقال: يالها من مفاجأة، كيف حالك يا شيللا؟ عانقها وقبلها في جبينها!

- على ما يرام هل هي مفاجأة سعيدة؟

- طبعًا. هل تناولت العشاء أم نتناوله سويًا الآن؟

- ولم لا نتناوله في الخارج؟ أنا سئمت من المنزل أنا هنا منذ العاشرة صباحًا!

- شيللا أنا آسف، أنا مرتبط بموعد في التاسعة ولا أستطيع إلغائه؛ لم أكن أعرف أنك قادمة..

- هل الموعد مع مسز نهى؟

- أسقط في يد مصطفى ولم يعرف بم يجيب.

- تردد قليلا ثم قال: ومن أين عرفت مسز نهى؟

- كنت اليوم في كرويدون ورأيتها. هي جميلة جدًا بلا شك.

- قالت ساخرة.

- ألم يخبرك من أخبرك بأنها قريبتي؟

- قال لي وقالت لي ولم أصدق: ابنة ابنة خالتك، وتسخر جيشًا لخدمتها؟

- شيللالا داعي لهذا الكلام، اسألي الجيش الذي سخرته من تكون مسز نهى وهم سيجيبونك. انتهى الأمر، ولكن ما يجب أن أتحدث فيه الآن هو

- ماذا قلت لنهى؟ هل أخبرتها أننا أصدقاء؟

- بكل تأكيد.

- ألا تعرفين تقاليدنا؟ لم يكن من اللائق أن تذهبي، ولا أن تقولي ما قلت.

- أنا آسفة، ولكن تغيرك معي الفترة السابقة ومعرفتي بوجود أنثى فيكرويدون جعلني أتصرف هكذا. آسفة مرة أخرى.

- لا عليك، أنا بالفعل على موعد مع نهى في التاسعة لمناقشة أمر يعنيها

وإذا أردت أن تأتي معي فلا مانع وستكتشفي بنفسك نوع العلاقة بيننا.

- أمسك مصطفى بشعرة معاوية.
- لا داعي سأذهب للتسوق وعندما تنتهي ستجدني هنا.
- أنا أصدقك لأني أريد أن أصدقك.
- لأ. صدقيني لأنها الحقيقة. مصطفى رضوان ليس بحاجة لأن يكذب.

*****

في التاسعة، كان مصطفى يدق جرس الباب متوقعًا أن تفتح له نهى كالمعتاد في أبهى صورة. وجد أمامه مسز طومسون، رحبت به وقالت: نهى في غرفتها، سأناديها، بعد دقيقتين، خرجت نهى بملابس المنزل، وشعرها على هيئة ذيل حصان. فوجيء مصطفى.

- نهى ماذا حدث؟ هل نسيت الموعد؟ أم أنك مريضة؟
- حاولت نهى الابتسام وقالت:
- لاأبدًا، ولكني علمت أن عندك ضيوف فقلت ربما لن تستطيع الحضور.
- نهى أنت تعلمين جيدًا أنه لو لم أكن في نيتي الحضور لكنت قد اتصلت للاعتذار.ليس هذا هوالسبب. هل ضايقتك المغفلة «شيللا»؟
- إطلاقًا.
- إذًا ارتدِ ملابسك، لو سمحتِ.
- ألن نتأخر؟ ألا يمكن أن نؤجل الخروج ليوم آخر؟
- نهى هذا « طلب شخصي مني » أرجوكِ ارتدِ ملابسك.. أنا مخنوق وأريد أن أخرج.

- حاضر. استدارت نهى وهي منفرجة الأسارير، وراحت وهي تكاد ترقص تفتح دولابها وتقلب في ملابسها لتنتقي أجمل ثوب، بينما كان مصطفى يحتسي فنجانًا من القهوة ويدخن سيجارة في الصالة.

*****

- ماذا ستأكلين؟ قال مصطفى لنهى وهو ممسك بقائمة الطعام.

- أى حاجة، حضرتك اختر لي.

- نهى هو أنت زعلانة من حاجة؟ أنت متغيرة.

- لا أبدًا،ولكن ربما أحس اليوم بالذات أنني بالفعل عبء وأنني بدأت أسبب المشاكل لك.

- أنت مصرة إذن على هذه الجملة « أنا عبء» ليت كل الأعباء تكون مثلك. أنت لئيمة، أنت تكررين الجملة لتسمعي مني مرة أخرى.

- «أنت الشيء الجميل في حياتي الآن» وضحك.

- شكرًا، قالتها بالفرنسية.

- نهى، سأتكلم في نقطتين الأولى: أنا بشر، إنسان عادي، ولم أكن طوال السنوات الماضية راهبًا أو قديسًا و « شيللا» صديقتي وتصرفها معك تلقائي وتصرف أنثى مع أنثى. وإن كنت تظنين للحظة واحدة أن غضب « شيللا» أو رد فعلها يمكن أن يهز شعرة عندي، فأنت مخطئة ولم تعرفيني بعد. لا شيء عندي يمس المبدأ، النقطة الثانية –وهي الأهم– أنني لدي اقتراح وقد يكون بداية لتصحيح الأوضاع بالنسبة لك، ولكنني لن أتكلم قبل أن تطلبي الطعام لنفسك ولي، فأنا اليوم سأخضع لذوقك. ثانيًا: يجب أن تعودي لطبيعتك وابتسامتك الجميلة.

ابتسمت نهى ابتسامتها الجميلة وطلبت من الجرسون طبقين من المعجنات، وقالت لمصطفى: أرجو أن يحوذ اختياري إعجابك يللا بقى تكلم.

- تذكرين يوم سألتك ماذا تغنين هذه الأيام فأجبتني: أغاني وطنية وضحكنا سويًا ؟ الحقيقة أن ردك هذا أوحى إليّ بفكرة قد تكون طيبة، أنت محتاجة أن تعودي للناس بالتدريج، وبنعومة. والكثيرون يعرفون أنك خارج مصر وربما يعرفون القصة كلها. فلو عدت للناس بعدة أغاني منتقاة بعناية تتحدث عن الغربة والشوق والحنين للوطن والأهل ربما سيجد هذا صدى عند الناس، فلا شك أنك تعلمين الأعداد الهائلة للمصريين في الخارج الذين يكدون ويتعبون من أجل لقمة عيش شريفة لم يجدوها في بلدهم -لظروف معقدة- ولو وضعنا وسط هذه الأغاني أغنية أو أغنيتين معروفتين لسيد درويش مثلًا أو لغيره، ولكن بتوزيع جديد، فسيكون هذا عملًا فنيًا جيدًا.

- لا تظني أني أحاول أن أكون فنانًا أو مبتكرًا، إطلاقًا، لقد طرأت هذه الفكرة إلى ذهني بحكم التقائي في اجتماعات الجالية المصرية بمصريين موهوبين، يعبرون عن أنفسهم بتلقائية منهم الشعراء ومنهم الملحنين وغيرهم.

- مثلًا من كام يوم لفت نظري شاب يقيم هنا منذ ثلاث سنوات وعنده موهبة الشعر... ألقى قصيدة جميلة، للأسف لا أتذكر إلا مطلعها

- يقول: البعد مش مسافات... البعد قلب بعيد

- والفرح مش ضحكات ...الفرح قلب سعيد

- أيه رأيك في اقتراحي؟ أرجو أن يكون مغزاه قد وصلك.

- الحقيقة أنه اقتراح ممتاز، ولكن هل مساحة صوتي تتحمل هذا العمل الفني؟

- اسمعي أنا لن أقول لك أنك أم كلثوم أو شادية، ولكني كمستمع قديم أرى أن صوتك دافيء وجميل ومختلف. صحيح أنت بخلت عليّ بسماعه على الطبيعة، ولكن...

- ولكنك لم تطلب سماعه.

- مهدت لذلك فقلت أنك تغنين الأغاني الوطنية.

- حاضر، يومًا ما سأسمعك إياه.

- المهم لست أنا أو أنت من سيحدد مساحة صوتك، ولكن «المتخصصون» فكما قلت لك أعرف الكثيرين منهم، سنجلس معهم ونسمع منهم ونبدأ العمل المهم أنت موافقة؟

- موافقة .. ولكن تكاليف الإنتاج؟

- هذا موضوع سابق لأوانه. دعي ترتيب الأمور لي. الطعام وصل. وضع الجرسون الطعام أمامهما وانصرف.

- أعذرني أنا اشتقت لهذا النوع من الطعام فجائتني الفرصة اليوم.

- بالهناء والشفاء. لا تنسي موعدنا الأربعاء القادم في منزلي بلندن، سنلتقي بعلي فريد المحامي ولابد أن يكون معك جواز سفرك وبطاقة الرقم القومي.

- إن شاء الله. هو حضرتك عندك بطاقة رقم قومي؟

- لأ طبعًا مالحقتهاش، لكن عندي البطاقة الشخصية العادية والتي لا قيمة لها الآن.

- هو حضرتك مخاصم مصر؟

- نظر في عينيها وسبح في بحر العسل وقال: مصر هي اللي مخاصماني مع إني ماعملتلهاش حاجة. ثم قال ليغير الموضوع:

- لو عندك وقت يا نهى ادخلي على النت، موقع نزار قباني، وابحثي عن قصيدة «الحب والبترول» أعتقد أنها تهمك وأيضًا قصيدة «صباح الخير أيها المنفى» فهي تهمنا جميعًا هنا. لولا صعوبة تلحين القصيدتين لتهافت المطربون عليها. صعب جدًا تلحين عبارة مثل»ويا من صارت الزوجات جزء من هواياتك» وفي القصيدة الأخرى: « لم تخترعني دولة أو سلطة... فأنا اخترعت قبيلتي وبلاديا»

- شوقتني. سأبحث عنهما الليلة.

*****

دخل مصطفى منزله في حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف صباحًا، رن الجرس ثم فتح بالمفتاح، وجد شيللا جالسة أمام التليفزيون تتابع فيلم «أكشن» وهي ترتدي ملابس النوم.

- مساء الخير.

- هاي.

لم يدرِ مصطفى لماذا أحس ساعتها بالشفقة تجاه شيللا أحس أنه لا ذنب لها فيما يحس به من تغيير ناحيتها، إنه لم يحبها قط في أي يوم من الأيام، ولكن

كان يستريح لوجودها و كانت تشعره ببعض البهجة في الحياة شبه «العسكرية» التي يحياها، كما أنها كانت تثير الرغبة فيه بطريقة واضحة، فما الذي حدث؟لا شك أن السبب هو نهى خطاب لا شك في ذلك.قال مصطفى لنفسه.

- كيف كان يومك؟

- معقول. كيف قضيت أنت يومك؟

- تسوقت قليلًا وعندما شعرت بالجوع أكلت بيتزا.

- لو مازلت جوعانة، أتمنى أن تشاركيني الطعام الآن.

- ألم تتناول الطعام بالخارج؟

- كلا.

- لا يدري مصطفى لماذا كذب؟ لماذا يمسك بشعرة معاوية مع شيللا؟ إنه يمكنه أن ينهي العلاقة الآن، كان في الماضي يستطيع أن ينهي أي علاقة في الوقت الذي يشاء. لماذا رق قلبه ومنذ متى؟

- أجيبيني هل ستشاركيني أم لا؟

- سأشاركك.قالت شيللا مبتهجة.

- إذن هيا إلى المطبخ لنرى ماذا أعد لنا كومار الفاشل؟

- وجدا دجاجة جاهزة فاقتسماها وتصنع مصطفى أنه يأكل بينما كان فى الحقيقة يأخذ قطعًا صغيرة من الدجاجة بأسنانه ويلوكها في فمه.

- دخل مصطفى الحمام ليغسل يديه فوجد لفافة صغيرة بجوار الحوض.

قال لنفسه: الحظ يخدمني، لقد أفلتت من لقاء شيللا اليوم.

- سواء كانت خدعة منها لعقابي مثلًا أو أنها الحقيقة، المهم أنا براءة اليوم.

*****

- آلو كارلا؟
- نعم.
- أنا دينو كيف حالك؟
- أوكي مستر دينو.
- ما الجديد لديك ؟
- شيللا موجودة في لندن، وتقيم في منزل مصطفى.
- هل لديك رقم تليفونها المحمول؟
- نعم هاهو، ولكن يمكنك الاتصال بها في منزل مصطفى الآن فهي لا تخرج قبل العاشرة صباحًا.
- وما أخبار الخرائط والأسطوانات؟
- صعب صعب جدًا الحصول عليها؛ إنه شديد الحرص وثعلب ماكر، ولكنى سأحاول.
- فلنكن على اتصال. وشكرًا على معلومة شيللا.

*****

- تشرفت بمعرفتك يا مستر نزياس. هأنذا قد بدلت خططي لهذا اليوم للقائك بعد مكالمتك، ولم تتكلم حتى الآن في أي موضوع مهم.
- مهلا يا شيللا، إن فتاة في جمالك يمكن أن تسلب لب رجل عجوز مثلي، فدعيني أستعيد توازني أولًا ثم أتكلم.
- أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة قالت شيللا ضاحكةأرجوك تكلم.

- باختصار أنت تدركين بلا شك أهمية الرجل الذي تقيمين في منزله؟
- نعم هو عالم كبير.
- ليس هذا فقط، بل إنه يملك مفاتيح كنز من الثروات في غاية الأهمية للبشرية كلها.
- حقًا؟
- نعم، والمؤسف أنه يرفض حتى الآن أن يتم استغلال هذا الكنز. بلاده الفقيرة لا تستطيع استغلال الجزء الموجود تحت ترابها وحتى إن كانت
- تستطيع فهي أساسًا لا تدرك أهميته. عرضنا عليه العمل معنا فقال: دعوني أفكر. ونحن نعلم أنه يكسب وقت فقط وأن في نيته الرفض.
- عرضت عليه دولة عربية غنية العمل لديها ليدلها على ثرواتها ورفض أيضًا. نحن لا نعرف بالضبط فيم يفكر هذا الرجل.
- ومن أنتم يا سيد نزياس؟
- شركة متعددة الجنسيات.
- إجابة دبلوماسية.
- فليكن.
- وما المطلوب مني؟
- شيء بسيط، نريد أن ندخل عقله ونعرف ما الذي ينوي أن يفعله؟ لمن يخفي هذا الكنز؟ هل لبلاده علاقة بهذا؟ أما إذا تمكنت أن تعرفي كلمات السر لدخول الكمبيوترات الخاصة به، فسيكون هذا إنجاز خطير والأخطر أن تعرفي مكان الخرائط الهامة التي يحتفظ بها والموضوعة

على أسطوانات مدمجة أو فلاش ميموري.

- باختصار تريدني جاسوسة على مصطفى؟

- لا تسمها جاسوسية، سمها خدمة للبشرية وحماية لها من عالم أناني يريد أن يحتفظ بسره لأطول فترة ممكنة حتى يبقى محط الأنظار.

- وعمومًا، المكافأة مجزية مائة ألف جنيه إسترليني، ولكن جزاء الخيانة شديد أيضًا، هذه أصول اللعبة.

- وإذا رفضت؟

- أنت أعقل وأذكى من أن ترفضي.

- أعطني الوقت الكافي لأرى ماذا سأفعل؟

- هذا رقم تليفوني المحمول اتصلي بي حين يجد جديد وأنا سأتصل من حين لآخر.

*****

مساء الأربعاء، أوصل سنج نهى ومسز طومسون إلى منزل مصطفى كان في انتظارهما ومعه علي فريد المحامي، دخلت مسز طومسون المنزل ومن ورائها نهى ترتدي معطفًا فاخرًا خلعته بمجرد دخولها.

- أهلًا نهى هانم.قال مصطفى.

- أهلًا دكتور مصطفى.

- الأستاذ علي فريد المحامي الكبير – مدام نهى.

- غنية عن التعريف، تشرفت بلقائك يا مدام. بسم الله ما شاء الله. أنا

والله لا أقصد الغزل، ولكن لقد ازددت جمالًا وبهاءً.

- متشكرة جدًا.

- دخلت مسز طومسون لتتفقد المنزل وترى ماذا فعل كومار في غيابها.

- مدام نهى هل وافقت على صيغة الدعوة التي سنرفعها؟ إنها دعوى نفقة، ولكننا سنراعي فيها مكانتك الاجتماعية وثراء الأستاذ جاسم

- هل تريدين إضافة شيء؟ لقد حدثني الدكتور عن مجوهرات في حوذة الأستاذ جاسم كانت ملكًا لك، فهل تريدين المطالبة بها؟

- أستاذ علي أكيد أنا أريد هذه المجوهرات، ولكن دكتور مصطفى أفهمني أنه من الصعب إثبات ذلك فليس لدي أي فواتير أو وثائق. عوضي إذن على الله.

- ونعم بالله. أعطني جواز السفر وبطاقة الرقم القومي ووقعي على التوكيل وسأتولى أنا الباقي.

- ومتى ستعطني جواز سفري؟

- ضحك علي فريد وقال: ما تخافيش يا مدام نهى، أنا أعرف أهمية هذا الجواز بالنسبة لك، ولكنه في الحفظ والصون. دكتور مصطفى يضمني.

- ما تخافيش يا نهى، غدًا يكون معك الجواز.

- والآن إلى موضوع عقود مصر. الحقيقة أن جاسم بك بالغ في أهمية هذا الموضوع، فلا أحد في نيته استغلال الشروط الجزائية. سنقوم برد العرابين –والمقدرة بحوالي ثلاثين ألف جنيه مصري– وكما أخبرك الدكتور سنحاول أن نتعاون مع المنتج الذي قابلته في القاهر عند عودتك

بالسلامة إن شاء الله. أما المنتج الآخر فمازلت أحاول تحديد موعد معه، نهى هانم.. اسمحي لي وبالنيابة عن الكثيرين في مصر أن أعبر عن رغبتنا في رؤيتك قريبًا في مصر والأهم من ذلك أن نعرض عليك أي دعم ترينه مناسبًا لك هنا في الفترة القادمة.

- متشكرة جدًا يا أستاذ علي، مستورة والحمد لله.

- أستأذن أنا يا دكتور مصطفى وموعدنا باكر في مكتبك بعد أن أنتهي من الإجراءات.

الأستاذ علي فريد رجل في منتصف الأربعينات، ورث المحاماة عن والده، وورث أيضًا ثروة لا بأس بها ضاعفها هو بمجهوده في مجال المحاماة والسمسرة والبورصة. معروف عنه كثرة الزواج والطلاق إلا أن أخلاقياته عمومًا لا غبار عليها. حاول أن يدخل في لعبة السياسة، ولكنه أدرك أن الوقت مازال مبكرًا على ذلك.

والده الأستاذ محمود فريد محامي عبد الرحمن رضوان شقيق مصطفى في قضية مقتل السادات ومن هنا نشأت العلاقة بينه وبين مصطفى. الأستاذ علي فريد ليس وسيمًا، ولكنه مقبول الشكل، أنيق الملبس، يعيش الحياة بالطول والعرض. قالت نهى بعد انصراف علي فريد:

- إذن فهذا هو منزلك. هل تسمح لي بتفقده؟ آسفة هل شيللاهنا؟

- ضحك مصطفى وقال: لا. شيللا غادرت منذ يومين، تفضلي.

- هل هناك محظورات؟أقصد مناطق عليها خطوط حمراء لا يجوز الاقتراب منها؟

- ضحك مصطفى أكثر وقال:

- نعم. توجد غرفة مغلقة بالمفتاح، لن تستطيعي دخولها

- ماشي.تفقدت نهى وحدها البيت، بدأت بالمطبخ فوجدت مسز طومسون تعد بعض الطعام مع كومار. دخلت غرفة النوم، مرتبة، نظيفة، أنيقة، لاحظت وجود المنبهات الثلاث.لفت نظرها عدم وجود مصحف أو أي شيء يشير للهوية الإسلامية لصاحب المكان. سجادة صلاة على الأقل!

- لفت نظرها أيضًا اتساع السرير وأنه مصنوع من معدن ويبدو كتحفة فنية مكانها معرض موبيليا وليس غرفة نوم عالم جيولوجيا!

- دخلت الحمام فوجدته مكانًا واسعًا يصلح لأن يكون صالة ألعاب.

- وأخيرًا دخلت المكتب أو المحراب كما تسميه مسز طومسون عندما تتحدث عن مصطفى وطقوسه. وأخيرًا وجدت نفسها أمام الغرفة المغلقة. ترى ماذا تخبيء داخل هذه الغرفة يا مصطفى؟ قالت نهى لنفسها.

- بيتك رائع.

- حقيقي؟ أعجبك؟

- طبعًا. أحسدك على ذوقك الرفيع يا دكتور.

- هيا نتناول العشاء ونرى ماذا أعدت مسز طومسون لتجربه فينا.

*****

جلست نهى على الكنبة وجلس مصطفى على حافتها الأخرى وبيد كلٍ منهما كوب نسكافيه يشرب منه على مهل.

- على فكرة أنا قرأت قصيدة الحب والبترول. نزار جريء، جريء جدًا.

كان من الممكن أن يخسر الكثير بعد نشر هذه القصيدة.

- ربما هو يعلم أن المقصودين من القصيدة لا يقرأون على الإطلاق!

- ولكن من الممكن أن يخبرهم أحد.

- على العموم نزار جريء فعلًا. ألم يقل في عبد الناصر «قتلوك يا آخر الأنبياء»

- بجد قال كدة؟

- وقال على لسان فدائى فلسطيني: مشيئة الأقدار لا تردني أنا الذي أغير الأقدار!

- يخرب بيته!

- نهى لماذا لم تسأليني: ماذا تحوي الغرفة المغلقة؟

- أحترم خصوصياتك.

- لم يدخل أحد هذه الغرفة أبدًا. سأعطيك مفتاحها، أدخليها وتفقديها، ولكن لا تبدلي ترتيب أي شيء فيها، وسأذهب أنا وسنج في مشوارهام. ولا تخافي، مسز طومسون هنا ولكن لا تدخليها الغرفة.

*****

ركب مصطفى بجوار سنج في السيارة الكبيرة. وصلا إلى محطة مترو أنفاق اسمها «نايتس بريدج» أو جسر الفرسان. نزل مصطفى وطلب من سنج أن يأتي إليه بعد ربع ساعة بالضبط، أتى رجل ذو ملامح مصرية يرتدي ملابس شتوية ثقيلة. سلم على مصطفى وقال:

- كنت أخشى ألا تأتي يا سعادة الباشا.

- أنا مواعيدي كالقطارات الإنجليزية طبعًا وليست المصرية. هل أحضرت الأشياء يا دكتور فتحي؟

- طبعًا يا سعادة الباشا. بس مش لسة شوية على «دكتور» دي؟

- يا سيدي كلها أيام وتناقش الرسالة.

- ناول فتحي مصطفى كيسًا كبير الحجم والوزن وقال:

- والله يا دكتور، لا أعرف كيف أشكرك. حضرتك أجبت رسالتي بمجرد وصولها وساعدتني عبر البريد الإلكتروني على كتابةرسالة الدكتوراة وأرشدتني على خفايا الموضوع وأسراره وأخيرًا هذه الدعوة الكريمة منك؛ التاشيرة، والتذكرة، والإقامة في لندن.هذا كثير والله.

- رسالتك يا فتحي خطيرة؛ لذا ساعدتك فيها، وللأسف أتوقع أن تناقش وتمنح بها درجة الدكتوراة، ثم تلقى على الرف مثل آلاف الرسائل ودون أن يدرك أحد أهميتها وقيمتها لبلدك وللإنسانية. لذلك دعوتك وسأخذ رسالتك وأضيف منها إلى معلوماتي، فتكتمل الصورة ولكن كما قلت لك قبل ذلك، لا تتكلم في هذا الموضوع. انساه.. فلم يحن الوقت بعد.

- متشكر جدًا يا فندم.

- يللا. روح وحانكون على اتصال.

*****

فتحت نهى باب الغرفة المغلقة بالمفتاح. بحثت عن زر النور ووجدته بصعوبة. كان الضوء باهرًا وكانت مفاجأة نهى كبيرة. كان أول ما رأته خريطة عملاقة لمصر بالألوان تحتل مساحة حائط كامل في الغرفة الكبيرة، يا إلهي. لم ترَ أبدًا خريطة بهذا الجمال، إن الوانها تكاد تنطق؛ البحر أزرق والنيل باذنجاني للتفرقة، والصحراء صفراء والدلتا خضراء والجبال بنية ومجسمة.

طبعًا كانت هناك تفاصيل ورموز لم تفهم منها شيئًا. كانت الأسماء واضحة ومكتوبة بالعربية، أحست كما لو كانت تنظر لمصر منطائرة أو قمر صناعي! على حائط آخر وجدت مساحته مقسمة إلى أجزاء، وكل جزء يحتوي على كمية من الصور بعضها صغير وبعضها كبير وبعضها ضخم، يبدو أن هذا ركن السياسيين؛ هاهي صورة رجل بلحية لم تعرفه، اقتربت وفكرت فرجحت أن يكون محمد على. تحتها صورةسعد باشا زغلول وتحتها صورة محمد نجيب ثم ناصر. يا إلهى ها هي صورة السادات وهو يدخن البايب، وها هو حسني مبارك بملابسه العسكرية.

انتقلت إلى ركن آخر، فوجدت صورة ضخمة لأم كلثوم، وبجوارها صورة أصغر لعبد الوهاب، وتحت الصورتين صورًا أصغرلحليم وعبدالمطلب وفريد الأطرش ومحمد فوزى، وها هي شادية وفايزة أحمد ونجاة.

بعض الصور في برواز والبعض الآخر بدون. بجوار هذا الركن مباشرة وجدت ركنًا آخر على قمته صورة لسيد درويش وبجوارها صورة رجل لم تعرفه، ثم صورة عبد الوهاب مرة أخرى، ثم السنباطى وزكريا والقصبجى وبليغ والموجى والطويل وغيرهم، ثم يبدو أن هذا ركن الكوميديين، ها هو الريحاني وتحته صور اسماعيل ياسين وحسن فايق والمهندس وعادل امام وزينات صدقيوآخرين

لم تتعرف عليهم. هاهو ركن آخر مختفي على قمته صورة عمر الشريف وبجانبها صورة فاتن حمامة وتحتهما يوسف شاهين وصلاح أبو سيف، ثم مجموعة من الصور الصغيرة عرفت منها: ليلى مراد وكاريوكا ويوسف وهبي وشكري سرحان ويحيي شاهين ثم هذه صورة سعاد حسنى وبجانبها

نادية لطفى وشويكار ومديحة كامل وهاهن الأصغر سنًا؛ منى زكي ومنة شلبي وحنان ترك يا إلهي ماهذا؟ إنها صورتي! يالك من مجامل يا دكتور مصطفى.

انتقلت إلى ركن آخر ها هو دكتور مجدي يعقوب ومحمد غنيم وأحمد عكاشة ورفعت كامل وأحمد شفيق. ما هذا المتحف يا مصطفى؟ إنك لم تترك مجالًا إلا ووضعت صورًالأقطابه! هاهي صورة كبيرة للشيخ الشعراوي وهناك صورة مؤطرة لنجيب محفوظيبدو أن له مكانة خاصة عند مصطفى، وهاهم الحكيم وطه حسين والعقاد وهاهو حسنين هيكل وأنيس منصور، وهاهو هيكل باشا والمازنى وها هو إحسان عبد القدوس ووالدته روز اليوسف ويوسف السباعي.

في ركن آخر صورة رجل لا تعرفه وتحته صورة سميرة موسى ثم أحمد زويل وحسن فتحى. يا إلهي إنها صورٌ لا تعد ولا تحصى. تركت الأركان واتجهت إلى المكتبة الكبيرة وجدتها مقسمة:قسم للكتب وقسم للأسطوانات والكاسيتات والأسطوانات المدمجة وشرائط الفيديو اتجهت لقسم الغناء وجدت مئات الشرائط معظمها لأم كلثوم.

ماهذا؟ جددت حبك ليه، يا ظالمني، رق الحبيب، رباعيات الخيام، وفي القسم الأسفل ألف ليلة،بعيد عنك، أنت عمري.وجدت على أحد الرفوف -منفردًا- غطاء أسطوانة مدمجة مكتوب عليها بخط اليد «مادام تحب بتنكر ليه» والأسطوانة غير موجودة!، وهذه أغاني حليم، و عبد الوهاب

وهذا ركن الأفلام: غزل البنات، رد قلبى، إني راحلة، الناصر صلاح الدين، العار، الرصاصة لا تزال في جيبي، الإرهاب والكباب، المنسي، سهر الليالي.

*****

انتقلت إلى الكتب مصحف كبير مذهب وعليه كارت صغير مكتوب عليه «هدية من عصام شعبان» وها هي كل تفاسير القرآن الكريم المعروفة، وها هي الشرائط الشيخ رفعت وعبد الباسط والطبلاوى وهذه حلقات الشيخ الشعراوى، عبقريات العقاد، ثلاثية محفوظ، حياة محمد،الوعد الحق، فديتك ياليلى، الساعة تدق العاشرة، لا أنام، أحست نهى بالدوار من سرعة دوران عينيها بين المعروضات، استراحت قليلًا على كرسي أنيق يبدو وحيدًا في الغرفة ولفت نظرها وجود سرير. تحولت بعينيها في أرجاء الغرفة وهي جالسة لمحت على البعد ركنًا بعيدًا، اتجهت إليه يبدو أنه الركن العائلي فها هو مصطفى على ما يبدو وهو شاب يرتدي ملابس كرة القدم، وها هي صورته بالبدلة والكرافتة، ثم من هذا؟ والد مصطفى؟ يوجد شبه. و بجانبه صورة سيدة مصرية تقليدية تبدو على وجهها علامات السماحة والطيبة لا شك أنها والدته. أما هذه فبلا شك أخته؛ لأنها موجودة في صورة أخرى بملابس الزفاف مع عريسها.

وجدت صورة شاب يبدو حزينًا وأكثر وسامة من مصطفى، يبدو أنه المرحوم عبد الرحمن شقيق مصطفى، ياااه هذا ما كانت تبحث عنه صورة كبيرة وحدها هناك، هذه سناء بلا شك، هي كما وصفها: جميلة ورقيقة وعيناها العسليتان تبدوان بوضوح في الصورة الملونة، أسفل هذا الركن، منضدة صغيرة عليها ثلاث ألبومات. راحت تقلب في الصفحات وجدت صورًا عائلية لمصطفى وصورًا له منذ الطفولة.

تعبت فجلست على الكرسي الأنيق تهضم ما شاهدت.

ركب فتحي سالم -الجيولوجي الشاب- مترو أنفاق لندن إلى حيث يقيم في»ايرلز كورت». دخل غرفته في الفندق الصغير، وجد زوجته أسماء في انتظاره.

- سلمت له كل شيء؟

- نعم.

- أنت لا تسمع الكلام أبدًا. تسلم لرجل غريب تعبك وشقاك طوال أربع سنوات؟

- يا سبحان الله، أنا سلمته رسالة ستنشر وسيقرأها الجميع ولم أسلمه سرًا حربيًا.

- مادام قد طلبها فلا بد أن ورائها شيئًا مهمًا!

- هو رجل لا يتوقف عن البحث وقد طلبها لإضافة شيء إلى علمه الغزير، ثم إن حتى لو ورائها شيء مهم، أليس من الأفضل أن يستغل بدلًا من أن تظل الرسالة على الرف لا يستفيد منها أحد؟

- لا تنسي يا أسماء أن هذا الرجل ساعدني ولم يبخل عليّ بالجهد. يكفي هذه الرحلة التي لم نكن نحلم بها، و لم ندفع مليمًا واحدًا. لقد عرضت عليه أن يناقش رسالتي في مصر ووافق، ولكنه أكد لي أن أساتذتي هم الذين سيرفضون، وسنرى.

- ربنا يعمل اللي فيه الخير.

دخل مصطفى منزله، أخبرته مسز طومسون أن نهى مازالت في الغرفة المغلقة. طرق الباب ودخل فوجد نهى لا تزال جالسة على المقعد الوحيد في الغرفة تنظر إلى لا شيء، ابتسمت في وجهه وقالت:

- حمدًا لله على السلامة.

- هل تعبت فجلست؟

- نعم. ما هذا يا دكتور؟ ما هذا المتحف الرائع الذي تخفيه في منزلك؟ لقد بهرتني! كيف استطعت أن تجمع هذا الكم الهائل من الصور والشرائط والأسطوانات والكتب والـ ...

- هذا جهد عشرين سنة أو أكثر.

- بصراحة أنا فوجئت. كنت متصورة أنك قد قطعت كل صلة لك بمصر. وعلى فكرة، شكرًا على المجاملة الرقيقة بوضعك صورتي وسط المشاهير.

- توجد عندي أيضًا تماثيل ومسلات -بعضها أصلي- ولكني مازلت لا أعرف مكانًا أضعها فيه. ربما سأضعها في كرويدون. قالها وجلس على السرير المنصوب عشوائيًا في الغرفة.

- دكتور مصطفى أريد أن أسالكما الذي جعلك تنفق الوقت والجهد والمال من أجل صناعة غرفة كهذه، وأنت الرجل العلمي والعملي المشغول أبدًا؟

- سكت مصطفى ثم قام من السرير واقترب من مقعد نهى وقال:

- خوفي من أن أكون مسخًا!

- لا أفهم.

- المسخ مخلوق مشوه، ناقص، غير متجانس،يصعب إطلاق اسم عليه لأنه مسخ! لقد جبت أركان الدنيا وزرت معظم بلاد العالم، والتقيت بمصريين وعرب وعشت معهم وسمعتهم يتكلمون ورأيتهم يعيشون في هذه البلاد، وللأسف وجدت عددًا كبيرًا منهم وقد أصبح مسخًا، يعيش الواحد منهم في البلد وشكله مصري مثلًا، وجيناته مصرية وموروثه الثقافي مصري، ولكنه يريد أن يتأقلم مع المجتمع الذي يعيش فيه فيحدث التصادم أو الصراع وينجم عنه شيء من اثنين: إما أن ينصهر تمامًا ويذوب مع المجتمع الجديد، أو يظل بهويته فيصبح جسمًا غريبًا في المجتمع. بعض الناس اخترع حلًا آخر: أن يمسك العصا من المنتصف، فيحاول أن يندمج مع المجتمع ويظل على حاله في أسرته أو مجتمعه الصغير. وفي كل هذه الأحوال يمكن أن نجد المسخ، مثال لذلك، سنفترض شابًا مصريًا يعيش في أمريكا أو الدانمرك يصادق الفتيات ويسهر معهن ويشرب معهن ويعاشرهن و قد يتزوج منهن، ثم ينجب طفلة، فتنشأ في هذا المجتمع وتذهب للمدرسة وتعيش تقاليد هذه البيئة. ثم فجأة يتذكر أخونا هذا أنه مسلم أو مسيحي وأنه من بيئة تقدس شرف البنت وتحرم علاقاتها قبل الزواج، فيبدأ من جديد في صياغة أفكار البنت المسكينة والتي لا تفهم ما يقول، فإما أن تنصاع له وتعيش في ثوب غير مناسب لها، أو تتمرد عليه فيعيش أتعس أيام حياته.لقد كنا في القرن الماضي نسافر للبلاد العربيةنعلم أبناءها ونعالج مرضاها ونؤسس ونبني منشآتها، وكنا محل ترحيب منهم والقدوة لهم في كل شيء، وكانوا يلتقطون كلامنا ويتعلمون لهجتنا. أما ما يحدث الآن فشيء غريب يذهب المدرس مثلًا إلى هناك ليجمع المال ويعود في الأجازة بعد عام، ينطق ألفاظهم ويرتدي ملابسهم، ويشيد بالنظام والقانون هناك ولا يطبقه في مصر! أليس هذا مسخًا؟

- نهى ألم تسألي نفسك مرة: لماذا لم أتزوج أنا حتى الآن؟

- أكيد سألت نفسي.

- لم أشأ أن أتي لهذه الدنيا بمسوخ جديدة. تخيلي مثلًا لو تزوجت شيللا بخلفيتها الشيوعية السابقة وحاضرها الرأسمالي المتطلع الحالي وأنا المصري العربي المسلم. هي طبعًا التي ستعتني بالأطفال وتسقيهم المعرفة. ماذا سيكون هؤلاء الأطفال إلا مسوخًا؟ لقد صنعت هذه الغرفة، وأحيانًا أنام على هذا السرير حتى لا أنسى من أنا. حتى لا أتحول إلى مسخ. وإن كان البعض يراني مسخًا بالفعل!

سكت مصطفى. فكان لابد لنهى أن تتكلم لإنهاء هذه الحالة.

- ولكن يا دكتور، ألست تبالغ بعض الشيء؟ يوجد الكثير من المصريين و العرب يعيشون في الخارج ويتأقلمون مع مجتمعاتهم الجديدة ويحتفظون بهويتهم ولا يتحولون إلى مسوخ. أنا أعرف الكثيرين.

- معك حق وإن كنت أعتقد أن هذا استثناء. نهى، كان اليوم متعبًا بالنسبة لك؟

- جدًا ولكن كان مفيدًا جدًا جدًا.

- يللا، سنج سيوصلك لكرويدون وغدًا سأسلمك جواز سفرك بنفسي مساءً. كانت هذه طريقة لطيفة لأخذ موعد منها!

أدخلت كارلا علي فريد إلى مكتب مصطفى.

- صباح الخير يا باشا، لقد أتممت الإجراءات الممكن إجرائها من هنا، وتفضل هذا جواز سفر نهى.

- متشكر يا أستاذ علي.

- دكتور مصطفى، اعذرني فيما سأقول ولا تعتبره تدخلًا في شئونك –لا أسمح به أبدًا لنفسي–ولكنه مجرد سؤال.

- تفضل.

- هل فعلًا علاقتك بالسيدة نهى، علاقة رجل يمد يده لامرأة من بلاده في مأزق؟ أم هناك شيء آخر؟

- ابتسم مصطفى نصف ابتسامة وقال: هي بالفعل علاقة رجل يمد يده لامرأة ليساعدها ليس إلا. وأظنك رأيت بنفسك كيف نتعامل بطريقة رسمية.

- إذن فأنا أقصدك فيخدمة. بصراحة أنا أعجبت بنهى من أول نظرة، وأريد أن أصل إليها بالطريق الوحيد الذي أعرفه: الزواج على سنة الله ورسوله، وبصرف النظر عن أي شيء فأنا أعتقد أنني قد أكون الرجل المناسب لها في هذه المرحلة؛ لأنني يمكنني أن أخرجها وأخرج أمها من كل القضايا. كما أنني بعلاقاتي يمكنني أن أعيدها للفن ويمكن أن تكون أكثر نجاحًا وشهرة. وأنا مستعد لكل طلباتها وإن كنت طبعًا على مستوى أقل من مستوى جاسم، فما رأيك؟

نظر مصطفى إلى وجه علي، ثم نظر إلى فتاحة الخطابات على مكتبه وقال لنفسه: إن أفضل وظيفة لهذه الفتاحة «الديكور» هي أن تنغرس

في قلب علي فريد حالًا، تمالك نفسه وابتسم نصف الابتسامة وقال:

- طبعًا أنت حر ويحق لك أن تفكر هذا التفكير، ولكن ما علاقتي أنا بهذا الموضوع؟

- سعادتك تحاول إقناعها بأن هذا في مصلحتها.

- على بك.إن النساء، وبالذات أنثى مثل نهى لا تحب هذه الطريقة. الأفضل أن تفاتحها أنت وإذا سألتني فسأجعل الكفة تميل ناحية القبول.

- إنه ثعلب ماكر كما وصفته كارلا.

- خلاص، أنا سأعرض عليها الأمر اليوم، ولكن كما وعدتني ستساعدني.

- بكل تأكيد، ولكن معذرة يا على بك إذا لم توافق؟ هل سيؤثر ذلك على موقفك من قضيتها ومساعدتها؟

- دكتور مصطفى، لست أنت من يسأل هذا السؤال. أنت تعرفني منذ زمن. لست أنا ذلك الرجل.

- أعرف ولكن فقط أردت أن يطمأن قلبي.

*****

كانت ليلة قاسية بالنسبة لنهى؛ وصلت كرويدون في حوالي الواحدة صباحًا. حاولت أن تنام دون جدوى. كانت الجرعة قاسية هذا اليوم. كم من الأحداث والتطورات حدثت في وقت واحد: مقابلة علي فريد ووضعه للنقاط فوق الحروف بالنسبة لورطتها، عرض مصطفى أو اقتراحه بعمل ألبوم من هنا من لندن، والأهم من ذلك ظهور مصطفى الحقيقي أمامها اليوم. لقد باح لها بالأمس بسر حياته، بل باح لها أيضًا بقصة حبه. وها هو

اليوم يظهرفي صورته الحقيقية بدون قناع فى غرفته المغلقة. لا يكشف رجل مثله أسراره لأنثى لا يكن لها مشاعر خاصة. هكذا حدثت نهى نفسها.

المسألة الأنماذا يمثل هذا الرجل بالنسبة لها؟ لاشك أنه يمثل شيء ويحتل مساحة قد تكون أكبر مما تتخيل، ولكن ما التصرف؟ هل تنجرف إلى مغامرة جديدة غير محسوبة مع رجل غير تقليدي؟ هل تقبل المغامرة وتتحمل النتائج مهما كانت؟إنها الحيرة، الحيرة القاتلة. تعالى أيها النوم أرجوك والصباح رباح.

*****

جلست شيللا في منزلها ببراغ تفكر. كانت قد قررت أن تغادر لندن بأقصى سرعة؛ حتى لا تتخذ قرارًا قد تندم عليه فيما بعد، أو قرارًا قد يقضي على حياتها. فأخذت أول طائرة إلى براغ. راحت تفكر في عرض مستر نزياس، مائة ألف استرليني! هل تخون مصطفى؟ هل تقدمه هدية إلى نزياس وإخوانه الذين تستطيع أن تخمن من يكونون؟ ولكن لماذا هي خيانة؟إنه سيكسب الكثير من المال وستكسب هي وسيكسبون هم وستكسب البشرية. لماذا هى خيانة؟ ولماذا تهتم هى بقضايا بلاد أخرى؟ أثناء استغراقها في التفكير رن جرس الموبايل وكان المتحدث نزياس.

- صباح الخير أيتها الجميلة، لماذا تركت لندن فغابت عنها الشمس؟

قالت برباطة جأش: سيد نزياس أنا مضيفة طيران ولدي عمل أقوم به والتزامات هنا في بلدي. ثم إن موضوعك يحتاج إلى تفكير، بل تفكير عميق على الأقل لأجد طريقة مناسبة للوصول لما تريد. أرجو أن تعطيني الوقت الكافي.

- أوكي اتصلي بي عندما يجد جديد.

وصل مصطفى لكرويدون، فتحت له نهى الباب وكانت ترتدي ملابس كاجوال شتوية: بلوفر وبنطلون وحذاء برقبة قصيرة بدون كعب. وكان شعرها ملمومًا. بدت كفتاة تنتظر في البيت مدرسها الخصوصي.

- تفضلي يا ستي جواز سفرك، أعرف أنه حبيبك.

- متشكرة جدًا. احتضنت الجواز وقبلته قائلة: تعبت من أجل استرجاعه.

- ما أخبارك؟

ضحكت نهى واستمرت في الضحك حوالي نصف دقيقة، وعندما وجدت علامات التعجب على وجه مصطفى قالت:

- أخباري؟ أنا سعيدة جدًا اليوم عشان جالي عريس! ومش أي عريس! غني وجاهز وحايخرجني من القضايا زي الشعرة من العجين! وحايرجعني للفن كمان!

لم يحرك مصطفى ساكنًا، ظل ينظر إلى عيني نهى وينتظر الجملة القادمة.

- مش تسألني حضرتك مين العريس؟

- مش حأسألك لأني عارفه. على فريد. وظل ينظر لعينيها.

- أكيد فاتحك في الموضوع؟

- نعم وطلب مني أن أتوسط له عندك.

- وماذا قلت له؟

- قلت أنه من الطبيعي أن يفاتحك هو بنفسه.

- وحضرتك، ما رأيك؟

- في المبدأ، أم في العريس؟

- في الاثنين، أولًا في العريس؟

- علي فريد غني ومتمكن من مهنته وسمعته لا غبار عليها وكذلك أصله ولكن لأن هذه أمانة هو تزوج وطلق أكثر من أربع مرات وله أولاد من هذه الزيجات. قال مصطفى ذلك وعلى وجهه ابتسامة خبيثة.

- ورأيك في المبدأ؟

- سكت وتأمل طويلًا في عينيها.

- عايزة الحق ولا ابن عمه؟ مش احنا بنقول كده في مصر؟

- الحق طبعًا.

- بصراحة، رأيي ألا تتزوجي الآن لأنك خارجة من تجربة مازلت تعانين من آثارها حتى الآن وأنت في مفترق طرق فلابد من التريث.

أما ثانيًا فـ .. فـ ... مش عارف أقول أيه .. ساعات كده بيهرب مني الكلام..

- أيوة...ثانيًا أيه؟

- ثانيًا أنا أرى أنك تستحقين رجلًا أفضل كثيرًا من علي فريد .

قال ذلك وقطب جبينه ثم نظر للجهة الأخرى، حتى لا تلتقي عيناه بعيني نهى في هذه اللحظة.

- يعني أقول له لأ؟ قالت نهى بدلال.

سكت مصطفى ولم يرد.

- على العموم أنا بالفعل رفضت عرضه، ولكني لم أجرحه أو أصده، فقط قلت له إن الوقت غير مناسب، وكان مهذبًا وعاقلًا فلم يلح.
- فقط قال: على العموم لو غيرت رأيك فأنا موجود.
- نهى...
- ترقبت نهى باهتمام بالغ ماذا سيقول؟
- حاتعشينا إيه النهاردة؟ قالها بمنتهى الجدية بينما راحت نهى في نوبة طويلة من الضحك.
- لماذا تضحكين؟ قال وعلى فمه نصف ابتسامة.
- أبدًا مفيش. أنا عندي كل حاجة، حضرتك تطلب أيه؟
- أراهن أن الحاجة اللي حاطلبها مش عندك، لكن مش مهم، ممكن «سنج» يروح يجيبه، عارفة أيه؟ فول مدمس.
- عندي، في ظرفعشر دقائق حاتدوق أحلى طبق فول ذقته في حياتك. بالزيت والليمون.
- أفلح إن صدق.
- حاستأذن أنا للمطبخ شوية ومعلهش اشغل نفسك بأي شيء لحد الأكل ما يجهز. شعر مصطفى بإحساس من كان يشعر بالبرد والقشعريرة ثم جاء أحدهم فغطاه بلحاف ثقيل.
- أخرج موبايله من جيب الجاكت وبحث عن اسم: سامي عنان وضغط على الزر الأخضر.
- آلو، أستاذ سامي؟

- أهلًا يا دكتور.
- نحن على موعدنا أم توجد عراقيل؟
- ربنا ما يجيب عطلة، موعدنا زي ماهو.
- سامي، مش حاوصيك، عايز عصارة إبداعك كلها معايا.
- يا فندم دي فرصتي، ومش حاضيعها ما تخافش.
- متشكر، سلام.
- بحث عن اسم حاتم كمال وضغط على الزر الأخضر.
- إزيك يا حاتم. جهزت ولا لسه؟
- جاهز يا فندم من قرون.
- لا يا شيخ؟ خلاص يبقى على ميعادنا؟
- إن شاء الله، أنا عارف أن مواعيد حضرتك مضبوطة على «بيج بن» ها ها.
- سلام.

سرح مصطفى في الماضي وظهرت أمامه خيالات من بني سويف والقاهرة والأسكندرية وتتابع ظهور أطياف والده ووالدته وسناء ومرفت وعبد الرحمن وإيفا ولمياء وعلياء ومريم وآخرين وسأل نفسه: إلى أين يا مصطفى؟

- الفول جاهز. صاحت نهى فأيقظته من غفوة نابوليون.
- وضعت نهى بمساعدة روز أطباق الفول والخيار المخلل وسلطة الزبادي والسلطة الخضراء. قام مصطفى من مجلسه وجلس في مقعده على

السفرة. نظر إلى نهى بإعجاب وقال: كأني جالس عند التابعي أو عند محمد أحمد في الأسكندرية.

أخذ الرغيف البلدي واقتطع منه جزءًا كبيرًا، وكما فعل مع البامية صنع ودن قطةوراح يغمس الفول من صحنه. انتبه إلى أنّ نهى لا تأكل.قام من مجلسه وقال:

- أنا حأقوم لأنك مش بتاكلي.
- لا لا أرجوك أنا حأكل خلاص.
- جلس وعاود التغميس من جديد.
- بدون أي مجاملة، هذا الفول لا يفرق أي شيء عن الفول الذي كانت تصنعه أمي، يعني أحلى فول في الدنيا.
- بالهنا والشفا.
- وعشان شطارتك دي. أعلن لسعادتك أنني اتصلت الآن بالملحن سامى عنان والشاعر العبقري حاتم كمال وأكدت معهما على الموعد، سيحضرهم «سنج» إلى هنا يوم الاثنين صباحًا ولن أكون موجودًا لأتركككم على حريتكم. أؤكد عليك. صحيح أنا مقتنع بهما ولكنلا تفعلي أيشيءأنت غير مرتاحة له.إذا أعجبتك الألحان غنيها وكذلك الكلمات. لا تجاملي أحدًا؛ هذه فرصتك ومستقبلك.
- ولكن أرجوك أعطني خلفية عنهما؛ فأنا لم أسمع بهما من قبل.
- سامي خريج زراعة ويعمل هنا في إحدى مصانع الألبان.رفض والده أن يلتحق بمعهد الموسيقى، فدرس بالقسم الحر و جاء إلى هنا بسبب البطالة في مصر ورغبة منه في الحرية وأن يمارس هوايته كما يشاء. و سترين أنه موهوب. أما حاتم فصعلوك. لا أقصد المعنى السيء، هو

خريج خدمة اجتماعية، وكان عاطلًا في مصر. واستقدمه أحد أقاربه إلى هنا يتنقل بين الوظائف وبين النساء، ولكنه يملك موهبة شعرية عامية فذة. لا تقلقي من عدم شهرتهما، فالموجي عندما لحن «صافيني مرة» لم يكن يعرفه أحد وكذلك مؤلف الأغنية. و «رولنج» كاتبة «هاري بوتر» بدأت الكتابة لتسلي نفسها ثم أصبحت أشهر كاتبة في العالم!

- أنا واثقة في حكمك على الناس.

- أخبار ماما أيه يا نهى؟

- بخير. وافقت على الحضور إلى هنا، ولكن ستؤجل الزيارة قليلًا لأن لديها بعض المشاغل في القاهرة. ومين عارف يمكن أنا أرجع قبل ماتيجي!

- ياه! ترجعي القاهرة ؟ ومين يأكلني الملوخية والبامية والفول المدمس؟

- أنا برضه. حضرتك تيجي مصر، وكل يوم حأعزمك. أنت لم تذق طعام ماما. حاجة تانية خالص. صحيح هو مش حضرتك قلت لي جايز تزور مصر قريبًا؟

- نهى الأيام القادمة سيكون فيها الجديد والخطير بالنسبة لي وبالنسبة لك، مفترق طرق. دعي الأيام تجيب على الأسئلة.

- خوفتني يا دكتور. خير؟

- ولماذا الخوف؟ ألا يمكن أن يحمل الجديد الخير؟ لماذا نحن المصريون نخاف دائمًا من الغيب؟ لماذا لا يكون الغيب هو الخير؟ قال ذلك وهو نفسه خائف من الغد.

- خليها على الله.

- سأستأذن الآن.
- لسة بدري يا دكتور؟
- معلهش أنت عارفة طقوسي.
- حضرتك أسعدتني بزيارتك اليوم.
- وحضرتك أسعدت أيامي كلها. وضغط على يدها وهو يودعها.

*****

وصلت يا سيدي من عند حبيبك؟ قال الدكتور سعد الشيمي، رئيس قسم الجيولوجيا بكلية العلوم لفتحي سالم.

- أيوة يا فندم. الحقيقة كانت رحلة رائعة. والدكتور مصطفى شخصية غير تقليديةولقد أكرمني وزوجتي آخر كرم.
- ماشي يا سيدي، استلم شغلك وابتدي رتب للمناقشة.
- بمناسبة المناقشة يا فندم، دكتور مصطفى أخبرني أنه لا مانع عنده أن يجيء لمناقشة رسالتي إذا وجهت إليه الدعوة، فما رأي سعادتك؟
- يا إلهى. إنك تطاردني حتى الآن يا مصطفى؟ أربع سنوات في الكلية وأنا ألهث لألحق بك. واليوم تريد أن تأتي إلي هنا في عقر داري؟قال سعد لنفسه.
- سنترك هذا الأمر لرأي العميد، هناك أشياء كثيرة لا تعرفها يا فتحي، اذهب يا بني.
- كان سعد الشيمي هو زميل مصطفى الذي سبقه في الترتيب في البكالوريوس فتم تعيينه بالكلية.

- قال سعد لنفسه: المفروض أن تشكرني يا مصطفى؛ لو كنت الأول وقتها لظللت في هذه الكلية وهذا البلد إلى أن تموت، تكافح من أجل محاضرة هنا أو هناك أو مناقشة رسالة لتحصل على مكافأة لا تساوى قيمة درس واحد من دروس الأبناء الخصوصية، بينما أنت الآن ملء السمع والبصر. لا أحد يتشبث بأرض هذه البلد ويفلح أبدًا!

*****

في تمام العاشرة صباحًا وصل سنج لكرويدون ومعه سامي عنان الملحن وحاتم كمال المؤلف. دخلا وجلسا في الصالة ينتظران نهى بينما كانت مسز طومسون تعد لهما عصير البرتقال، فجأة هلت طاقة من النور -حسب تعبير حاتم كمال- لم تكن إلا نهى.

- صباح الخير.
- صباح الفل. حضرتك منورة لندن. قال حاتم.
- أهلًا نهى هانم. قال سامي.
- أولًا وقبل كل شيء لا أريد أن أثقل عليكما وأرجو ألا يكون تعاونكما معي قد تم تحت أي ضغط.
- تقصدين ضغطًا من دكتور مصطفى؟ إطلاقًا. صحيح نحن نخاف من « تكشيرته» و «زغرته» وتقلب «موده» فهو من برج العقرب-
- ولكن الحقيقة أن الرجل عرض علينا الأمر فقط ونحن وافقنا عن اقتناع. أليس كذلك يا أستاذ سامي؟
- بكل تأكيد. أنا سمعت العملين الغنائيين اللذين قدمتيهما وأرى أن صوتك معبر ولذا سيعبرعن كلمات حاتم وألحاني أحسن تعبير.
- إذن فلنبدأ العمل. هاتا ما عندكما.

تسلم جاسم الدعوى وهو جالس على مكتبه في الرياض، وتعجب كيف أن محامي محترف مثل علي فريد يرفع دعوى كهذه، وهو يعلم أنه يمكنه تجاهلها وإسقاطها بسهولة خاصة وهو هنا في بلاده. وتعجب أكثر كيف وصلت نهى إلى علي فريد وهي في مكانها في لندن وكيف تستطيع دفع أتعابه الباهظة؟ هل هناك شيء لا يعرفه؟ أمسك بموبايله واتصل بالرقم المكتوب على المظروف الذي يحتوي على الدعوى.

- آلو. أستاذ علي.
- نعم.
- أنا جاسم بن نايف.
- أهلًا وسهلًا أستاذ جاسم سعيد بسماع صوتك.
- أنا أسعد. أستاذ علي أريد أن أراك، يوجد كلام مهم أريد أن نتحدث فيه.
- أنا تحت أمرك.
- قد يكون من الصعب أن تأتي للرياض حاليًا، لذا أرى أن أقابلك في القاهرة؛ سأصل خلال هذا الأسبوع, سجّل رقمي وسأتصل بك. أرجوك أنا سأحضر خصيصًا لمقابلتك، فأرجو أن أحظى بها.
- بكل تأكيد يا جاسم بك.
- تعجب علي فريد من أدب جاسم الجم.

ركبت نهى بجوار مصطفى في سيارته. كانا قد اتفقا على أن يذهبا للسينما في كرويدون ثم يتعشيان في أحد المطاعم لتكون هناك فرصة لتحكي له تفاصيل لقائها مع العبقريين: سامى وحاتم. جلست نهى وأحكمت وضع حزام الأمان. وجدت بجوار راديو السيارة الأسطوانة المفقودة من الغرفة المغلقة «مادام تحب بتنكر ليه؟» أمسكت بها ووجهت إليها الكلام: أنت هنا وأنا كنت بادورعليك هناك؟ أحس مصطفى أنه مكشوف أمام هذه الدمية الجميلة!

- سيبي الأسطوانة دي دلوقت واحكيلي بالتفصيل يللا.
- بس حضرتك حاتسلفها لي النهاردة وحارجعها بكرة؟
- ماشي. احكِ بقى.
- عباقرة يا دكتور مصطفى عباقرة! الواد حاتم ده شيطان شعر وسامي كان مستخبي فين من زمان؟ صحيح مصر ولادة، كيف عثرت على هذا الثنائي؟
- إنهم يطلقون عليهما «نجم والشيخ إمام القرن الحادي والعشرين»
- المهم. اشتغلنا أول يوم فوق العشر ساعات! أقرأ من حاتم وأختار وسامي يلحن وأنا أدندن أولًا ثم أغني. عملنا ثلاث كوبليهات كتجربة وفياليوم الثاني أكملنا أغنية كاملة وفي الثالث أغنية أخرى. أعتقد أنه خلال أسبوع سننتهي من الألبوم ونبدأ عملية التسجيل. لا أعرف كيف أشكرك، لقد أعدت إلي روحي.
- أنا سعيد لسعادتك، لذا سيكون عشائنا اليوم فاخرًا جدًا.
- وأيضًا ستعطيني الأسطوانة.

- سكت قليلًا ثم ابتسم وقال بهدوء: حاضر.

دخلا السينما. كانت تعرض فيلمًا أمريكيًا حاز على الأوسكار مؤخرًا. اندمج مصطفى في الفيلم، فلم تكن عنده أي مشكلة في عدم وجود ترجمة؛فهو يتقن الإنجليزية تمامًا، وحتى اللهجة الأمريكية تعلم كيف يفهمها من كثرة ما شاهد من أفلام بدون ترجمة مع إيفا الفرنسية! أما نهى فقد كانت تعاني من السينما في بريطانيا؛ فقد اعتادت في مصر أن تتابع ترجمة الفيلم ومع ذلك فقد كانت تفهم بعض الكلمات وتستنتج الأحداث من سياقها. أما هذه المرة فقد كان مصطفى من حين لآخر يوجز لها ما يمكن أن يكون قد التبس عليها.

انتهى الفيلم وعند خروجهما من السينما فوجئا بالأمطار الغزيرة ولم يكن معهما مظلة أو معطف مطر وكانا قد تركاالسيارة بعيدًا نسبيًا، خلع مصطفى معطفه العادي وطلب من نهى أن تضعه على رأسها، أحاط بها وراحا يسرعان في المشي. أحس وقتها بنشوة عارمة. أما هي فقد كانت في عالم آخر، وصلا للسيارة وركبا. أزاحت نهى معطف مصطفى عنها وقالت: ياخبر! كان حيبقى شكلي أيه لو كل المطرة دي نزلت على رأسي؟

- أكيد كان حيبقى شكلك حلو برضه!
- لم ترد نهى وإنما أطرقت مبتسمة تنظر لأرضية السيارة.
- أخذ مصطفى فوطة صغيرة من درج السيارة وراح يجفف رأسه
- هو أنت كل حاجة عامل حسابها؟
- صمت مصطفى وابتسم ثم قال:
- فعلًا. أنا كل حاجة تقريبًا باعمل حسابها، ولكن فيه حاجة مهمة ماكنتش عامل حسابها خالص وضحك.

- أيه هي؟
- لم يجبها وقال: البرد دة محتاج شوربة طماطم. صح؟
- محتاج لشوربةعامةً.
- في الأوقات دي كنا بنتفنن في شوربة العدس في مصر.
- نفسك فيها؟ والمصحف أعملهالك خلال يومين!

وصلا للمطعم وطلبا الطعام. احتسى مصطفى شوربة الطماطم ثم شرع يأكل وجبته المفضلة من لحم الغزال، اكتفت نهى بالشوربة وبدأت تأكل سلطة التونة. تعجب مصطفى من أكلها وقال:هل هذا العشاء يكفيك؟ شوربة وسلطة؟ معقولة يا نهى؟

- مصطفى باشا. تعودت أن أعرف ما إذا كنت قد ازددت في الوزن من ملابسي واتساعها على جسمي واليوم تأكدت أيضًا من الميزان في حمام منزلك أنني قد ازددت حوالي ثلاثة كيلوجرامات. وأنا هنا لا أتحرك على الإطلاق صحيح أؤدي بعض التمرينات الرياضية يوميًا ولكن هذا لا يكفي. لابد إذن من تخفيض السعرات وإلا كيف سأظهر للجمهور؟أو حتى على غلاف الألبوم؟
- أرى أن تأكلي كما تريدين وتزيدي من حركتك ورياضتك.
- سأحاول وإلى أن يتم ذلك، فلنخفض السعرات.
- طيب على الأقل أكملي طبقك.
- حاضر.

انتهيا من الطعام وخرجا من المطعم متجهين إلى السيارة. كان هناك منخفضًا وقد ملأته مياه الأمطار، استطاع مصطفى أن يتخطاه. أما نهى فصعب عليها ذلك إلا أن تخوض في المياه خصوصًا بالكعب العالي. طلب منها

مصطفى أن تلقي بجسمها وهو سيتولى تخطيها للمنخفض. ترددت فقال لها: لاتخافي يللا. تركت نفسها فوجدتها بين ذراعيه مدة ثلاث ثوان. من جديد أحس هو بالنشوة العارمة ودخلت هي مرة أخرى في عالم آخر.

- يا سيد نزياس لا تتعجل الأمور قريبًا سيمكنني اللحاق برحلة لندن وأستطيع أن أدبر بيات يومين في منزل مصطفى، أي عرين الأسد بغير ذلك لن نستطيع أن نفعل شيئًا، فأرجوك لاتتعجلني.

- أنا لا أتعجلك يا جميلة الجميلات، فقط أذكرك؛ فالوقت ليس في صالحنا فكما نتحرك فلابد أنه هو أيضًا يتحرك.

- أوكي، بمجرد التحاقي برحلة لندن سأخبرك.

- إلى اللقاء شيللا.

*****

قال دكتور سعد الشيمي لفتحي سالم:

- يافتحي. لقد رفض العميد دعوة مصطفى رضوان لمناقشة رسالتك، فأرجو أن نجلس سويًا ونختار مناقش خارجي آخر.

- هل يمكنني أن أعرف السبب؟ هل هو قانون الجامعة؟ أم هناك سبب آخر؟

- يا فتحي يا بني أنت لامؤأخذة عبيط ولا بتستعبط؟ما تزعلش مني، لكن كل الناس عارفة أن مصطفى رضوان من المغضوب عليهم.

- والله لا أعرف، ولكن لماذا؟

- أخوه كان من التنظيم الذي قتل السادات ومات في السجن.

- وجم فتحي قليلًا ثم قال:
- وهل كان له هو أي نشاط سياسي؟
- على الإطلاق.
- فلماذا يكون إذن من المغضوب عليهم؟
- وأنا مالأمي بهذا؟هذه سياسة بلدك، يللا اتكل على الله.

خرج فتحي سالم حزينًا ومندهشًا وخائفًا في نفس الوقت.

*****

العمل في منزل كرويدون يجري على قدم وساق. روز ومسز طومسون تخرجان وتدخلان صالة الدور الأسفل بأكواب الشاي والنسكافيه والسندوتشات السريعة. سامي عنان يمسك بأورقه ويضيف نغمة هنا ويجربها ثم يؤكدها أو يلغيها. حاتم كمال يشعل سيجارة من سيجارة ويمسك في يده بكراسة من كراريس تلاميذ المدارس، ويكتب بالقلم الرصاص ويمحو بأستيكة صغيرة من حين لآخر بعض الكلمات ويعيد كتابتها. نهى بالبنطلون الجينس والتي شرت طويل الأكمام والحذاء الزحافي تجلس القرفصاء على سجادة الصالة. ممسكة بالميكروفون الحديث. تدندن أولًا ما يدربها عليه سامي، ثم تغني وحدها وهكذا. ويمر اليوم على هذا المنوال ولا ينتهون من العمل قبل العاشرة مساءً، في نهاية هذا اليوم، قال سامي لنهى وهي لازالت تجلس القرفصاء ساندة ظهرها على الكنبة: غنّي ورائي هذا الكلام الذي لابد أنك تعرفيه. ستكون هذه الأغنية هي ختام الألبوم:

سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة

صفر يا وابور وأربط عندك نزلني في البلد دي

بلا أميركا بلا أوروبا مافيشي أحسن من بلدي
دي المركب اللي بتجيب أحسن من اللي بتودي
يا سطى بشندي وآه يا سالمة يا سلامة

غنت نهى وراء سامي بصوت عذب وعندما انتهت وجدت الدموع تملأ عينيها. قال حاتم: مادمت قد بكيت، فتأكدي من نجاح الألبوم، قال سامي: طبعًا سعادتك يا حاتم حاتكمل الأغنية بكلامك أنت.

- مفهوم. مفهوم.
- يللا. بقى إحنا تعبنا نهى النهاردة.

*****

طرقت كارلا باب مكتب مصطفى ودخلت.

- مستر رأفت ويصا بالخارج.
- أدخليه بسرعة.
- دخل رأفت وفتح ذراعيه، خرج مصطفى من وراء مكتبه واتجه ناحية رأفت الذي عانقه قائلًا:
- والله عال يا واد يا مصطفى، بقالك مكتب، وسكرتيرة تحل من على حبل المشنقة. الله يرحم أيام الكرة الشراب. فاكر؟
- ودي أيام تتنسي؟ بس أنت كنت إقطاعي، كان عندك كرة جلد وكنت بتطلع روحنا عشان تسلفهالنا.
- كام سنة دلوقت يا واد ما شفناش بعض؟

- تقريبًا عشر سنين ولولا النت والموبايل كنا تُهنا عن بعض للأبد. بس أنت شعرك راح فين؟

- اسكت دي علامة العبقرية. المهم خير؟ أول مرة في حياتك تصرأني أجي لندن، وتقول لي حاجة في منتهى الخطورة! أنا اتخضيت.

- خير، خير، ولكنه موضوع في منتهى الأهمية ومش حا ينفع نتكلم هنا. أنا عازمك يا إقطاعي على الغدا وهناك نتكلم براحتنا. سأحاول أن أقلدك وأعمل ابن ناس وحابعت لك السواق بتاعي يأخذك من الأوتيل.

- وكمان عندك سواق؟ الله يرحم الشعبطة في الأوتوبيسات!

*****

رأفت ويصا غطاس، قبطي مصري رفيق طفولة وشباب مصطفى. تلازما منذ الصغر في بني سويف حيث ترعرع رأفت. التحق بكلية التجارة بالقاهرة وبالتالي استمرت العلاقة مع مصطفى حتى حدوث مأساة الأخير وإلى أن سافر للخارج، والده الملياردير ويصا غطاس، أحد أقطاب الصناعة والتجارة في مصر.أدى خدمات كبيرة للحكومة المصرية: مشروعات واستثمارات وبنية أساسية. كان عامل تهدئة وهمزة وصل بين الحكومة والكنيسة عندما تهب العواصف من هنا أو هناك.

رأفت يجوب العالم من أقصاه إلى أقصاه لرعاية مشروعاته وتنمية ثروته. بدأتدريجيًا يأخذ دور والده على أرض مصر، وبالتالي أصبح مقربًا للسلطة، وكما أن اللون والشكل وراثة فيبدو أن الميول والاجتماعيات أيضًا وراثية وإلا فلماذا كان والد رأفت صديقًا حميمًا لوالد مصطفى بالرغم من الفارق المادي الكبير بينهما؟

كان ويصا غطاس هو أول من لفت نظر والد مصطفى إلى اتجاهات ابنه عبد الرحمن الجديدة وكان لعبد الرحمن رأي مختلف في الصداقة بين المسلمين والأقباط.

*****

انتهى رأفت ومصطفى من تناول الطعام في المطعم الفاخر وراحا يحتسيان القهوة. قال رأفت:

- ولماذا تعتقد أنه قد تم تجاهل الرسالة التي سربتها عن طريق هذا الفنان الشهير إلى السلطة في مصر؟

- لا أعرف، ولكن من الجائز أنّ محتوى الرسالة كان غامضًا بعض الشيء وقد تعمدت ذلك لعلمي بخطورة المعلومة وجائز أن الفنان قد نسي، أو أبلغها بطريقة فيها شيء من اللامبالاة وإن كنت أثق في جديته. جائز أيضًا أن الرسالة لم تهمل ويكون هذا مجرد مظهر من مظاهر البيروقراطية. وأخطر الاحتمالات بالنسبة لي أن تكون الرسالة غير ذات أهمية أو لا يدركون أهميتها، أو لا يثقون في صاحب الرسالة!

- هذا أمر خطير وأنا سعيد جدًا أنك وثقت بي في أمر مثل هذا.

- لاشك عندي في جديتك أو في وطنيتك وانتمائك وحفظك للسر.

- ولكن ما يبهرني حقًا هو أنك بالرغم من المرارة التي تشعر بها والذكريات الأليمة، تفكر في إهداء المعلومة الهامة إليهم!

- أولًا أنا أعطي المعلومة لشعب ولبلد ولا أعطيها لنظام.

- ثانيًا وبالرغم من أي شيء، هل يمكن أنتتصور أن أعطي المعلومة للجهة

الأخرى؟

- لأ طبعًا. أنت لا تفعل ذلك. على العموم انتهى الأمر المعلومة ستصل بإذن الله. أول شيء سأفعله عند عودتي للقاهرة.

حضر مصطفى عملية تسجيل الألبوم، تم هذا في أكبر ستوديو صوت في لندن وبتكليف وتمويل من مصطفى نفسه، الذي خرج عن روتينه اليومي وانصرف من عمله قبل الموعد الرسمي. كانت نهى قد سبقته إلى هناك برفقة سامي وحاتم والسائق سنج. كانت مضطربة ثم ما لبثت أن استعادت هدوءها بمجرد رؤيتها لمصطفى يدخل الأستوديو. حيا الجميع ثم اتجه إلى نهى وعانقت يده يدها بقوة وقال:

- ليس هناك ما يدعو إلى كل هذا الاضطراب؛ أنا استمعت للبروفات وكنت ممتازة. تمالكي أعصابك، النجاح حليفك بكل تأكيد. يللا.

بدأ العمل ودارت الآلة بكل دقة ونظام واستمع مصطفى للألبوم كله واقتنع تمامًا أنه كان على حق عندما اختار سامي وحاتم ووضعهما في طريق نهى. كان أهم ما يميز العمل أن سامي أستطاع بمهارة أن يوظف ألحانه لتتناسب مع إمكانيات صوت نهى العادية مع الدفء الذيتميز به، ومع كلمات حاتم القوية وغير التقليدية. وكانت أغنية سيد درويش مسك الختام، أدتها نهى بصدق وحرارة كما أضافت كلمات حاتم الجديدة إلى اللحن عصرية ومواكبة للزمن الحالي.

- يا جماعة يا عباقرة –صاح مصطفى– الكل مدعو الآن للغذاء في المكان الذي تقترحونه؛ احتفالًا بإنجاز الألبوم في زمن قياسي.
- هيييييه! قال حاتم، والطلبات مفتوحة يا دكتور؟

- مفتوحة على الآخر.

نظرت نهى إلى مصطفى نظرة لها معنى واحد: الشكر والعرفان بالجميل بينما نظر هو إليها نظرة لها معنى واحد: الحب، كان وقت الغذاء بالمطعم الفاخر وقتًا حميمًا مليء بالدفء والمشاعر الحقيقية. كانت نهى تتصرف مع سامي وحاتم بتلقائية وعفوية وأريحية واضحة، كأنها تعرفهما منذ زمن. ورفع مصطفى التكليف بينه وبين الجميع على غير عادته فبدا كأنسان آخر. انتهى الغذاء وانصرف سامي وحاتم، وكان مصطفى قد دفع لهما أتعابهما بزيادة نظرًا لسرعة وكفاءة إنجاز الألبوم.

بقيت نهى وحدها مع مصطفى. قالت له:

- والآن يا دكتور مصطفى وأنت صاحب الفكرةالحقيقية وراء هذا العمل – الذي أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكلله بالنجاح– أرجو أن تقبل الليلة احتفالي أناناليوم في منزلك على العشاء. هلا أتيت الآن؟ أم سترفض دعوتي؟

- لا يمكنني الرفض يا نهى سأحضر بالطبع، ولكن أرجو إعطائي فرصة للعودة لمنزلي لبعض الأمور الهامة، ثم أحضر إليك في التاسعة كالمعتاد.

- ولكن الآن الساعة السابعة. هل ستستطيع الذهاب للمنزل ثم الذهاب لكرويدون في ساعتين؟

- اعتدت على ذلك. أرجوك.

- ماشي. سأنتظرك.

*****

خلال نصف ساعة كان مصطفى قد وصل لمنزله. استقبله كومار فطلب كوب كبير من النسكافيه وتجهيز الحمام.كان مصطفى يعرف أن في تمام الثامنة سيأتي إليه شخص يدعي وايتمان يريد مقابلته،أصر هو أن يكون اللقاء في منزله وفي وقت تواجد كومار. وطلب من الأخير أن يكون قريبًا وأن تكون أذنه معه ومع الضيف طوال فترة المقابلة.

حضر وايتمان في الموعد المحدد استقبله مصطفى بابتسامة تقليدية وسأله ماذا يشرب فأجابه: كوب من عصير البرتقال إذا كان متوفرًا، كان وايتمان رجل طويل القامة، منحني الظهر، شعره أصفر وخفيف، شديد بياض الوجه وزرقة العينين، يرتدي بدلة كاملة وكرافتة زرقاء نحيلة وحذاء يبدو أضخم من قدميه.

- تشرفت بمعرفتك يا سيد وايتمان. هل لي أن أعرف سبب تشريفك لي بالزيارة؟

- بكل سرور. أنا أعرف أن السيد دينو أحيانًا يكون غير لبق في عرضه للأمور، لذا جئت لأضع النقاط فوق الحروف.

- بالعكس، السيد دينو رجل مهذب وعرض الأمر بلباقة، ولكني فقط طلبت مهلة للرد ومازلت في هذه المهلة.

- سيدي، الأمر واضح ولا يحتاج لمهلة. أنت بتعاونك معنا تخرج معلوماتك للنور فتستفيد ويستفيد الأخرون. لا توجد جهة واحدة حاليًا يمكنها تقدير قيمة معلوماتك.

- الأمر ليس هكذا، المسألةتحتاج مني مزيد من البحث والتمحيص لتصبح الصورة كاملة فتتيح للجميع الاستفادة؛ لذا طلبت المهلة لاستكمال الصورة.

- سيدي، المعلومات لدينا تؤكد أن الصورة كاملة ولا ينقصها إلا بعض الرتوش الخفيفة تتم على أرض الواقع وليس على الورق.

- فليكن، ولكن لابد من المهلة؛ لم أتعود أن أتسرع في اتخاذ القرار.

- سيدي، لاأريد أن أبدو في صورة المحذر أو المهدد، فهذا بعيد عن الواقع،ولكني فقط أقول: أنه لن يمكننا بأي حال من الأحوال، وفي ظل التوازنات في القوى الدولية، السماح لأي جهة أخرى باستغلال هذه الموارد.

- هو تهديد كما هو واضح، ولكني أطمئنك لم تعرض عليّ جهة أخرى العمل معها. قد تكون هناك دولة عربية قد فعلت، ولكني أعتقد

- أنها «معكم»!

- إذن فهذا تقريبًا اتفاق؟ أرجو أن تكون كل الأمور على ما يرام وسنكون على اتصال.

- تفضل عصير البرتقال.

*****

أسرع مصطفى بارتداء ملابسه للحاق بموعد نهى. وصل متأخرًا ساعة إلا ربع لأول مرة في حياته!

- آسف ولكنه كان ضيفًا ثقيلًا تخلصت منه بصعوبة.

- ظننتك غيرت رأيك، أو راحت عليك نومة!

- نفسي مرة تروح عليّ نومة، هذا ترف لا أملكه.

- هل أنت جائع الآن فنعد الطعام أم نجلس قليلًا في الصالة؟

- نجلس في الصالة واسمحي لي أن أدخن سيجاري.
- ليتك تقلع عن التدخين.
- كما تلاحظين، أنا لا أدخن بصفة دائمة. فقط في أوقات معينة.
- مثل الآن؟
- مثل الآن.
- وماذا الآن في عقلك يجعلك تريد أن تدخن؟
- أشياء كثيرة يا نهى، ستعرفينها في وقتها.
- أرجو أن يكون خير.
- بعضها خير وبعضها لا أعلم.
- إن شاء الله كله خير. سؤال عابر: هل مازلت تشرب الخمر من حين لآخر؟
- ماهي الإجابة التي تحبين سماعها؟
- أن تكون قد امتنعت.
- هذه هي الإجابة الصحيحة.
- الحمد لله.
- عامةً لم أكن أشرب أبدًا لأسكر، فقط مجرد مشاركة -بروتوكول يعني-
- وتقليد أعمى. ألم أقل لك أننا أحيانًا نكون مسوخًا.
- تسمح لي أن أقدم لك هدية؟
- بمناسبة أيه؟
- بمناسبة الانتهاء من الألبوم، وشكر وعرفان وتقدير لك.

- قال ضاحكًا: أشوف الهدية أولًا ثم أقرر أأقبلها أم لا؟

- هي هدية رمزية على أي حال. تفضل.

- أعطته صندوقًا من الكارتون. فتحه فوجد نموذجًا مجسمًا للأهرامات مصنوعًا بإتقان شديد، وقطعة قماش كبيرة من الحرير وجد صورته مرسومة عليها! كانت مفاجأة كبيرة.

- كيف تم رسم هذه الصورة؟

- آسفة. لقد سرقتها من غرفتك المغلقة وأعطيتها لصديقة لي تحترف الرسم على الحرير، فرسمتها. أما مجسم الأهرام فقد طلبته من خان الخليلي ووصلني بالأمس فقط. كان هذا ما ينقص غرفتك المغلقة: الأهرام وصورتك بالحجم الكبير: ألست من ضمن معالم مصر؟

- هذا كثير يا نهى. تعبتِ نفسك.

- وأنت ألم تتعبك نفسك وتكلف نفسك فوق طاقتك وتدخل نفسك في قضية لا تساوي شيئًا بجانب مشاغلك واهتماماتك؟

- يفعل الإنسان ذلك بدافع المبدأ ورد الفعل الطبيعي أو بدافع الحب بمعناه العام طبعًا.

جلست نهى على المقعد وتبدل لون وجهها إلى الأحمر أو القرمزي ثم راحت تنظر لأرضية الصالة. رفعت رأسها وقالت بينما هو متوجه برأسه إلى الناحية الأخرى:

- وحضرتك فعلت ذلك بدافع أيه؟

- بدافع الاثنين.قال ضاحكًا.

- وفي تغيير ذكي لدفة الحديث وتوجيهه إلى حيث تريد قالت نهى:

- على فكرة أنا آسفة، كنت ناسية معايا الأسطوانة، حأجيبها لحضرتك. أسطوانة «مادام تحب بتنكر ليه» قالتها بصوت عالٍ.

- يابنت اللئيمة! قال مصطفى لنفسه.

انطلقت نهى للمطبخ، بينما كان مصطفى يفكر فيما قاله: هل تَسرّع؟ هل انتبهت لما قاله؟ هل يخطو خطوة أخرى ليريح نفسه من هذه الحيرة؟

- وعد الحر دين عليهها هي شوربة العدس. أتحداك أن تقاومها.

- الله الله هذه هي المفاجأة الثانية!

- نعم. تفضل على المائدة، ولا تخف توجد أصناف أخرى غير العدس.

- كفاية العدس الليلة. أوعي تقوليلي ريجيم برضه؟

- حأدوق معاك لقمتين وكفاية. صورة الغلاف ستكون قريبًا.

- بالمناسبة، الأستاذ علي فريد سيحضر للندن الأسبوع القادم ويقول أن لديه أخبارًا ورسالة هامة من جاسم فلا بد أن تقابليه.

- أخشى أن يكون ينتظر ردًا مني في موضوع زواجه؟

- لا لا علي فريد عاقل. ولكن ترى ماذا تحوي رسالة جاسم؟

- قال ذلك، ثم قاما متجهين إلى غرفة الطعام.

- ربنا يستر.

- المهم. أعتقد أن الألبوم سيكون جاهزًا ويمكن لعلي فريد أن يأخذه معه للمنتج ويتولى هو الدعاية والتوزيع.

- وهل عند المنتج فكرة؟

- طبعًا أخبره علي فريد منذ فترة.
- دكتورمتى تتوقع أن أعود لمصر.
- هل تتعجلين العودة ؟
- قبل أسبوعين كنت أتعجلها، الآن لم أعدبمثل هذه اللهفة.
- لماذا؟
- أولًا:لأنني عندما انشغلت بالعمل في الألبوم، نسيت كل الظروف المحيطة بي واندمجت وثانيًا: لسبب أحتفظ به لنفسي. ضحكت وأدارت وجهها للناحية الأخرى.
- أتمنى أن يكون السبب هو نفس السبب الذي .. الذي ...
- مرة أخرى خانك التعبير؟
- لا أبدًا سأقول نفس السبب الذيأضاف إلى حيرتي الأساسية حيرة جديدة.
- وما هي حيرتك الأساسية وما هي الحيرة الجديدة؟
- حيرتي الأساسية من موضوع يتعلق بالعمل وستعرفينه في وقته، أما حيرتي الثانية فهي لا أعرف كيف أبدأ، ولكن لابد أن أتكلم فنحن في مفترق طرق ونحتاج لوقفة.
- دكتور مصطفى. الموضوع أبسط من هذا. أرجوك تكلم. فأنت الذي علمتني أن البوح والفضفضة قد يساعدان على حل المشاكل. هذا إذاكان هناك مشكلة من الأصل. تكلم وتأكد أن أي شيء ستقوله أنا مهيأة له نفسيًا.

- الحقيقة أنه خلال الفترة الماضية تقاربنا بشكل كبير، بل أستطيع أن أقول أنك أصبحت جزءًا لا يتجزأ منكياني كله. حاولت أن أقاوم، استعنت بكل تراكمات تجاربي وخبراتي لأصمد، ولكن آن الأوان أن أعلن بوضوح أن خطوط دفاعي قد سقطت واحدًا بعد الآخر وهأنذا أعلن الآن هزيمتي بل استسلامي. وسكت.

- أكمل أرجوك.

- ماذا تريدين أن تسمعي أكثر من هذا؟ أليس ما سمعت كافيًا أم أنكن معشر النساء تحبون دائمًا أن تسمعن الكلمة واضحة حتى وإن كانت تبدو على وجه الرجل كالشمس في وسط النهار؟

سكتت نهى ولم تدرِ ماذا تقول وإلى أي جهة تنظر. فكرت أن تقوم وتجري للمطبخ تفتعل أي شيء لتهرب من الموقف. فكرت أن تقوم وتقبله، فكرت أن تدعي الدهشة أو الصدمة أو حتى الغضب. فكرت في كل شيء عدا التصرف الذي قامت به بتلقائية.

- دكتور مصطفى أعرف أن أسئلتي كثيرة وأنت لا تحب الأسئلة، ولكن أعذرني هل تشك لحظة في أني أبادلك نفس الشعور؟

لم يرد مصطفى وقام من مجلسه واتجه إلى النافذة ونظر إلى الخارج، ثم التفت ناحيتها واتجه إليها. ارتجفت وخشت أن يكون في نيته أن يقبلها! توقف في منتصف الطريق وقال:

- هاتي لي مصحف أحلف عليه، أنا بالفعل لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال! تنفست نهى الصعداء وقامت فأصبحت على مسافة بسيطة من مصطفى وقالت:

- أنا مثلك، ربما من ثاني أو ثالث لقاء، ولكني أختلف عنك لم أقاوم ولم

أحاول أن أصمد؛ كنت بحاجة للحب، كنت بحاجة لأن يضمد أحد جراحي، كنت بحاجة لأن أستيقظ في الصباح على أمل جديد، على حافز يجعلني أترقب طلوع الشمس. لاأحد يقاوم الحب يا دكتور مهما كانت الظروف.

سكتت وانتظرت رد فعله.

- نهى أنا أكبر منك بكثير، وحياتي مليئة بالعقد و...

- وأنا سأكمل الحديث: وأنا فنانة ومتمسكة بالفن وهذا قد لا يناسب مكانتك العلمية، وأنت تقيم هنا وأنا أقيم هناك وأنت تخبأ شيئًا خطيرًا لم تطلعني عليه حتى الآن. أعرف كل هذا وغير مطلوب منا حاليًا اتخاذ أي قرارات أو القيام بأي إجراءات. لقد تصارحنا فدعنا نعش هذه اللحظة الجميلة وكفى ولنترك المستقبل والأيام تجيب على الأسئلة. أليست هذه جملتك؟

- بلى أرجو ألا يكون كلامك مجرد ترضية لرجل «كبير» قد تكونين مقدرة لجهد ما بذله معك ولا ترغبين في جرح مشاعره؟

- من منا الآن الذي يريد أن يسمعها واضحة؟ أنا أم أنت؟ أنا يا سيدي أشجع منك. أنا أحبك ولا أريد شيئًا، أحبك وفقط.

- ابتسم مصطفى ابتسامة عريضة وقال:

- وحياتك يا نهى نغير الموضوع؛ لأني أحس أني في نصف هدوميألا نقول هذا في مصر علامة على الكسوف؟

- مصطفى أنت كنت تضع قناعًا على وجهك. وعندما خلعته ظهرت حقيقتك كرجل من أرق وأنبل وألطف الرجال، ولكني سأقول لك سرًا:

ربما أنا الوحيدة التي لم تخدع بالقناع؛ كنت أعرف أنه مجرد قناع. سمِ ذلك حاسة سادسة، سمه فراسة، سمه حب. المهم هذا ما حدث!

- نهى. أرجوك خلاص، كفاية أحس كأني تلميذ في ابتدائي أمام أستاذه. وحياتك غيري الموضوع.
- حاضر. هل أعجبتك شوربة العدس؟
- ممتازة! وضحكا عاليًا.

أخيرًا وصل الأستاذ علي فريد. انتظره مصطفى في منزله اللندني وراحا ينتظران وصول نهى التي أصر على أن تكون حاضرة الجلسة. وصلت نهى في موعدها وكانت قد اتفقت مع مصطفى أن يمثلا «رسمية» العلاقة بينهما منعًا لوصول أي خبر لجاسم أو حتى لعلي فريد

- أهلا أستاذة نهى. معلهش أنا أصريت أن تحضري هذا اللقاء لأني مكلف بمهمة وألح عليّ صاحبها أن أقوم بها على أكمل وجه لما تمثله من أهمية بالنسة لحياته على حد تعبيره، تعبير الأستاذ جاسم. أرحو أيضًا أن تعيرنا انتباهك يا مصطفى باشا ونأسف على تضييع وقتك الثمين،ولكن معلهش أنت معنا منذ البداية ونريد أن نسترشد برأيك، واعلما أنني في النهاية لا أريد إلا مصلحة السيدة نهى فهي موكلتي وليس الأستاذ جاسم، ولكن إذا كان هناك مصلحة للطرفين فلم لا؟ والصلح خير.

- هات ما عندك يا أستاذ علي. أنا زكي سابت. قالت نهى.

- باختصار شديد، رحب جاسم بمطلب الدعوى التي رفعناها وقال أنه مستعد لذلك على الفور، وأنه وإن كان قد تأخر في ذلك؛ فلأنه كان يطمع أن تغير السيدة نهى رأيها وتعود إليه. بعد ذلك طلب مني أن أعرض عليك الآتي –ويبررعدم عرضه عليك مباشرة بأنه قد سبق وأن حاول الاتصال بك بنفسه وعن طريق سكرتيره فعاملتيهما بجفاء وكنت على وشك إغلاق التليفون في وجهيهما– حسب روايته. المهم الأستاذ جاسم يقول: أنه على استعداد للعقد عليك من جديد بمهر جديد يساوى ضعف المهرالسابق وأن يوفر لك سكنًا خاصًا فاخرًا في القاهرة؛لأنه أساسًا في الفترة القادمة سينقل نشاطه للقاهرة لبعض الوقت. وأنه على استعداد لإخراج الوالدة من الورطة والخسارة التي وقعت فيها من جراء الأزمة العالمية. والأهم من ذلك أنه على

أتم الاستعدادلقبول عودتكللعمل بالفن بشرط واحد هو عدم ظهورك فيمشاهد خليعة أو بملابس غيرلائقةوبعد عرض السيناريوهات عليه، وأخيرًا التفاوض في مسألة إنجاب الأطفال لضمان وصولهم للحياة دون التعرض لمشاكل مستقبليًا، الأهم من ذلك يا مدام نهى أنه يقول أنه بالفعل حدثت في الماضى بعض التجاوزات والأخطاء لم يكن القصد منها على الإطلاق الإساءة وإنما كانت ردود أفعال واختلاف بيئات وتعبير خاطىء عن حب كبير. تلك هي كلمات الأستاذ جاسم بلا رتوش أنقلها اليك وأرجو أن تأخذي وقت في التفكير فالأمر أكبر مما تتخيلي؛ لقد كاد الرجل يبكي وهو ينقل إليّ هذا الكلام .

استمع مصطفى إلى كلام علي فريد واختزنه في الكمبيوتر البشري الذي يحتفظ به في أعلى جسده! وراحت الآلة تدور لتبحث عن رد مناسب، بينما همت نهى أن ترد بإيحاء من أجمل كلام سمعته في حياتها من مصطفى منذ يومين:

- الموضوع مش محتاج تفكير يا أستاذ ...

- نهى أرجوك، ونظر إليها نظرة نارية موحية بوجوب أن تنفذ أوامره مع غمزة بعينه لم يفعلها أبدًا، أرجوك يا نهى الصبر.

أستاذ علي هذا عرض كريم ويستحق الدراسة وستفكر فيه نهى على مهل، أولًا: لتعرف ما إذا كانت ستقبله أم لا. وثانيًا: لتعرف كيف ستتأكد من تنفيذ كل بنوده.

- ولكن يا دكتور مصطفى ...

- أرجوك يا نهى. نحن نثق في الأستاذ علي وأنت على ما أظن تثقين في رأيي ونحن الاثنان أكثر منك تجربة وخبرة. أخبر جاسم يا أستاذعلي أن نهى ستفكر وستخبره بموقفها خلال فترة ليست بالطويلة. ولكن عليه لإثبات حسن النية البدء بإرسال نفقتها الشهرية.

- ماشي. اللي تشوفوه، ولكن أخر كلام منك يا مدام نهى؟

- كما قال دكتور مصطفى!

- المهم ياسي علي. خلينا في المهم. هذا هو الألبوم. وهذه هي صورة الغلاف، وأظنك تتفق معي أنه ليس فيها أي شيء مسيء، وهذه بادرةحسن نية منا للأستاذ جاسم. أرجو توصيل الألبوم للأستاذ خليل بدران المنتج والبدء في الدعاية والتوزيع كما يحلو له. ومنتظر من سعادتك ورقة مخالصة منه لصالح نهى في أقرب فرصة.

- أكيد طبعًا.

- أستاذ علي مش حأوصيك. عايزين الشريط ينجح ويمهد بقوة لعودة نهى.

- ما تخافش يا باشا، هات الألبوم وسأوقع لك بالاستلام. تفحص علي الأسطوانة، كان الغلاف عليه صورة نهى ترتديجلابية بلدي واسعة نسبيًا وشعرها منسدل وخلفها الأهرامات. اختار هذا الغلاف حاتم كمال ووافق عليه الجميع وكان عنوان الألبوم: «البعد مش مسافات» نظر علي فريد للألبوم وقال: شكله، شكل نجاح!

- أوصل مصطفى علي فريد للباب وقال له هامسًا: بذمتك وعدك بكام لو رجعت له نهى؟

- يا بخت من وفق رأسين في الحلال ومنع خراب البيوت.

- أيوة يعني كام؟

- كتير بس هي توافق.

- عاد مصطفى للصالة فوجد نهى جالسة ويدها على خدها. رأته فقالت:

- ليه يا مصطفى؟ ليه ما قطعناش عرق وسيحنا دم وخلصنا من القرف ده؟ لسه حايفضل بيني وبينه أخذ ورد ومفاوضات؟

- نهى، بعد ما تصارحنا به أول أمس. هل تظنين للحظة واحدة أن يكون ما قلته لعلي فريد صادقًا وحقيقيًا؟

- لأ طبعًا، ولكن لماذا؟ أريد أن أفهم.

- نهى، هل ترين هذا الشعر الأبيض على جانبي رأسي؟ هل ترين هذه التجاعيد التي بدأت تظهر حول عيني؟

- لا أرى شيئًا. أراك جميلًا فقط. وضحكت.

- مجاملة رقيقة لأ صحيح، هذا الشعر وهذه التجاعيد ليست فقط علامات التقدم في السن ولكنها تعني أن صاحبها قد رأى من المواقف والأحداث ما يفوق تخيلك بكثير. إن الرجل الذي يعرض هذا العرض الخرافي على امراة هربت منه وأخبرته بوضوح أنها لا تريده. رجل من اثنين: إما عاشق ولهان يتعذب في نار الحب ويضحى بالغالي والرخيص في سبيل استعادة محبوبته –ولا أظن أن جاسم من هذا النوعهو ومن هم على شاكلته– أو رجل يفعل ذلك ليستحوذ على امرأة قالت له لا فهزت كبريائه و يريد أن ينتقم. كان لابد لنا إذن أن نماطل ونكسب وقتًا إلى أن نصبح في الأمان وعند ذلك نعلن رأينا بوضوح. نهى. أنا لا أضغط عليك أو أفرض رأيًا، إذا وجدت أن عرض جاسم يمكن قبوله فأنت في حل من أي شيء ولك مطلق الحرية و ..

- مصطفى لو قلت هذا مرة أخرى فتأكد أنني سأحزم حقائبي على الفور وأعود»للمون لايت»أو للقاهرة مهما كانت المخاطر. أنا فعلًا زعلت.

- لا لا أرجوك إوعى أنا آسف، فقط تعرفين حساسيتي المفرطة أريد فقط أن أعطيك أكبر مساحة للتفكير بحرية.

*****

غادرت نهى إلى كرويدون مع سنج وروز. راح مصطفى يحادث نفسه وهو يدخن سيجاره الكوبي ويصنع دوائر في الهواء:

- يا خيبتك يا مصطفى!استطاعت بنت النيل أن تقتحم قلعتك المنيعة! استطاعت سليلة الفراعنة أن تجعلك تسلم دون قيد أو شرط. نجحت فيما لم تنجح فيه إيفا الفرنسية خريجة السوربون، عاشقة «جان بول سارتر» و «سيمون دي بوفوار» والتي عاشت معك ثلاث سنوات فيغرفتك الحقيرة بـ «فورست جيت»تقتسمان زجاجة النبيذ وكوب النسكافيه وعلبة السجائر الـ «جولواز» وهي ابنة الرجل الثري الذي رفضت ثرائه وفضلت الحياة كما تحب. علمتك الفرنسية والفلسفة وأطلعتك على ثقافة الغرب، ولكن قلعتك ظلت حصينة!قهرتك ابنة النيل بينما لم تستطع علياء البحرينية الفاتنة بجاذبيتها وتمردها على التقاليد وشهرتها في أجواء المثقفين! ولا مريم ولا نبيلة، وأخيرًا شيللا وصيفة ملكة جمال التشيك بجسدها المثير وجاذبيتها الخارقة. لم يستطعن اختراق قلعتك وإقناعك بالاستسلام. واستطاعت كريمة العنصرين! استرجع ماضيك كما تشاء وابحث عن نقاط القوة ونقاط الضعف الأيام الحلوة والأيام المرة، ولكن فيالنهاية: ارفع الراية البيضاء وأعلن استسلامك!

*****

كان وقع تفكير نهى في العرض على جاسم مطمئنًا؛ لأنه إذا كانت ستفكر فمعنى ذلك أن هناك أمل! إلا أن خبر نزول ألبوم جديد لها كان له وقع الصاعقة عليه! فقد كان تصوره أن نهى قد أصبحت جثة هامدة بعد ابتعادها عن الساحة وهروبها لعاصمة الضباب، والشروط الجزائية والخسارة الفادحة

التى منيت بها والدتها. وها هي ذي تسترد عافيتها ويظهر لها ألبوم ومن أين؟ من لندن على بعد آلاف الأميال من القاهرة! من الذي ساعدها؟ من الذي مولها؟ ومن الذي تولى الدعاية؟ حاول بقدر الإمكان أن يستميل عليفريد ليعرف منه كل هذه الأخبار إلا أن الأخير كان شديد الإخلاص لقضية نهى وشديد الإخلاص لصديقه مصطفى.فقط كان يمني نفسه بعودة المياه إلى مجاريها بين جاسم ونهى فيكسب المائتين وخمسين ألف دولار التي وعده بها جاسم! خاصة وقد رفضت هي عرضه للزواج منها بكل لطف!

- آلو. نهى هل سمعت آخر الأخبار؟

- بخصوص أيه يا مصطفى؟

- بخصوص شريطك. جائني ما يؤكد تناقله في أوساط الشباب خاصة، والمصريين في الداخل والخارج عامة. وأنه يلقى الإعجاب والتقدير، ولكن للأسف الشديد تسرب عن طريق «الانترنت» و«الفيس بوك» ربما قبل أن يطبع!

- يا إلهي. معقولة.

- نعم أخبرني حاتم وسامى بذلك ويقسمان بأغلظ الأيمان أنهما لا علاقة لهما بتسريب الشريط.

- تفتكر.علي فريد؟

- لا لاليس هذا الرجل.

- يمكن عشان موضوع طلبه ليدي؟

- علي فريد؟ لا لا إنه يخطب كل يوم، ويمكن أن يرفض كل يوم ولا يؤثر هذا فيه على الإطلاق. إنه شخص مختلف.

- إذن من؟

- أي شخص، قد يكون عامل بسيط في الأستوديو وله خبرة في التقنيات، قد يكون فراش في مكتب خليل بدران، قد يكون أي شيء. هذه ضريبة التقدم التكنولوجى. حدث هذا مع عمرو دياب، ومع أحمد زكي في فيلم السادات.

- المهم. ما أريد أن أقوله لك أنك للأسف لن تربحي الكثير من هذا الشريط؛ فوجود الـ»ام بي ثري» و»الأي بود» جعل الناس يستغنون عن شراء الكاسيتوالأسطوانات. المنتج قد يجد وسيلة أو أخرى لتعويض خسارته. أما نحن فلم نخسر شيء؛ لقد عدت للأضواء –وستتأكدين من ذلك بنفسك إذا تابعت الفضائيات– وانتهينا من قضيتنا مع المنتج، وأوصلنا للجماهير عمل ناجح فالحمد لله.

- ألف حمد وشكر لك يا رب.

- أما بالنسبة للفلوس. فمش مهم؛ جاسم حايديك بدل المهر مهرين وقصر في مصر الجديدة. ها ها ها

- مصطفى. صدقنى حازعل منك بجد!

- لأ لأ خلاص.

كانت العلاقة بينهما خلال الأسبوعين الماضيين تستحق أن تكون نموذجًا للنضج والحكمة وفي نفس الوقت المشاعر الجياشة والرومانسية المفتقدة في الزمن الحالي حيث لم يندفعا إلى تلامس جسدي رغم أن الظروف كانت دائمًا مواتية والرغبة مشتعلة لدى الطرفين. لم يسرفا في كلام حب قد يتداوله المراهقون، ولكن أسرفا في»الفضفضة» حتى لم يعد هناك حدث مهم في حياة نهى لم

يعرفه مصطفى. أما هو فقد كان الحس الأمنيلديه مبالغًا فيه فلم يكن يبوح إلا بالعادي من الأمور، إلا أنه يبوح على أي حال، لم يذكر مرة واحدة مثلًا قصته مع إيفاالفرنسية وهي القصة التي تستحق أ ن تكون فيلمًا سينمائيًا! لم يذكر كيف كادت علياء البحرينية تقضي على مستقبله كله بانتماءاتها السياسية، وهو الهارب من ملف سياسي لا ناقة ولا جمل له فيه. لم يحك هذه الأحداث فقط ذكرياته في مصر وكفاحه هنا من أجل البقاء. كان مصطفى سعيدًا، أما نهى فكانت تحلق وتقول لنفسها: لقد عوضني الله عن الأيام السوداء التي عشتها مع جاسم. شبح شيللا كان دائمًا يلوح في الأفق ويخرج مصطفى من حالة النشوة. كان يخشى أن تأتي فجأة فتعلم نهى وهو لا يقدر على خصامها كان يطرد تلك الفكرة دون أن يفكر في اتخاذ أي خطوة تحول دون ذلك.

إلى أن وقعت الواقعة، المكالمة التي غيرت الأحداث كلها! رن جرس الموبايل وهو يحاضر في الجامعة وكان قد نسي إغلاقه. لم يرد. رن مرة أخرى، فأغلقه تمامًا. وما أن انتهت المحاضرة حتى اتصل بالرقم الذي لم يكن إلا رقم شيللا. تردد في الاتصال، ولكنه قرر أن يواجه.

- آلو مصطفى حبيبي انتبه تمامًا لما سأقوله؛ أريد أن أقابلك في أقرب وقت، لن أستطيع الحضور للندن أرجوك المسألة ليست عاطفية هناك أمور خطيرة، اختر أقرب مكان لك سأكون في «دبلن»غدًا في الثالثة عصرًا ما رأيك؟ فلنتقابل في المطار. أرجوك لن تندم على هذه المقابلة.

- شيللا. لكن...

- مصطفى لن أستطيع أن أتكلم أكثر من هذا. أرجوك غدًا في الثالثة، مطار دبلن. باي.

جلست نهى أمام شاشة التليفزيون تقلب في الفضائيات حسب وصية مصطفى.أخيرًا وجدت محطة وبها برنامج خاص بالأخبار الفنية الجديدة.

أنصتت وانتبهت تمامًا لعلها تجد خبرًا يخصها وكم كانت دهشتها وسعادتها عندما قالت المذيعة: النجمة الغائبة نهى خطاب عادت إلى الساحة بألبوم بعنوان «البعد مش مسافات» سجلته في لندن وحقق نجاحًا كبيرًا على «الانترنت»و «الفيس بوك» خاصة. وسيطرح في الأسواق قريبًا. ومن المعروف أن النجمة كانت قد تزوجت من رجل أعمال عربي واعتزلت الفن تقريبًا فهل يكون الألبوم الجديد رجوعًا عن الاعتزال؟

ثم نشرت القناة صورة لها من أحد الأفلام، أحست نهى بالسعادة الغامرة وقالت لنفسها: كم أحبك يا مصطفى أمسك مصطفى بتليفون مكتبه وشرع يكلمكارلا لتحجز له في طائرة «دبلن»، وقبل أن يرفع السماعة تذكر قول شيللا»أن الأمر خطير» قرر أن يقوم بالحجز بنفسه. غادر مكتبه في الموعد المعتاد وراح يفكر وهو يقود السيارة ويضرب أخماسًا في أسداس: ماذا تريد شيللا؟و ما الأمرالخطير الذي من الممكن أن تجيء به؟ إنه يخشى أن تكون المسألة كلها رغبتها في وضع حد للعلاقة أو استئنافها بشروط، ولكنها قالت: المسألة ليست عاطفية. يا إلهي، ماذا تخبيء الفتاة؟

في تمام الثالثة عصر اليوم التالي كان مصطفى في مطار«دبلن» ينتظر في القاعة المحددة. بعد خمس دقائق فوجيء بشيللا بملابس الطيران وتضع نظارة سوداء كبيرة على عينيها.

- مصطفى، حبيبي أشكرك لاهتمامك والحضور، هيا بنا إلى إحدى هذه

المقاهي نختبيء بداخلها.

- توجس مصطفى خيفة، ولكنه طاوعها, جلسا على مائدة داخلية واستهلت شيللا الحديث:

- منذ فترة. قابلني رجل يدعى نزياس وطلب مني أن أتجسس عليك وأحاول الدخول لحاسباتك الآلية والبحث عن خرائط وأسطوانات مدمجة تخبئها بخصوص سر أو ثروة أو كنز تحت الأرض، كما طلب مني أن أعرف نواياك والجهة التي تنوى التعاون معها، وعرض علي مائة ألف استرليني وهددني باتخاذ إجراء إذا أبلغتك. سافرت على الفور إلى براغ ومن وقتها وهو يلاحقني بالموبايل ويتعجل الأمر، وقد حاولت كثيرًا أن أشرح له صعوبة ذلك، ولكن في أخر مرة قال لي بالحرف الواحد: إنك لو ساعدتنا فستنقذين الرجل الذي تحبينه لأنه باختصار غير مسموح له بالتعاون إلا معنا. معنى الكلام إذن أن حياتك في خطر؛ لذا كان لابد من تنبيهك. مصطفى انسَ أي شيء الآن، انسَ علاقتنا –والتي لا أعرف إلى أين تتجه–تذكر فقط أن تحمي نفسك بالطريقة التي تراها ملائمة.

- نعم، ولكن ماذا عنك؟أنا أخشى عليك؟

- وأنا أيضًا. أعرف أني لست بمنأى عن الخطر، ولكني سأختبيء في بلادي بقدر المستطاع حتى تنتهي القصة وأعتقد أنه لن يستطيع ملاحقتي داخل براغ.

- شيللا هل تستطيعين أن تصفي لي هذا الرجل؟

- استطعت بصعوبة أن ألتقط له صورة بالمحمول أثناء انشغاله بدفع ثمن القهوة. ها هي الصورة.

- يا إلهي إنه دينو! هل قال لك أن اسمه نزياس؟

- نعم.

- كلا إنه دينو وقد حلق ذقنه. نحن في خطر بلا شك. «شيللا». لا أعرف كيف أشكرك؛ أي واحدة أخرى كان من الممكن أن تبيعني بنصف هذا المبلغ.

- أحبك يا مصطفى، ولكن ليس هذا فقط السبب، ولكنها مسألة مبدأ لقد تعلمت من والدي أن الموت أهون من التخلي عن المبدأ. أرجوك انصرف الآن وسأطمئن عليك من حين لآخر..

- وأنا أيضًا. أشكرك مرة أخرى وتأكدي أنني سأتخذ خطوة تؤمننا جميعًا. إلى اللقاء.

غادر مصطفى القهوة واتجه إلى حيث ينتظر طائرة العودة وراح يحدث نفسه: لقد دخلنا مرحلة الخطر إذن. إنهم يبحثون بشدة عن السر وهمهم الأكبر ليس الاستفادة منه بقدر منع الأخرين من ذلك وخاصة مصر. شيللا.. شيللا ترفض العرض! ترفض أن تبيعه! شيللا شبه الملحدة، ولكن لم لا؟ألم تحدثه عن والدها وكفاحه في الحزب من أجل تنقيته من الفساد؟ ألم تخبره بنفسها أنها تحدثت مع والدها عنه وذكرت أنه مصري فقال لها ذكريه بعبد الناصر وصفقة الأسلحة التشيكية، فأخبرها هو عن معلوماته عن هذه الصفقة وكيف أنها جاءت في وقت يئس فيه عبد الناصر من الغرب فاتجه للكتلة الشرقية ليسلح جيشه ليواجه إسرائيل المتربصة، فكانت هذه لطمة للغرب! شيللا إذن لها خلفية سياسية وتاريخية وقاعدة مبادىء من والدها، وها هي الآن تنبهه للخطر وتعرض نفسها للأذى!

أثناء ذلك الحوار الداخلي رن جرس موبايله وكانت شيللا:

- مصطفى نسيت شيئًا مهمًا، احترس من كارلا عندي ما يؤكد تورطها معهم. باي.

يا إلهي كارلا معهم؟ وهي كاتمة أسراري؟ الخطر إذن يحدق بي من كل جانب.قال مصطفى لنفسه.

ركب الطائرة وقرر أن يركز كل تفكيره في حماية نفسه وحماية سره وإيجاد وسيلة لحماية شيللا، وصل لمنزله في لندن وهو يكاد ينظر لوجوه كل الناس في الشارع ويتحسب من أيحركة غير طبيعية حوله. تنفس الصعداء حين فتح له كومار الباب مرحبا به. ومن أدراني ربما كومار أيضًا متورط؟ وربما مسز طومسون؟ وسنج وروز؟ يا إلهي ما هذه المصيبة؟ وكيف السبيل للخروج منها؟

لم يجد مفرًا من الاتصال بنهى لعلها تعيد الطمأنينة إلى نفسه.

- آلو. نهى، أريد أن أخبرك بشيء هام.

- خير؟ قل بسرعة.

- لأ ما ينفعش في التليفون. آن الآوان أن تعرفي كل شيء. سأرتب موعدًا معك. كل ما عليك الآن ألا تخرجي إلا مع سنج وبعد أن

- تخبريني إلى أين؟

- مصطفى. أخافتني! ماذا حدث؟ هل هو جاسم؟

- لا لا، ستعرفين كل شيء عندما أحضر إليك. إلى اللقاء. أحبك .

في التاسعة من صباح اليوم التالي جلس مصطفى إلى مكتبه وراحت كارلا تروح وتجيء مشغولة بأداء عملها وهو ينظر إليها ويفكر: ماذا سيفعل للتخلص منها؟ رن جرس موبايله. رقم لا يعرفه.

- آلو مصطفى بك؟
- نعم من؟
- أنا سليمان فهمى. أعتقد أنك تعرفني.
- استرجع مصطفى الاسم ثم قال: بكل تأكيد، أهلًا سليمان باشا.
- أنا أتكلم من لندن،جئت خصيصًا لمقابلتك،طبعًا أنت تعرف رأفت ويصا؟
- نعم نعم.
- حدد مكان آمن لنلتقي فيه وزمان يناسبك. أعرف أنك مشغول.
- المكان منزلي والزمان بعد الخامسة والنصف في أي يوم.
- منزلك هو أبعد مكان عن الأمان. قابلني في»الماريوت» اليوم في السادسة والنصف في البهو. توخى الحذر؛ لا أريد أن يعرف أحد أني قابلتك.
- حاضرمع السلامة.

أحس مصطفى بشيء من الارتياح؛ها هي مصر ترد. أخير سيجد شخص يتكلم معه ويقص عليه التطورات الأخيرة –تطورات شيللا!– سليمان فهمي مسئول مصرى رفيع المستوى، لا تكاد أي جريدة مصرية تخلو من صورته يوميًا. يعرفه مصطفى بلا شك، ولكنه لم يكن يدري أنه من الممكن أن يكلف بمثل هذه المهام. صحيح أن الموضوع يدخل في دائرة تخصصه، ولكن أن يسافر

خصيصًا لمقابلته فهذا على ما يعتقد من صميم عمل الجهات الأمنية.

في الموعد المحدد كان مصطفى في بهو فندق «ماريوت». وصل إلى هناك مستخدمًا سيارة أجرة؛ إمعانا في تضليل من يتتبعه إذا كان هناك من يتتبعه! جلس في البهو قليلًا ثم ما لبث أن رأى سليمان فهبي قادمًا ناحيته. الغريب أن سليمان تعرف عليه. حياه وجلس أمامه إلى المائدة.

- إزيك يا مصطفى بك؟ أرجو أن تكون بخير.
- أهلًا بحضرتك، أنا أعرف سيادتك ولكن كيف تعرفت علي؟
- لماذا التواضع يا دكتور؟ نحن نعرفك جيدًا.
- متشكر جدًا.
- المهم. حتى لا نضيع الوقت. وصلتنا رسالتك مع رأفت وقد تعودنا أن الرجل لا يتكلم في أي موضوع إلا لو كان على درجة عالية من الأهمية؛ لذا جئت لمقابلتك وأسالك: ما طلباتك؟
- طلباتي؟ ليس لي أي طلبات. أرى أن المسألة تهم أمن البلد وتتيح له ثروة لا تقدر بالمال فقط. لذا يجب البدء في استغلال هذا المورد الذي تعمد البعض إخفائه والتمويه عليه طويلًا بينما يظهر في أماكن أخرى و..
- نعم نعم، ولكن أقصد ما الخطوة التي تقترحها الآن؟
- أقترح أن تشكل لجنة على أعلى مستوى من رؤساء أقسام الجيولوجيا بالجامعات المصرية لمناقشة تقريري فإذا ثبت أني على حق فسنبدأ. هكذا تعلمنا في البحث العلمي: المناقشة والتحقق.

- تمام. هذا ما فكرنا فيه، ولكن توجد عدة نقاط أريد أن أثيرها:

- أولًا: لا يمكن أن يتم هذا من هنا لابد أن تأتي إلى مصروهناك ستجتمع مع اللجنة التي ستقرر أنت من يكون أعضائها.

- ثانيًا: لا بد من توفير الحماية لك. لن نستطيع توفير الحماية لك هنا؛ الوضع لا يسمح. احمِ نفسك هنا بطريقتك وسنتولى حمايتك في مصر. تذكر أشرف وسعاد ومن قبل سميرة والمشد. وتأكد أن أعداء البلد ليسوا فقط من خارجها، بل إن أشد الأعداء هم الذين يلدغونك من الداخل وما أكثرهم .

- ثالثًا: بلا شك أنك أذكى وأعمق من أن تكون قد أغفلت حماية سرك والتحفظ عليه في أأمن مكان. فقط أريد تأكيد المعلومة.

- سليمان بك. بما أنك قد تطرقت إلى مسألة أمني الشخصي فلابد أن أسرد عليك ما جرى بهذا الشأن.

- حكى مصطفى لسليمان كل ما يتعلق بمشعل ودينو وما نبهته إليه شيللا وحكاية نزياس أو دينو المتنكر وصورته على تليفون شيللا.

- قال سليمان: ها أنتذا تقلب المائدة رأسًا على عقب بهذه القصة لقد دخلنا فص الجد إذن. وستتحول المسألة إلى مواجهة مفتوحة. لابد إذن أن تعجل بالعودة إلى مصر. أكرر تعجل بالعودة لمصر.

- سليمان بك. لا أريد أن أثقل عليك أو أستغل كرمك،ولكن أريد تحقيق مطلبين في منتهى الأهمية. أولًا: توفير الحماية لـ «شيللا»فهذه الفتاة رفضت المال من أجل المبدأ. ولا أعتقد أنهم سيتركونها.

- طبعًا فكرت في هذا أعطني بياناتها وسيتم الاتصال بها وأخذ صورة

«دينو» من موبايلها وسنوفر لها حماية أكثر مما تتخيل , فمن السهل

- حمايتها عن حمايتك. والمطلب الثاني؟

- بالنسبة لي. أرجو ألا أتعرض في مصر لأي مضايقة بسبب ماضي تعرفون جيدًا أنني لا دخل لي فيه و..

- ماذا تقصد؟ أفصح.

- سليمان بك. أكيد أنت تعرف تاريخي العائلي.

- تقصد عبد الرحمن رضوان؟

- نعم.

- يا راجل. هذا موضوع انتهى من زمان.

- لا أظن ذلك. لقد حضرت إلى مصر من حوالي عشر سنوات –وكنتم في أوج مقاومتكم للإرهاب– في مهمة علمية وخرجت بأعجوبة وكدت أن أفقد وظيفتي وعملي الخاص هنا. ومنذ فترة قصيرة طلب مني أحد طلاب الدكتوراة أن أناقش رسالته في القاهرة أوعلى الأقل أحضر مناقشتها وتم رفض الطلب من العميد.

- مصطفى بك. أريد أن أتكلم معك كرجل لرجل وعقل لعقل سامحني، هل كنت تتصور –مهما كانت مثالية أي نظام حاكم في أي بلد مهما كانت درجة ديمقراطيته– هل تتصور أن هذا النظام كان يمكنه التسامح مع شقيق رجل ساهم بشكل إيجابي في قتل رئيس الدولة والتخطيط لثورة إسلامية شاملة تطيح بنظام الحكم في مصر ومن ثم الدول المجاورة والمنطقة كلها؟ اذكر لي اسم هذا النظام إذا وجدته.

- أوافقك ياسيدي، ولكن المسألة لا تصل إلى حد قطع الأرزاق وتشتيت

العائلات وتكدير حياة الأبرياء!

- اللي فات مات يا مصطفى، أعدك برفع اسمك من كل القوائم السوداء. يكفي يا أخي ما ستقدمه للبلد ليشفع لك. هذا وعد شخصي مني. هل لك أي مطلب آخر؟

- لا.

- حاول أن تعود للقاهرة مع نهى؛ فهذا يساعد في عملية التمويه!

- أُسقط في يد مصطفى.

- هل تعرفون موضوع نهى؟

- بلا شك، ونقدر لك الجهد الذي بذلته معها. ولا تسألني عن «مصدرنا» فهذا سر، مساعدة شخصية مصرية تعرضت للبهدلة في بلد أجنبي يعتبر مهمة قومية. ونحن نشكرك على ذلك، ونعلم تمامًا أنك أديت هذه المهمة «لوجه الله» وضحك سليمان. العصفورة قالت لنا.

قال دينو لأليكس وهما يحتسيان البراندي في إحدى حانات لندن:

- أعتقد أنه لا داعي للانتظار أكثر من ذلك؛ فالفتاة لا تبدو متعاونة معنا.

- لا أوافقك على هذا الرأي؛ أعتقد أنها فقط تتحين الفرصة. لا أحد في مثل وضعها يتنازل عن هذا المبلغ بسهولة.

- دعنا منها الآن وإن كان من الممكن «قرص ودنها» قرصة بسيطة للتذكرة ليس إلا، ولكن مصطفى آن الآوان لاتخاذ إجراءات -ليس بالضرورة العنف الآن- ولكن على الأقل الضغط عليه قبل أن يهرب؟

- وإلى أين يهرب؟ لقد أحرق كل مراكبه في القاهرة؛ عمله هنا واستثماراته هنا وماضيه الأسود مع النظام هناك. أنا معك في أن نبدأ بالضغط حيث ننبش في الماضي؛ مثلًا توجد حساسية الآن من عبارة «تمويل الارهاب «، أيضًا توجد هذه الممثلة التي تقيم في منزله. طبعًا هذا اذا لم تصدر الأوامر باستخدام الخيار الأخير. ما رايك ؟

- دعني أفكر لفترة قصيرة ثم نتخذ القرار.

*****

عاد مصطفى إلى حيث ترك سيارته يفكر في الخطوة القادمة. اتجه إلى كرويدون وراح يحدث نفسه: بما أن المصريين قد عرفوا بموضوع نهى، فلا شك أن دينو وإخوانه عرفوا به أيضًا. وقد يستغلونها للضغط عليه كما فعلوا واشتروا كارلا وحاولوا تجنيد شيللا. إذن فقد حان وقت التحرك وبأسرع ما يمكن.

أين يختفي قبل أن يؤمن نفسه ويرحل للقاهرة؟ هل يختفي في كرويدون ؟ مستحيل. إلى جلاسجو أو أدنبرة؟ جائز، ولكن ... لقد وجدتها كارديف! سأذهب إلى كارديف عصام شعبان، عصام هو مفتاح اللغز، الملجأ والملاذ، حان وقتك يا عصام.

أمسك بالموبايل إلا أنه تذكر أنه لم يسجل أبدًا اسم ورقم عصام! ما العمل إذن؟ نعم نعم لقد أخذت منه رقم خالتيعواطف، سأتصل بها وآخذ منها رقمه.

- آلو، طنط عواطف؟
- أيوة. مين ؟
- أنا مصطفى يا خالتي. مصطفى رضوان.
- مين يا بني؟
- مصطفى يا خالتي. ابن أختك نعمت، بتاع لندن.
- أهلًا يا حبيبي. إزيك؟أنا متشكرة يا بني على اللي عملته مع عصام؛ ماهو زي أخوك برضه.
- العفو. زي أخويا؟ قولي زي ابني. أنا عجزت يا خالة. وحياتك عايز رقم عصام هنا لأني للأسف ضيعته.
- حاضر يا حبيبي، ثانية واحدة يا ريم يا ريم هاتي لي يا بنتي رقم عصام.
- انتظر مصطفى حواليخمس دقائق على أعصابه وأخيرًا وصلت ريم

وأملت عليه رقم عصام.

- ابقى خلينا نشوفك يا حبيبي. قالت عواطف.
- قريبًا. قريبًا جدًا بإذن الله.
- اتصل مصطفى بعصام وأخبره بأنه سيكون عنده باكر في»كارديف» وسأله:
- قل لي يا عصام. عندكم مكان لبيات شخص واحد؟
- لو ما شاليتكش الأرض أشيلك أنا يا دكتور!
- حبيبي. ليس هذا وقته. تكتم أمر وصولى فالموضوع أخطر مما تتخيل واعمل حسابك على بيات امراة عندك ابتداءًا من باكر. قبل أن أصل سأتصل بك لتلتقطني من مكان وصولي. إوعى يا عصام إوعى تنطق بأى كلمة لأحد.

أنهى المكالمة، تاركًا عصام في حيرة ودهشة وإحساس بقرب الدخول في مغامرة مجهولة.

قال مصطفى لنهى وهو جالس في صالة منزله في»كرويدون» يدخن سيجاره الكوبي:

- هذا يا سيدتي الفاضلة كل ما في الأمر، حكيته لك بالتفصيل الممل ولم أكن أرغب أن تكوني طرفًا في الموضوع، ولكن هذا ما حدث شئنا أم أبينا أصبحنا في مركب واحد.
- وأنا أسعد واحدة في الدنيا أن أكون في مركب واحد معك.
- ما أجمل الرومانسية في لحظات حالكة مثل هذه!

- المهم ما الخطة الآن؟

- اليوم لا تدعي روز أو مسز طومسون تعودان للندن. أما سينج فسأطلب منه البيات هنا داخل المنزل وليس في الاستراحة، وسيتم إغلاق كل الأبواب بالترابيس وإطفاء كل الأضواء حتى يتوهم أي مراقب أن المنزل خالي. وفي تمام الثامنة من صباح باكر سيأخذك سنج إلى محطة قطارات لندن ومعك حقيبة ملابس صغيرة تكفي يومين أو ثلاثة. سأقابلك في المحطة أمام رصيف القطار المتجه إلى كارديف سنذهب إلى هناك حيث ستقيمين مع عصام وزوجته دكتورة شيماء. أما أنا فسأقيم في أحد فنادق الدرجة الثالثة أو قولي العاشرة إلى أن أرتب كل شيء وأؤمنك وأؤمن نفسي ثم نغادر للقاهرة.

- مصطفى. أنا خائفة.

- لا تخافي الله معنا.

- ماذا قلت؟

- الله معنا.

- الله!

- مالك؟ مستغربة لأني أقول ذلك؟ هل أنت الآن منتظمة في الصلاة؟

- منذ صدور ألبومي وأنا لا أفوت فرضًا والحمد لله.

- خلاص اتفقنا؟ فيه أي شيء غير مفهوم؟

- لأ. غدًا أمام قطار كارديف. وهل سأترك كل أشيائي هنا؟

- ابدأي من اليوم بإعداد حقائبك بهدوء بحيث يمكننا إلتقاطها بسهولة عندما نقرر السفر. لا بد أن أذهب الآن.

في منزله بلندن جلس مصطفى يحتسي كوبًا كبيرًا من النسكافيه. وراح يبذل مجهودًا خارقًا في التفكيرحتى لا تفوته شاردة أو واردة ويحكم إعداد خطة الهروب، طلب من كومار عدم الانصراف ووعده بتعويضه ماديًا عن هذا فأجابه كومار الوفي بأنه سيفعل هذا بصرف النظر عن أي تعويض.

دخل مكتبه أو «المحراب» وأغلق الباب بالمفتاح. فتح خزينة سرية تحت الأرض وأخرج منها أربع أسطوانات مدمجة وكتيب مليء بالخرائط الملونة والرموز والشفرات. جلس على المكتب وبكل هدوء صنع نسخة من كل أسطوانة كما صنع نسخة وضعها على «الفلاش ميموري».

مسح الكتيب الملون ضوئيًا بعد فكه من غلافه وصنع منه نسختين. وضع الأصول في حقيبة جلدية عليها «بادج» لماركة أحذية رياضية معروفة، وضع النسخ في حقيبةجلديةعادية أخرى ثم وضع كل هذه الأشياء في كيس بلاستيك كبير خاص بمجموعة متاجر معروفة بالمملكة المتحدة.

جلس ليستريح بعد هذا المجهود. لمح بجوار مكتبه البار الخاص به، فتحه ووجده مليئًا بأجود وأغلى أنواع الخمور؛ بعضها هدايا وبعضها اشتراه هو من بلدان العالم المختلفة التي زارها، من التشيك ومن فرنسا ومن الولايات المتحدة وغيرها كثير. وها هي زجاجتي فودكا روسية أصيلة وصلته كهدية من «جريجوريف» الجيولوجي الروسي المعروف. نظر مصطفى إلى الزجاجات بالبار وفجأة قرر أن يحطمها وقبل أن يفعل فكر في أنه لا يجب أن يلفت النظر بأي رد فعل عصبي أو تلقائي؛ فليكن كل شيء بهدوء. نادى كومار وقال له:

- كومارأرجوك خذ هذه الزجاجات وتخلص منها، لا أريد شيئًا منها اليوم بالبيت. افعل بها ما تشاء، اشربها، بعها، حطمها، افعل ماتشاء.

- سيدي! ولكنها خمر غالية الثمن ومن أجود الأنواع؟

- افعل ما قلته لك يا كومار. خذ صندوقًا من المطبخ واجمع فيه الزجاجات وتصرف فيها كما يحلو لك.

كانت ليلة ليلاء؛ لم يستطع فيها مصطفى أن ينام إلا بعد تناول حبة مهدئة قوية وبالكاد استطاع أن ينام ثلاث ساعات وبعد أن أغلق على نفسه باب غرفته بالمفتاح وبعد أن وضع تحت وسادته مسدسه غير المرخص والذي وصله كهديه من الجيولوجي الباكستاني المعروف «محمد مظهر خان» والذي لا يعرف كيف هربه إلى لندن!

استيقظ مصطفى متعبًا، ولكن متفائلًا وقال لنفسه اليوم يوم جديد!

*****

كانت الليلة غير تقليدية بالنسبة لنهى أيضًا جمعت حولها مسز طومسون و روز -خوفًا ربما أو قلقًا- ورحن يتحدثن في أمور شتى. راحت مسز طومسون -بالرغم من تحفظها- تحكى قصصًا من حياتها وحياة أبنائها وأحفادها. وراحت روز تتحدث عن زوجها الذي يكافح في الفيليبين من أجل الحصول على تأشيرة لبريطانيا وثمن التذكرة ليلحق بها! أوشكت الساعة على الثانية صباحًا فأمرت مسز طومسون الجميع بالذهاب للنوم فورًا.

راحت نهى تتقلب يمينًا ويسارًا وتحاول ألا تفكر ولكن هيهات، راحت تتخيل نفسها في القطار مع مصطفى وتتخيل منزل عصام وكيف ستستطيع النوم

مع امرأة لا تعرفها؟ راحت تتخيل سيناريو لعملية خطفها أو قتلها أو إطلاق النار على مصطفى ثوان معدودة ثم تزيح المشهد عن فكرها بسرعة! أخيرًا جاء

النوم، ولكن قلق ومتقطع ومليء بالأحلام التي لا معنى لها ولا تفسير!، دخل مصطفى الحمام وبدون تفكير وجد نفسه يتوضأ ويسبغ الوضوء ويدعو الله مع كل دفعة ماء تلمس جسده أن يوفقه ويعفو عنه. بحث عن سجادة صلاة قديمة –كانت تستخدمها أخته عندما تأتي لزيارته– فلم يجدها، فشرع يصلي على سجادة الغرفة العادية ولم يعرف اتجاه القبلة فاستعان بحاسته الجغرافية وتوجه إلى ركن معين وبدأ الصلاة. ومع «بسم الله الرحمن الرحيم»تذكر أنه تقريبًا لم يصلِ منذ ثلاث سنوات باستثناء صلاة العيدين وبعض الجمع. صلى الصبح وسجد طويلًا و دعا الله أن ينتهي هذا اليوم على خير.

ارتدى بنطلون جينز قديم وبلوفر أزرق ومعطف عادي جدًا يرتديه أي رجل إنجليزي من عامة الشعب. كانت هذه الملابس دائمًا في دولابه تذكره بأيام كفاحه الأولى بلندن، لم يجد في نفسه أي رغبة في احتساء القهوة أو أداء أي طقس من طقوسه. أيقظ كومار وأخبره أنه ذاهب في رحلة مع الجامعة لموقع حفريات وأنه قد يتأخر ليومين أو ثلاثة. ترك له بعض المال وأبلغه أنه في أجازة إلى أن يعود.

لم يحمل معه أي حقائب، فقط كيسه البلاستيكي وبداخله كنزه النفيس. خرج من المنزل من الحديقة الخلفية وسار في الشارع الجانبي حتى وصل إلى مترو الأنفاق. ركب المترو ونزل في محطة بادينجتون ومنها سار حتى وصل إلى محطة قطارات لندن. اشترى تذكرتين إلى كارديف بدون استخدام كارت الفيزا. جلس إلى أحد المقاعد بعد أن وضع بعض العملات المعدنية في ماكينة القهوة واستلم قهوته، راح يرتشف القهوة بشيء من الارتياح وهو ينتظر وصول نهى في كل لحظة، لمحها من بعيد ومن خلفها سنج يحمل حقيبتها، لم يتعرف عليه سنج وهو يرتدي النظارة والقبعة والملابس الكاجوال. انصرف سنج بعد توديع نهى، جرى مصطفى ناحيتها وبدون تفكير وبدون وعي وجدا نفسيهما

لأول مرة في عناق حار وهكذا جاء التلامس الأول بينهما مفاجئًا وتلقائيًا!

*****

تأبطت نهى ذراعه وسارا في اتجاه القطار، لم يتكلما كثيرًا، وصلا إلى مقعديهما المتقابلين. ظلت نهى ناظرة إليه في إعجاب وهو يتابع نظرتها بارتياح وطمأنينة وأخيرًا انطلق القطار، م تكد تمر ربع ساعة حتى راحت نهى في سبات عميق ساندة رأسها إلى نافذة القطار. تأملها مصطفى، القلق، المتيقظ دائمًا وراح يحدث نفسه: يا إلهي ما أجملها وهي نائمة، بل ما أجملها وهي مستيقظة، ما أجملها عندما تطبخ، عندما تغني، وهي منفعلة، وهي راضية، ما أجملها في كل الأوقات!

يا رب إليك وحدك أتوجه بالدعاء اللهم احفظها واحفظني. لقد طال غيابي عنك يا الله ضللت الطريق وأخذتني الحياة إلى طرق أخرى غير طريقك،ابتعدت عنك ولم تتخلَ أنت عني، أعطيتنى الكثير الكثير جدًا، بل أكثر مما أستحق، وبخلت عليك بالعبادة والطاعة وحتى بمجرد الذكر.

أعترف بكل الخطايا التي ارتكبتها شربت الخمر، وزنيت، ولم أقرب الصلاة، حتى الصيام أقنعت نفسي بتركه لأنه ضار بالصحة! فعلت كل ذلك وكلما ازددت إثمًا كنت تغدق علي بالنعمة أكثر الصحة والمال والنجاح. ومع ذلك لم انتبه! كان ضميري أحيانًا يؤرقني ويوقظني، ولكنيكنت أدفنه في أعماقي وأقول ألا يكفي ما تعرضت له من ظلم في بلادي؟ أليس من حقي أن أعيشلأنسى؟ لم أكن أقتنع بما أقوله ولكني كنت أستمر في العصيان.

فعلت كل هذا، ولكني لم أكفر بك أبدًا، ولم أشرك بك أبدًا. فقط كنت أقول إنك غفور رحيم وأنني لا أؤذي أحدًا، جائز كنت أؤذي نفسي، ولكني لم أؤذِ أحدًا من عبادك، وأنت تشهد على

ذلك، كنت أردد بيني وبين نفسي ترجمة رامي لرباعيات الخيام:

إن لم أكن قد أخلصت في طاعتك فإنني أطمع في رحمتك

وإنما يشفع لي أنني قد عشت لا أشرك في وحدتك

نعم، لم أشرك أبدًا في وحدانيتك ولم ألحد؛ فقد كان علمي يجعلني دائمًا على بعد خطوات قليلة منك وكلما تبحرت فيه كلما آمنت بوجودك ولكنه إيمان هش وعقيدة ناقصة تحتاج للعمل وللطاعة لتثبت في الوجدان.

يا رب ها قد عدت إليك بكل صدق وإخلاص، وكلي ثقة في رحمتك وغفرانك. أنا لست حريصًا على حياتص أو على الدنيا؛ فقد عشت حياتص طولًا وعرضًا وعمقًا، جبت أركان العالم، ذقت رغد العيش، عاشرت أجمل النساء، اعتليت أرفع المناصب العلمية وكرمت من بلدان العالم المختلفة –عدا بلدي طبعًا!– ولم يعد لي أي رغبة في زيادة في التكريم أو في المال –الذي أملك منه الملايين– وليس لي ولد يرثني أو أخاف عليه من بعدي.

فقط يا رب أمهلني حتى أصل لمصر وأسلم الأمانة، وبعدها افعل بي ما شئت!حرام أن يضيع مجهودي وتعبي سدى، أو يستفيد منه «أئمة الكفر والشر» أما هي يا رب فأحفظها وأوصلها سالمة. أنا لا أعرف مصيري معها ولم أفكر بعد ماذا سنفعل. فقط احفظها يا الله فهي جميلة ونقية وبريئة ومع دخولها حياتي عدت إلى حظيرتك.

يا عالم الأسرار علم اليقين ياكاشف الضر عن البائسين

يا قابل الأعذار عدنا إليك فأقبل توبة التائبين

يسم الله الرحمن الرحيم

«إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم»

استراح مصطفى وهدأبعد أن ناجى ربه وبعد أن قرأ هذه الآية التي كانت تقرأها له أمه قبل الامتحانات. استطاع أن يظفر ببعض النعاس، أفاق منه ليجد نهى مستيقظة تحدق فيه وابتسامة خفيفة على شفتيها.

- أنت صحيت؟
- نعم وكنت أراقبك وأنت نائم!
- كنت أحتاج لدقيقة من النوم لأستطيع أن أواصل، فالحمد لله.
- هل أوشكنا على الوصول؟
- نعم خلال ربع ساعة سأتصل بعصام الآن لينتظرنا.

وصل القطار لكارديف. حمل مصطفى حقيبة نهى بيد وباليد الأخرى يحتضن الكيس البلاستيك ويضم نهى إليه. راح ينظر لكل البشر حوله ويتوجس خيفة من أي إنسان يبدو مريبًا أو يأتي بحركة غير متوقعة! ونهى تنظر إليه في دهشة فقد ألفته رجل هادىء الأعصاب، رابط الجأش يخطو الخطوة بحساب.

قال مصطفى لنفسه لا أذكر اسم الفيلسوف الألماني الذي قال عش في الخطر تشعر بالسعادة! أيًا كان اسمه فمن المؤكد أنه مخطىء، هأنذا أعيش في قمة الخطر ولا أشعر إلا بالتوتر والخوف! لابد أنه كان يقصد معنى أكثر عمقًا! أخيرًا ظهر عصام في الأفق.

- حمدًا لله على السلامة.

- إزيك يا عصام. إوعى أكون عطلتك عن شغلك؟

- إطلاقًا يا فندم.

- هذا المهندس عصام يا نهى، بمثابة ابني وهذه نهى هانم الف...

- غنية عن التعريف... أهلًا مدام نهى.

- أهلًا بيك.

- سمعنا الشريط يا فندم على النت حاجة ممتازة بس قلبتِ علينا المواجع! نظرت نهى إلى مصطفى ضاحكة فقال:

- إحنا لسة كنا بنتكلم ونقول إزاى الألبوم تسرب؟ ده لسه أصلًا مانزلش السوق!

- تكنولوجيا بقى يافندم!

- لم يكن عصام يمتلك سيارة فأشار مصطفى إلى سيارة أجرة. ركبوا، ثم راح عصام يصف للسائق كيفية الوصول لمنزلهن حاسب مصطفى السائق بعد إلحاح مستميت من عصام ثم قال وهم أمام باب المنزل:

- واجب برضه تبلغ الدكتورة أننا وصلنا؟

- حضرتك صاحب بيت. تفضل.

دخل مصطفى وعصام ونهى بعد أن فتحت لهم الباب سيدة مصرية في العشرينات من عمرها، وجهها لطيف ومريح وبشرتها قمحية وتضع حجابًا غير مبالغ فيه على رأسها.

- أهلًا وسهلًا شرفتونا. قالت الدكتورة شيماء زوجة عصام . سلمت على

مصطفى باليد رغم أنه كان متردد في مد يده لأنه يعلم ما استحدث على المجتمع المصري في الأونة الأخيرة. ثم فوجىء بشيماءتحتضن نهى بشدة وتقبلها على وجنتيها وسط دهشة نهى التي ما لبثت أن انتبهت لحرارة اللقاء فبادلت شيماء العناق بالعناق والقبلات بالقبلات، وحرارة الاستقبال بحرارة أشد في التلقي.

- حضرتك نورتينا. كان نفسي أشوفك من زمان، ولم أتخيل أن أراك هنا في بريطانيا وأيضًا في منزلي! أهلًا وسهلًا .

- ارتاح مصطفى للقاء وراح ينظر للشقة من حوله فوجدها صغيرة، متواضعة، ولكنها نظيفة ومرتبة ويشع منها الدفء، دفء بيت مصري من الطبقة المتوسطةالتي مازالت تكافح حتى لا تندثر كما اندثرت أشياء أخرى كثيرة.

- دكتور مصطفى. مهما فعلنا فلن نستطيع أن نشكرك على ما فعلته معنا؛ يكفي أنني الآن أعمل في الفترة المسائية، وفي شيء ليس بعيد عن تخصصي «مساعدة باحث» لم أكن أحلم بأكثر من جليسة أطفال! الفضل طبعًا لسعادتك.

- الفضل لله ولنيتكما الطيبة.

- قال مصطفى ذلك واندهشت نهى فهي لم تتعود منه هذه الردود!

- عصام أرجو أن أنفرد بك قليلًا، ثم همس في أذنه «مكان لا يسمعنا فيه أحد» وقبل أن يغادرا الغرفة فتح باب غرفة كانت مغلقة وخرج منه طفل في حوالي الثالثة من عمره. نحيف، شعره أسود وناعم، وعيناه سوداوان، وحافي القدمين.

- مصطفى. حبيبي أنت صحيت؟ قالت شيماء، هذا مصطفى ابني يا

مدام نهى.

- لم تقل لي أن ابنك اسمه مصطفى يا عصام! قال دكتور مصطفى.
- خفت أن تظن أنني أنافقك!
- ضحك مصطفى الكبيروقال ربنا يخليهولك واتجه إلى الطفل وحمله وقبله. نظر إليه الطفل وقال بالإنجليزية: من أنت؟
- ضحك دكتور مصطفى وقال لعصام: هو هايعوج لسانه من دلوقت؟

أخذ عصام مصطفى الكبير إلى الغرفة التي خرج منها الصغير وأغلق الباب ورائه وقال: هنا أمان يا دكتور مصطفى تفضل، حكى مصطفى لعصام الموضوع من أوله وبالتفصيل وكان يطيل في النقاط الفنية لأن عصام مهندس ومعيد في الجامعة ومتفوق.راح عصام ينصت بكل جوارحه ولا يكاد يصدق ما يسمع والذي يشبه ما يحدث في أفلام السينما. في نهاية الحديث أوجز مصطفى لعصام ظروف تعرفه على نهى وكيف أصبحت جزءًا من الموضوع بلا سبب سوى أنها ظهرت في طريقه بالصدفة. وقف مصطفى ومشى حتى وصل إلى منتصف الغرفة ثم قال:

- والآن نجيء إلى أهم ما في الموضوع. فتح الكيس البلاستيك وأخرج المحفظة الجلدية التي تحتوي على النسخ وقال: عصام أنت الذي ستحتفظ بالنسخ، سنتفق معًا على مكان نحفظها فيه فإذا حدث لي مكروه ستقوم بالاتصال بأشخاص سأعطيك أرقام تليفوناتهم لتسلمهم النسخ وتتأكد من أنهم سيكملون المشوار! وإذا لم يحدث لي شيء وتم تسليم الأمانة في مصر فسوف نكون على اتصال لنرى ماذا سنفعل؟
- وعلى فكرة ليس شرطًا أن يكون المكروه الذي أتعرض له هو الموت؛ فمن الممكن أن أمرض أو يحدث أي شيء يحول بيني وبين مقابلة

اللجنة؛ إذًا فعليك أن تنتظر مني تليفون أو إشارة أخبرك فيها أن كل شيء تمام. فإذا لم يحدث هذا خلال أسبوعين من الآن فابدأ في التحرك.

- لا تنسى يا عصام -وأكيد طنط عواطف أخبرتك- أن اسمي ضمن القائمة السوداء في مصر.

- أعرف طبعًا موضوع عبد الرحمن، ولكني أعتقد أن هذا أمر قد انتهى؟

- علينا توخي الحذر. لا أحد يعرف كيف يفكر المسئولون هناك؟ وعامة الأمن في جميع أنحاء العالم يؤمن بنظرية «المادة لا تفنى ولا تستحدث من عدم» عصام إنها أمانة كبيرة وأنا أثق فيك. على الأقل أنت من دمي وفوق ذلك فراستي المحدودة تخبرني بأن معدنك أصيل وأنا طبعًا خبير المعادن. ها ها ها هل موعد صلاة الظهر قد حان؟ يللا، «أمنا» للصلاة؛ فنحن فى منزلك و لكن دعني أتوضأ أولًا.

*****

أصرت نهى أن تدخل المطبخ لتساعد في إعداد الطعام. فشكتها شيماء إلى مصطفى قائلة:

- نهى هانم ضيفتنا وتدخل المطبخ! أرجوك «حوشها».

- ما لا تعلمينه يا دكتورة شيماء. أن نهى أعظم طباخة قابلتها بعد أمي رحمة الله عليها، فدعيها تساعدك وإن كنت أظنك لا تقلين مهارة عنها وعن أمي. حب عصام لك دليل على ذلك!

- ضحك الجميع.. كان المشهد غريبًا بعض الشيء. نهى ببشرتها البيضاء وملابسها الأنيقة الحديثة وقامتها الممشوقة وشعرها الخروبي المنسدل وقد وضعت عليه إيشاربًا ورديًا لحمايته من رائحة الطبيخ تعمل بهمة ونشاط

في المطبخ وبجوارها شيماء ببشرتها القمحية وملامحها البسيطة الطيبة وملابسها الواسعة وحجابها تباين في المظهر، ولكن وحدة في المشاعر فكلتاهما أحست بالارتياح تجاه الأخرى وكلتاهما تحاول ترجمة هذا المعنى للأخرى. راحتا تتحدثان أثناء العمل، كان لدى شيماء من الجرأة وأيضًا من التلقائية ما جعلها تسأل نهى بوضوح كيف تعرفت على دكتور مصطفى؟ فوجئت نهى بالسؤال، ولكنها لم تتردد في أن تحكي لها بإيجاز قصتها مع جاسم ومصطفى. أنصتت إليها شيماء وهي فاغرة فاها، ولم تكتفي بهذا البوح من جانب نهى وإنما سألتها وبوضوح:

- مدام نهى معذرة، هل تحبين دكتور مصطفى؟
- ترددت نهى في الإجابة، ولكن لم يكن هناك مفر من قول الحقيقة.
- نعم. فهل تكتمين السر؟
- طبعًا. في بئر مالوش قرار! وهو؟
- هل إذا قلت نعم أكون قد أفشيت سره؟
- الذي يحب بجد لا يخشى أن يعرف أحد سره حتى لو كان في حجم أو مكانة دكتور مصطفى.

*****

كانت جلسة تناول طعام الغذاء حميمية بدرجة كبيرة؛ لم يتكلف أحد حتى مصطفى -المتحفظ- كان يأكل كما لو كان يأكل في بيت خالته عواطف! نسى البروتوكول ونسى استعمال الشوكة والسكينة أحس أنه مصطفى طالب الثانويالذي كان يخرج أحيانًا من مدرسته إلى بيت خالته لزيارتها وتناول الغذاء معها ومع زوجها وبناتها! أما نهى فلم تشعر بأي غربة -وهي التي تعتبر دخيلة عليهم- أحست أنها وسط

أهلها حتى نظرة عصام لها –لم تشعر أنها نظرة شاب إلى امراة جميلة –

ولكن نظرة ابن بلد إلى امرأة دخلت بيته فلابد أن تشعر أنها على راحتها، والدكتورة شيماء كانت مثالًا حيًا لربة البيت المصرية التي بمجرد أن يأتي إلى منزلها ضيوف، فلابد أن تكرس كل جهودها من أجل أن تشرف زوجها أمامهم.

كان مصطفى الصغير يجلس على مقعده ومن حين لآخر تناوله نهى الطعام وتبذل مجهودًا لتتابع سرعة حركته وإقناعه بفتح فمه! أحس ساعتها مصطفى أنها مشتاقة للأمومة وتتوق إلى طفل تشبع فيه أمومتها وحنانها. ترى هل من العقل أن تنجب يا مصطفى وأنت في هذه السن؟وهذه الظروف؟ قال مصطفى لنفسه ثم استطرد «دع الأيام تجيب عن الأسئلة»

دكتور مصطفى. قال عصام:تفضل حضرتك ونام شوية سنغلق عليك الغرفة ولن يزعجك أحد، أما أنا فسأذهب للمكتب وسأعود في التاسعة وشيماء ونهى هانم ستجلسان معًا وأظنهما لن تتوقفا عن الكلام إلى أن أصل.

- عصام لا. سأنزل الآن لأبحث عن فندق صغير كما اتفقنا.
- معلهش، سعادتك هذا بالنسبة للمساء، ولكن الآن أنا أعرف أنك لا بد أن تنام لأنك لم تنم جيدًا أمس. أرجوك سأعود في التاسعة.
- ولكن مايصحش يا عصام.
- أرجوك يا دكتور.
- حاضر، ولكن اعلموا جميعًا أنه بعد عودة عصام سنذهب للعشاء في الخارج. هذا أمر.

تسلل مصطفى الصغير بعد أن غافل والدته ودخل الغرفة المغلقة واندس في الفراش بجوار الكبير الذي فوجىء به وشعر ناحيته بعاطفة أبوية لم يجربها.طلب منه الصغير أن يحكي له حدوتة! ومع أن مصطفى ليس له خبرة في ذلك إلا أنه استرجع طفولته والحواديت التي كانت تحكيها له أمه وجدته ووالده، فوجد نفسه بتلقائية يحكي له قصة الأميرة والأقزام السبعة! انسجم الطفل وما لبث أن راح في نوم عميق! قال مصطفى لنفسه:هل سيكون هذا الجيل أكثر توفيقًا منا ويحقق ما لم نحققه؟

*****

التقى الجميع حول مائدة في مطعم فخم في وسط كارديف. تولت نهى طلب الطعام لشيماء ولها وكذلك فعل مصطفى بالنسبة لعصام وله. تحدث عصام طويلًا مع مصطفى قبل وأثناء وبعد الطعام.كان محور كلامه كله عن أيامه هنا في الجامعة والصعوبات التي يواجهها. فلم يكن هناك بد من أن يتطرق مصطفى إلى أيامه في نفس الجامعة والعمل الذي كان يؤديه مع الطلبة الفاشلين، وكرر عليه ما حكاه لنهى عن بحث لورد بايرون! عندئذ قال عصام: أنا إذن في نعمة؛ على الأقل لدي عمل ثابت وبراتب مضمون. الحمد لله.

- أنتم في نعمة يا عصام لأنكم وجدتم أمامكمالنت والفاكس والكمبيوتر والسكانر والمحمول. لم يكن أيامنا هناك إلا التصويرحيثكنا نجلس في المكتبات بالساعات لنحصل على ورقة علمية مهمة! أنتم الآن تحصلون على كل ما كتب عن موضوع ما بنقرة واحدة على الكمبيوتر! ليس لكم أي عذر فكل شيء متوفر أمامكم. يجب عليكم إنجاز ما لم نستطع نحن إنجازه.

- ولكنكم فعلتم الكثير يا دكتور مصطفى، حضرتك وفاروق الباز وزويل ومجدى يعقوب ومصطفى السيد وغيركم. فكيف تنكر هذا المجهود؟

- لا أنكره، ولكننيأقصد أننا لم نؤثر بعلمنا في مجتمعاتنا الأصلية إلا بأقل القليل، أقصد أن يترجم مجهودنا إلى واقع حي وملموس وأن تضاف إنجازاتنا إلى رصيدنا نحن وليس إلى رصيد الغرب، هذه محاولتي ومهمتي التي أتمنى أن أقوم بها. ولعلك فهمت الآن مدى خطورة الأيام القادمة وأهمية المهمة التي قد تضطر أن تقوم بها أنت؟

- أنا في قمة سعادتي لأنك اخترتني لهذه المهمة التي أرجو»ألا أقوم بها» وربنا ينجيك ويعيدك بالسلامة.

- خليها على الله.

- غادروا المطعم. ووقف مصطفى وحيّا الجميع وقال: سأترككم الآن وسأذهب للفندق الذي عشت فيه من عشرين سنة فندق «الكهف» هذا اسمه. يا ترى هل سأجده في مكانه؟

- ولكن يا دكتور مصطفى.

- بس يا عصام هذا أمر. سأبيت هناك الليلة ثم سأقوم ببعض النشاطات الهامة جدًا. كل ما أرجوه ألا تتركوا نهى وحدها أبدًا .

- أنا سأذهب للمعمل في التاسعة وسأعود في الثانية ظهرًا، فماذا عن هذا الوقت بالنسبة لمدام نهى؟

- سنغلق على مدام نهى الباب، وصاحب المنزل في الدور الأسفل لا يغادر المنزل أبدًا وهو رجل متيقظ ومتطفل بطبعه. كما أننا طماعين لأننا سنستغل مدام نهى وسنترك مصطفى الصغير معها بدلًا من الحضانة. ها ها ها

- عيب يا عصام ما يصحش كدة! قالت شيماء.

- لا عيب ولا حاجة سأكون سعيدة بمرافقة مصطفى، اذهبي يا شيماء لعملك واتكلي على الله.

- خلاص سيكون موعدنا إذن في السادسة. سأنتهي من كل مهامي وأحضر إليكم و أرجو أن أجد طبق بامية وعيش بلدي على الغذاء! ها ها ها .

- أنت تأمر يا دكتور مصطفى. قالت شيماء.

*****

نامت نهى مع شيماء في سرير واحد في غرفة نوم شيماء ونام عصام مع ابنه في غرفة المعيشة وراح يفكر قبل أن ينام: أين يمكن أن يخبيء الأمانة؟

استمتع مصطفى بالمشي في شوارع كارديف فقد استعاد بذلك أيام شبابه. وصل لفندق الكهف فوجده كأنه كان فيه بالأمس وتعجب من الذاكرة الانسانية: لقد سار في الشوارع واختصر الطرق ووصل إلى الفندق بكل سهولة. ومن الغريب أنه وجد نفس موظف الاستقبال الذي كان يعمل في الفندق من عشرين سنة!ولم يتعرف عليه الرجل بالرغم من طول المدة التي عاش فيها في الفندق.

دخل غرفته البسيطة. توضأ وصلى العشاء وأمسك بموبايله ليفتح الرسالة التي وصلت توا. كانت من شيللا: «اتصل بي الفراعنة، لا تقلق عليّ ربما نتقابل قريبًا عند الأهرامات، أحبك»

حمد مصطفى الله.الآن يستطيع أن ينام بعمق فشيللا في أمان. لم يكن يتصور أن المصريين سيتحركون بهذه السرعة. ضحك لأنه تذكر أنه قال لسليمان فهمي «إذا اتصلتم بشيللا فلتكن كلمة السر «صفقة الأسلحة التشيكية» !

- آلو مستر دينو.

- نعم يا كارلا.

- اتصل بي مصطفى صباح اليوم، وأخبرني أنه في جلاسجو ومعه قريبته ليعرضها على أستاذ أمراض نساء من أصدقائه هناك وأوصى أن يتولى زملائه في القسم إعطاء المحاضرات لطلابهمدة أربعة أو خمسة أيام.

- ممتاز، ولكن هل من طريقة للتأكد من ذلك؟

- يمكنني إعطائك اسم الفندق الذي يقيم فيه في جلاسجو وأيضًا رقم الغرفة.

- أوكى. أرسليه على الموبايل. أراك قريبًا وشكرًا على المعلومة.

- أدار دينو رقم أليكس في التو.

- أليكس. علمت الآن لماذا لم تجد أحد في منزل كرويدون. ولا منزل لندن؛ لقد سافر الثعلب إلى جلاسجو. يبدو أن قريبته مريضة فلننتظرعودته.

- وبخصوص حسناء براغ؟

- لو ثبت أنها نبهته، فلابد من درس صغير .

- أوكي

كان لابد أن يقوم مصطفى بحركة خداع -مستغلًا علمه بخيانة كارلا-فكان أن اتصل بها في الصباح وسرب إليها المعلومة الخاطئة، معلومة سفره إلى جلاسجو وليزيد من إقناعها وإقناع وإقناع من معها حجز بالفعل غرفة باسمه وغرفة باسم نهى في الفندق ودفع أجر ثلاث ليالٍ مقدمًا، واتفق مع مدير الفندق الذي يعرفه منذ زمن أن يأمر الاستقبال أن يحول أي مكالمة

إلى غرفته الخالية بالفندق. وعندما يسأل المتصل عن سبب عدم الرد يقال له أن دكتور مصطفيقضي معظم الوقت خارج الفندق مع قريبته بالمستشفى! اضطر مصطفى أن يهدي علبة سيجار هافانا فاخرة إلى مدير الفندق!

بعد تسريب المعلومة إلى كارلا اتصل مصطفى بيسري زيدان موظف شركة مصر للطيران والذي كان مصطفى قد أسدى إليه خدمة العمر عندما ساعد شقيقه على الإقامة الشرعية ببريطانيا. اتصل به وطلب منه أن يحجزمقعدين بصفة دائمة على مدى ثلاثة أيام متتالية على الطائرة المتجهة إلى القاهرة وبدون أسماء بحيث أنه فى الوقت المحدد وقبل إقلاع الطائرة بساعة واحدة سيكون مصطفى في المطار لإتمام الإجراءات، وأخبره أنّ هذا لأمر خطيروبناءً على تعليمات جهات عليا! تردد يسري ولكنه رضخ في النهاية بعد أن لوح له مصطفى بمكافأة كبيرة!

توالت بعد ذلك اتصالات مصطفى بأصدقائه وزملائه بالجامعة وكلها تدور حول غيابه في جلاسجو مع قريبته المريضة بمرض خطير!ثم اتصل بكومار وأوصاه بالذهاب بهدوء لمنزل لندن وتحضير حقيبة متوسطة فيها ثلاث بدل بألوان مختلفة وغيارات داخلية وأدوات حلاقة وخلافه، وأخبره أنه سيأتي لأخذ الحقيبة والسفر إلى جلاسجو لأن قريبته مريضة هناك. أثناء تناوله طعام الإفطار اتصل به رأفت ويصا:

- إزيك يا رأفت، أنا متشكر جدًا على ...

- مش وقته دلوقت واتكلم بـ «السيم»

- ضحك مصطفى لأن هذه العبارة كانت دائمًا على لسان رأفت ومعناها الكلام بالرمز!

- ماشي، البضاعة حاتدخل الجمرك قريبًا جدًا، ولكن مقدرش أحدد

الميعاد وإلا حايبقى أيه لازمته؟طمن الباشوات وحاتصل بيك أول ما البضاعة توصل .

- مفهوم مفهوم خللى بالك من نفسك يا مصطفى ما تستهونش، دول زي العقارب.

- طبعًا طبعًا. سلام.

*****

خبأ مصطفى كيسه البلاستيكي تحت المرتبة، وأغلق غرفته بالمفتاح وعلق عليها لافتة»ممنوع الإزعاج» ولم يسلم مفتاحه بالاستقبال. لم يستطع صبرًا أن يظل في غرفته حتى السادسة مساءً. راح يتجول في شوارع مدينة كارديف ويسترجع ذكرياته؛ هنا كان يجلس مع كارولين زميلته في القسم التي لم تكمل أطروحة الماجستير وعملت كمدرسة علوم في الثانوى ثم انقطعت أخبارها. هذه السينما شهدت أول قبلة مع علياء! وفي هذا البار أخبر جوان أنه لا يمكن أن يتزوج الآن! وها هي الجامعة العتيدة إنها أيام فخره بلا شك. حصل على الماجستير في وقت قياسي وكانت رسالة الدكتوراة نموذجًا مشرفًا لما يجب أن يكون عليه البحث العلمي.

قرر أن يدخل السينما لعل الوقت يمضى سريعًا. اختار فيلمًا كوميديًا؛ لينسى الهم الثقيل! كان فيلمًا سيئًا فاستسلم للنوم ولم يستيقظ إلا قرب نهايته! أصبحت الساعة الآن السادسة إلا الربع. تمشى في شارع رئيسئ متجهًا إلى منزل عصام. أثناء سيره أمسك بالموبايل واتصل برقم أوله ٠٩٦٦

- آلو ميرفت؟ إزيك يا حبيبتي؟

- مصطفى! إزيك أنت، وحشتنى أوي يا حبيبي عامل أيه؟

- الحمد لله. باقول أيه. حاجة مهمة؛ أنا عايزك ترتبي لي أني أحج السنة دي!

- قالت مرفت وصوتها ينبيء عن شدة فرحها: أنت بتتكلم جد يا مصطفى؟ معقول؟ أخيرًا؟ أنا مش مصدقة. كمال حايفرح جدًا بالخبر ده!

- مش حاوصيكي، ده خلاص فاضل أربع شهور!

- حاتكون لوحدك؟ يعني أحجز لشخص واحد؟

فكر مصطفى وتردد في الإجابة ثم قال: والله مش عارف يا مرفت. حانكون على اتصال، يللا سلي لي على كمال والأولاد. انتهت المكالمة وقالت مرفت شقيقة مصطفى لنفسها: «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين» أخيرًا أصبحت الساعة السادسة.

*****

وصلت شيماء في الثانية والنصف فوجدت نهى تطعم مصطفى الصغير وتحاول بشتى الطرق إقناعه بفتح فمه.

- ليه تاعبة نفسك يا مدام نهى؟

- مفيش تعب ولا حاجة. مصطفى في منتهى الظرف، ربنا يخليهولك.

بدلت شيماء ملابسها وتوضأت وصلت ثم جلست مع نهى وراحتا تتفقان على قائمة الطعام التي سيعدونها، في ذلك الوقت كان عصام في الجامعة يتلقى محاضراته وذهنه كله مع مصطفى والأمانة والضيفة الموجودة الآن في منزله. في تمام

الخامسة انطلق إلى البيت ودق جرس الباب. فتحت له نهى وهي تحمل الصغير.

- يبدو أنكما أصبحتما أصدقاء؟
- حمدًا لله على السلامة يا عصام.
- هل تصنعان البامية؟
- بلا شك. وهل نستطيع مخالفة أوامر دكتور مصطفى؟
- استأذن عصام ليغير ملابسه.

دخلت نهى المطبخ فأخذت شيماء منها الطفل وأكملت نهى ماكانت تصنعه شيماء.

- نهى.
- نعم.
- هل ستعودين للفن مرة أخرى؟
- لقد عدت. ألم تسمعي الألبوم كما قال لي عصام؟
- أقصد عندما تعودين للقاهرة، هل من الممكن أن تظهري في فيلم أو مسلسل؟
- أعتقد هذا، لو عرض علي شيء مناسب.
- أرجوك يا نهى اختاريأعمالك بعناية،ولا تظهري إلا في عمل محترم وهادف؛ أنت إنسانة نقية والناس تحبك لله في لله، كوني عند حسن ظنهم بك.
- هذه أجمل نصيحة تلقيتها. وسأعمل بها إن شاء الله.

تناول الجميع الطعام في المطبخ، وأبدى مصطفى إعجابه بالبامية وراح يحاول أن يعرف أي السيدتين صنعت البامية؟

- الحقيقة مش عارف مين فيكم، لكنها رائعة على أي حال.

- على العموم هي إنتاج مشترك -بلغة السينما- قالت شيماء ضاحكة .

راح مصطفى وعصام يحتسيان الشاى بالنعناع وما أن فرغ مصطفى حتى قام فجأة وقال: حان وقت العمل! تعالى يا عصام. دخلا الغرفة وأخرج مصطفى حافظة جلدية وقال:

- تفضل يا عصام، هذا شيك بعشرة آلاف إسترليني؛ سأكلفك ببعض المهام أرجو ألا تعطلك عن عملك ومذاكرتك: أعطِ مسز طومسون راتبها أول كل شهر وكذلك روز وسنج وكومار. الكشف موجود مع الشيك وهذا مفتاح شقتي في لندن ومعه عنوانها وهذا مفتاح الفيللا في كرويدون والعنوان أيضًا. انتهز فرصة عطلتك الأسبوعية أوأي عطلة وانزل لندن واسكن في أي منزل تريده على أن تستدعي كومار للعناية بالمكان خلال وجودك. ضروري يا عصام مرتبات الناس دي توصل في ميعادها.

- اطمئن يا باشا.

- ماذا فعلت بالنسخ؟

- تعالى سعادتك وشاهد بنفسك المكان الآمن الذي وضعتها فيه. فتح عصام دولابه وأشارإلى درج سحري لا يكاد يرى.

- ممتاز. المهم ألا تنسى أنت المكان. ها ها ها.

اختلى مصطفى بنفسه قليلًا؛ فقد ذهب عصام لعمله المسائي. اتصل بكارلا على موبايلها الخاص:

- كارلا. أنا آسف لأني أكلمك في غير أوقات العمل الرسمية، ولكن الأمر هام.

- لا عليك يا دكتور مصطفى تفضل.

- غدًا صباحًا أدخلي مكتبي وافتحي الكمبيوتر. كلمة السر اكتبيها الآن: nohakh ادخلي على الملفات ستجدين ملفًا هامًا جدًا اسمه .Geo egy .gulf أرسليه إلى عنوان بريدي الإلكتروني الذي تعرفينه طبعًا. أحتاجه ضروري يا كارلا باي.

- لم تنم كارلا ليلتها؛ ها هي فرصة العمر أمامها، كمبيوتر مصطفى الخاص سيكون مفتوحًا أمامها باكر! هل بالغت في تقدير دهاء الرجل وحرصه؟ هل كل كنوزه المخبأة تحرسها كلمة سر واحدة عادية مثل هذه؟

*****

الليلة الأخيرة لمصطفى ونهى في كارديف المشاعر فيها مختلفة، شعور خفي بالخوف من المجهول ينتاب الجميع وشعور بالوحشة يملأ قلب عصام وشيماء بعد أن استمتعا بالدفء والألفة مع الضيفين اللذين هبطا فجأة فبددا شعورهما بالغربة. أما مشاعر نهى فقد كانت غريبة: خوف ممزوج بالبهجة -إن صح هذا التعبير- فهي خائفة لأنها تعرف خلفية الموقف، ولكنها مبتهجة لأنها كما قالت في مركب واحد مع مصطفى، ولأنها ستكون قريبًا في القاهرة وسترى والدتها وأصدقائها وأقاربها وتعود للأضواء، ولكنها قلقة؛ ماذا عن مصطفى؟ لقد صارحها بحبه، ولكنه لم يذكر لها أبدًا ماذا سيفعل معها؟ فقط يقول: «دعي الأيام تجيب عن الأسئلة»

- عصام أفندي حنسافر بكرة إلى لندن بالطائرة، ليس عندي أعصاب لأركب القطار، حاتوصلنا المطار، ماتخافش ده حايكون قبل موعد

الجامعة .

وضع مصطفى النقاط فوق الحروف وشرح كل المهام لعصام. ودع شيماء وشد على يديها وقال: خلي بالك من مصطفى الصغير، أنا واثق أنك أنت وعصام حاتربوه أحسن تربية، حافظوا على هويته وما تفرحوش لو لقيتوه بيتكلم انجليزى كويس ونسي العربى. علموه كويس، لكن لازم يفضل محافظ على شخصيته. خدوا الحاجة الكويسة منهم واحتفظوا بالحاجات الكتير الكويسة عندنا. ادعوا لنا وإن شاء الله نلتقي كلنا قريبًا هنا أو هناك أو في أي مكان! كادت شيماء تبكي ولكنها تماسكت وقالت: أكيد يا فندم، أكيد إن شاء الله.

- عصام، بكرة حاتجيب نهى معاك المطار وسأقابلكم هناك وإحنا مع بعض بالموبايل. السلام عليكم. باي باي مصطفى. قبل الصغيرعلى وجنتيه وغمز لنهى.

*****

استيقظت كارلا نشطة ومستبشرة واتجهت للجامعة، فتحت مكتب مصطفى وفتحت الكمبيوتر بكلمة السر. يا إلهي. مغارة «على بابا» قالت كارلا، لنفسها، عشرات الملفات أمامها! أين الملف الخطير؟ ها هو أولًا ننجز المهمة لمصطفى، نرسل إليه الملف، ها قد تم إرساله بنجاح. والآن ننجز مهمتنا. أخرجت قرصين مدمجين نسخت على واحد منهما الملف الخطير ونسخت على الآخر كل الملفات الموجودة على الكمبيوتر، ولم تنسَ أن تصنع لنفسها نسخة على الفلاش ميموري، أغلقت المكتب بالمفتاح. دخلت مكتبها واتصلت بدينو.

- مستر دينو ؟
- نعم كارلا.
- عندي هدية لك .

- هيا ادخلي على البهجة.

- لا ينفع الكلام في التليفون. أرجوك احضر إلى مكتبي، ولكن دعنا نتفق أولًا: الهدية يجب أن تكون بمقابل.

- طبعًا طبعًا والمقابل سيكون على قدر أهميتها.

كان مصطفى قبل يومين من الأحداث الأخيرة قد أفرغ الكمبيوتر من كل مافيه،وفك كل الشفرات وكلمات السر وملأه بملفات عادية لا أهمية لها ومنها ملف اعتنى به وكتب عليه: هام جدًا. أما ملف geo Egypt gulf فقد كان ملف من صنع خيال مصطفى ملأه بخرائط جميلة وملونة تصلح لدروس الأطفال وإن كانت تبدو لغير المتخصص كشيء بالغ الخطورة!

*****

راح مصطفى يفكر في الطائرة، ونهى بجانبه هل سيبتلع دينو الطعم ويترك له فرصة للهروب؟ ربنا يستر–قال لنفسه– إنه لا يعرف مقدار القوة التي يجهزها دينو لتعقبه، ربما هناك أشخاص قرب منزله وأشخاص قرب منزل كرويدون وربما لا يوجد أحد على الإطلاق ويكون هو قد بالغ في خطورة الأمر، ولكن كيف ذلك وهو يعرف تماما مدى خطورة وذكاء الجهاز الذي يمثله دينو؟ هبطت الطائرة في المطار ولم يخرج مصطفى ونهى منه. اتصل مصطفى بمسز طومسون:

- هل تم شحن الحقائب؟

- بكل تأكيد وكما طلبت فى ميني كاب مع السائق الذي أعطيتني رقمه. سيكون عندك خلال ربع ساعة.

- مسز طومسون، كما أخبرتك، أنا في مهمة علمية قد تطول. سيصلك

راتبك هذا الشهر وكل شهر. إذا غبت أكثر من ذلك، أرجوك لا تعملي في جهة أخرى، أنا أعلم أن أحفادك في حاجة إليك؛ اعتبريها أجازة مدفوعة الأجر إلى أن أعود. بالنسبة لروز سيسلمها قريبي مرتبها وشيك باسمها لشراء تذكرة لزوجها ليزورها.

- أشكرك يا دكتور مصطفى. فليساعدك الله وأرجو إرسال سلامي لمسز نهى إلى اللقاء.

- باي.

اتصل مصطفى بكومار وتأكد من شحن حقائبه وأخبره أيضًا بموضوع الأجازة وبأن يكون على اتصال دائم مع عصام.

خرج مصطفى ونهى من المطار وتسلما حقائبهما تباعًا من السائقين. استقلا سيارة أجرة للفندق القريب من المطار حيث حجز مصطفى غرفتين لثلاث ليال؛ تحسبًا لأي طارىء.استبدلا ملابسهما حيث ارتدت نهى تايرًا بنيًا رائعًا ومعها معطفها الأروع؛ أرادت أن تبدو في أروع صورة عند وصولها للقاهرة.

أما مصطفى فقد استبدل ملابسه بأخرى من نفس النوعية «الكاجوال» اشتراها من كارديف.أغلقا الحقائب وتوجها للمطار في الثانية ظهرًا؛ لأن طائرة مصر للطيران تغادر في الثالثة. لم يتبادلا إلا أقل الكلمات فقد كان مصطفى غارقًا في التفكير ونهى غارقة في الدهشة والقلق والسرور الخفي.

كان يسري زيدان في استقبال مصطفى عند مكتب الوزن، رحب به ووجد نهى معه فعرفها بالرغم من النظارة الشمسية الكبيرة. قال

لمصطفى: دلوقت أنا عرفت سبب سرية الموضوع. ماشي يا دكتور!

- أيوة هو كدة صحيح! قال مصطفى، وحمد الله أن يسري بهذه السطحية!

تم إنهاء الإجراءات كلها؛ من دفع ثمن التذكرتين «كاش» ووزن الحقائب بهدوء. ودع مصطفى يسري وشكره بشدة. سلم يسري على نهى وقال لها: شريطك هايل يا مدام! ضحك مصطفى وقال: حتى يسري سمع الشريط يا نهى! أخيرًا دخلا الطائرة وتنفس مصطفى الصعداء.

*****

فتح دينو الأسطوانة المدمجة الأولى فوجد الخرائط الملونة، وبالطبع لم يفهم منها شيئًا، ولكنه على الأقل اطمأن أنها أشياء تختص بالجيولوجيا.

فتح الأسطوانة الثانية فوجد عشرات الملفات راح يقلب فيها الواحد تلو الآخر إلى أن وجد الملف المكتوب عليه «هام جدًا» فتحه فإذا هو ملف موسيقى وإذا بصوت أم كلثوم القوي الجميل يقول: افرح يا قلبي لك نصيب تبلغ مناك ويا الحبيب. افرح يا قلبي! وجم دينو واتصل بأليكس على الفور.

- أرسل لي فورًا بيتر الخبير الجيولوجي وكن على استعداد فقد تسافر إلى جلا سجو وأرسل إيميل إلى «كاسبر» في براغ للاستعداد.

تعرف معظم ركاب الطائرة من المصريين على نهى، بل إن بعضهم ترك مقعده واتجه إليها للتحية والسلام والبعض الآخر هنأها على الشريط والعودة لمصر.

تعجب مصطفى وقال لنفسه: نهى قامت بتمثيل فيلمين وبعض المسلسلات وغنت بعض الأغاني بالإضافة إلى شريط العودة وتعرف عليها الناس بسهولة في الطائرة! أما هو العالم الكبير صاحب المئات من الأبحاث والأوراق العلمية الخطيرة والمعروف في الدوائرالجيولوجية العالمية لم يتعرف عليه أحد، بل ربما يظنون أنه الـ «بودي جارد» الخاص بنهى!

التفتت نهى إلى مصطفى وقالت: كم أحبك يا مصطفى؛ قمت بهذا المجهود الرائع وحدك، خططت وحدك، ونفذت وحدك بكل هدوء ورباطة جأش ما أروعك.

- لا يا نهى. لم أكن وحدي؛ ساعدني الكثيرون فلولا شيللا مثلًا لكنت الآن ملقى من البلكون –كالعادة– بالرغم من أنه ليس لدي بلكون في منزلي! ولولا عصام وزوجته لما أمكننا الاختفاء لفترة والاطمئنان على الأمانة لو حدث لي مكروه، ولولا يسري وسذاجة كارلا و ...

- لي ملحوظة بشأن كارلا؛ أخشى أن يكون تحذير شيللا لك منها مسألة غيرة ورغبة منها في إزاحتها عن الطريق.

- ابتسم مصطفى نصف ابتسامة ولم يرد.

- هل ملاحظتي ساذجة؟

- بالعكس إنها ملاحظة في منتهى الذكاء.

- لماذا إذن لم تعلق؟

- طبعًا من الجائز، ولكن ضعي نفسك مكان كارلا التي لايعنيها بأي حال من الأحوال إلى أي الفريقين تنحاز ولا تربطها بي علاقة من أي

نوع ويعرض عليها مبلغ من المال مثلما عرض على شيللا. الأوقع أن يجندوها فهي الأقرب من عمليوالأوقع أن توافق. ومن البداية من الذي أخبر مشعل ودينو عن المحور الذي تدور فيه أبحاثي الأخيرة؟ أليست هي كاتمة أسراري؟ إذن الاحتمال الأكبر أن تكون متورطة بالفعل. أما لماذا كنت أبتسم ولم أرد؛ فلأني تأكدت من ملاحظتك أن المرأة هي المرأة في كل زمان ومكان! وضحك..

- يا دمك.

- بس أهم شخص ساعدني هو أنت والله!

- أنا؟ كيف؟

- أولًا: كنت الدافع لي لحماية نفسي؛ لأنني بذلك أحميك. ربما لو لم تكونيمعيلأهملت في حماية نفسي. ثانيًا: التمويه فقصةجلاسجو تقوم كلها على فكرة مرضك -لا قدرالله-أيضًا عودتي معك فيها تمويه. وسترين بنفسك كيف سينشغل الناس في مطار القاهرة بك وأتوه أنا في الزحام وهذا مطلوب.

- وماذا بعد يا مصطفى؟ماذا عنا في القاهرة؟

- نظر إليها بحب وقال:

- أمازلت تصرين على ربط مصيرك بمصير رجل على مشارف الخمسين له ملف أسود في مصر وعصابة تطارده في بريطانيا؟

- معك حتى الموت يا سيدي الفاضل. المهم أنت. هل ستقبلني كما أنا؟وهل سترضى عن طموحي الفني؟صدقني أنا على استعداد أن أتخلى عن الفن إذا كان هذا ثمن لبقائي معك.

- اسمعي. عودي لحياتك في مصر وعيشي بطريقتك الطبيعية. اقبلي الأعمال التي تجدينها محترمة وتناسبك. افعلي ذلك، أسبوعين، شهرًا أو أكثر. فإذا مرت هذه الفترة ووجدت نفسك تميلين لرؤيتيومقابلتي وأن تكملي حياتك معي، وفوق ذلك أن أكون أنا بخير وعلى قيد الحياة! فاتصلي بي على الفور وتأكدي أنني لن أجد أجمل ولا أرق ولا ألطف منك لأكمل معه مشوار الحياة الغريب الذي عشته!

- لازم يعني أسبوعين أو شهر؟

- لازم يا نهى ويمكن أكثر. ده مصير ومستقبل. لابد من وقت معقول ليكون القرار سليم .

- حاضر.

تعجب مصطفى بينه وبين نفسه؛ لماذا تركه المصريون يحمي نفسه بنفسه؟ هل هي ثقة منهم بذكائه وفي أنه يستطيع حبك عملية الخداع؟ أمأنها الطريقة المصرية التقليدية: أن تفسد الطبخة من أجل توفير كمون بثلاثة قروش؟ لماذا اهتموا بشيللا وأمنوها وتركوه وحده يواجه الأفاعي؟ على رأي المثل: زي القرع نمد لبرة!مش مهم فلندع الأيام تجيب عن الأسئلة! هبطت الطائرة في مطار القاهرة ونهى في حالة غريبة من النشوة التي لم تستطع أن تخفيها. أما مصطفى فكان متوترًا لأنه متعود دائمًا أن تكون في دماغه خطة خريطة طريق يتبعها. أما الآن فلا شيء من هذا.الكرة في ملعب المصريين وما عليه إلا الانتظار. احتار مصطفى أي جواز سفر يخرج من حقيبته: المصري أم الإنجليزى. هل من الممكن أن يخفف الجواز الإنجليزى من وطأة الإجراءات؟ هل من الممكن أن يجنبه بعض المشاكل البيروقراطية؟ لم تدم حيرته طويلًا، قرر أن يستخدم الجواز المصري. لمح من الأوتوبيس اللافتة المكتوب عليها «ادخلوا مصر إن

شاء الله آمنين» تفائل. وقفت نهى قبله في طابور الجوازات. رحب بها الضباط بالطبع! وضع يده على قلبه والضابط يفحص جوازه. هل وفى سليمان فهمي بوعده؟ تنفس الصعداء والضابط يسلمه جوازه. اتجها إلى حيث يلتقطون الحقائب، ثم إلى الجمارك. مرت حقائب نهى بسلام وبدون تفتيش. أما حقيبته فتم فتحها حتى يطمئن قلب الموظف المسئول!

على البعد لمح مصطفى والدة نهى.عرفها عندما وجدها تشير إلى ابنتها التي أخبرتها تليفونيًا بموعد وصولها قبل أن تقلع الطائرة مباشرة، مع والدة نهى. كان هناك مجموعة من الفنانين تعرف مصطفى على بعضهم.

- مش حاتيجي معايا تسلم على ماما؟
- لأ. بعد المهلة. أما الآن فسأستغل الهوجة دي «أكت» أنا.
- جبت منين الكلمة دي؟ دي كلمة مصرية شعبية بحتة!
- الذاكرة رجعت فجأة!
- ربنا معاك. باى
- لأ. إلى اللقاء.

خرج مصطفى من المطار وهو يتلفت يمنة ويسرى لعله يجد أحدًا ينتظره؛ فقد أخبر رأفت ويصا بموعد وصوله قبل أن تقلع الطائرة بدقائق. لم يجد أحدًا.

- تاكسي يا باشا؟

- ماشي ياسطى.

- ركب مصطفى الليموزين بجوار السائق وبيده الكيس البلاستيك مثل أم تمسك بيد طفلها بقوة خوفًا عليه!

- على فين يا سعادة الباشا؟

راح مصطفى يفكر؛ فهو لا يعرف القاهرة، ولا يعرف فنادقها، ولكن أكيد يوجد هنا «هيلتون».

- على الهيلتون ياسطى ..

- أي هيلتون فيهم؟

لم يعرف بم يجيب، ولكنه تذكر وقال: الهيلتون اللي جنب المتحف.

- حاضر. هو حضرتك مصري؟

- طبعًا.

- طب ليه لكنة حضرتك مختلفة شوية زي الخواجات لا مؤاخذة؟

- أصلي عشت برة كتير كتير أوي.

- آه وحضرتك راجع نهائي؟ أنصحك بلاش. البلد تعبانة والأسعار نار وما حدش عارف «احنا رايحين على فين» لو يعني.. لو يعني ال...

- لو يعني أيه؟

- لأ. بلاش. المهم يعني بلاش الرجوع النهائي ده أقعد شوية وبعدين ارجع تاني مش برضه ده تفكير حضرتك؟

لم يدرِ مصطفى بم يجيب الرجل. هو نفسه لا يعرف ماذا سيفعل هنا؟ هل جاء ليستقر؟ إنه الآن لا يعرف إلا شيئًا واحدًا لا يستطيع أن يقوله للرجل: لقد جاء ليختبيء في مصر.

تمت بحمد الله

مكة المكرمة غرة محرم ١٤٣١

١٨ ديسمبر ٢٠٠٩ م

الكاتب في سطور

د/حازم حامد الشاذلى

صدرت له :

- رواية البحث عن احياء عن دار دون
- ودقائق بعد الثالثة عن بيت الياسمين
- وعودة من هناك عن دار ذات.

للتواصل مع الكاتب

Hazem.alshazly@hotmail.co.uk

العمل القادم لدار ليليت "100"

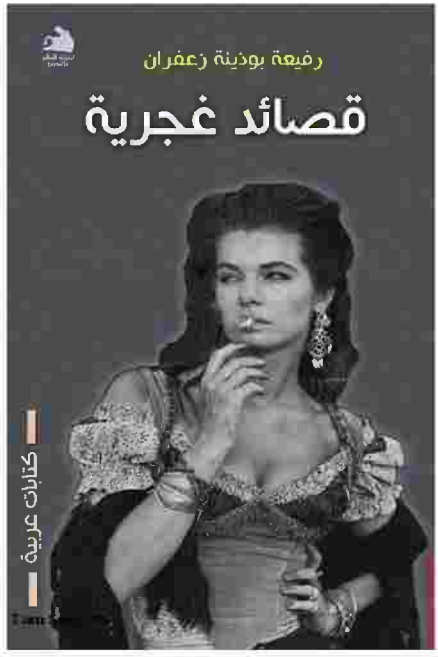

ديوان قصائد غجرية

للكاتبة التونسية .. رفيعة بوذينة زعفران

ابريل ٢٠١٥

رقم إيداع ٢١٩٩ / ٢٠١٥ط١
الترقيم الدولى / ٩- ٠٠١ - ٧٨٩ - ٩٧٧ - ٩٧٨

ليليث للنشر
والتوزيع